المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ — ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من البينات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لاصلاح جميع الورى ، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ، ثم أصلح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، » ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ، واكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبغى ، وفتنة من ضلّ من مرشدينا وغوى ، وخُسر من عصى من دهمائنا واعتدى ، واجعل اللهم لنا على أنيران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك لليسرى ، وانفعنا بما أنزلت من الذكرى ، وآتنا ما وعدتنا في الآخرة والاولى ،

هذا ما يفتتح به المنار سنته التاسعة — تذكير ودعاء يبعثهما أمل

ورجاء ، على حين سحلت مرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجانب ، بين سلطان يحارب العلم وسلطان يحاربه الجهل ، وأمير مفتون بالترف ، وأمير مغبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشريف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدر غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزغ بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغراهم بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء تذل كل يوم وتخزى ، سنة الله في القرون الأولى ، «٢٠ : ١٢٨» أفلم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى *

ثم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالغثاء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب يد في تصرف حكامنا في سياستنا ، ويد في تصريف أموالنا في مصلحتهم دون مصلحتنا ، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأي شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ؟ اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف الغمة ، والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاقلين ، ومن يتصل بحزبهم حينا بعد حين ، والعاقبة للمتقين ، «٢ : ٢٤٩» كم من فئة قليلة

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «٢٠: ١٣٢» وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * ١٣٣ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *

بلى قد جاءتنا صحف الأولين، فكانت مثالا لما رأينا في صحف الآخرين، انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، الا بصيحة نفر من أولي الألباب، ومثقفي العقول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس أقوامهم، بما يلقيه من الحكمة في ذلاقة ألسنتهم ونفثات أقلامهم، فيستبدلون الاعتصام بالانفصام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة، والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعملون بالتعاون فيكونون أمة، «٤٠: ٨٥» سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ * ٥٣: ٣١ وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *

ما المنار الا صحيفة أو صحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للامة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعوا اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للامة، ويموتون في سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الاولى وبذلك نصرح في كل سنة من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين: اللذين هما ينبوع الهداية، واتباعهما عنوان السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والاولى، «٢٠: ١٢٤» وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * ١٢٥ قال

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق والضنك في معيشته الاولى، وبالعذاب في الدار الآخرى، وقد قال تعالى وهو أقوم قيلا، «٧٢:١٧» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً * » فالدنيا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الانتساب الى أولئك السلف الكرام، أما سمع المغرور حديث الصحيحين: يافاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت لاأغني عنك من الله شيئاً «٥٣:٣٦-٤١» أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * »

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول الاثم أخذاً وبيلا، «٤:١٤١» وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً » * نعم ان المؤمن يبتلى ويفتن، ولكنه لايهن ولايحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣:١٣٩» وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * ٢٢:١١ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » فما انتفع المغرورون بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا «٥٣: ٢٣ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * ٢٤ أم للإنسان ما تمنى * ٢٥ فلله الآخرة والأولى *

نعق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لا نجاة لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن ينزل بكم ، الا بفناء ارادتكم في ارادة حكامكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشتراك في الاعمال ، ولا بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، — وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لا حياة لكم بالرابطة الملية ، لأنها ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ، فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يحبوا من هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن إيثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ، فما اعتز به المسلمون الأولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدنية أوربا في هذا الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء احذروهم وان خدموا الامة والدين ، إن يبغون بدعوة الوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى ، وكثرة العرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ، «٥٣: ٢٩ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ٣٠ ذلك

مباغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى*

اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون، وكل حزب بما لديهم فرحون «٨: ٢٤ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» فله وحده دعوة الحق، وما خالفها فهو باطل أو فسق «٢٦: ١٥٠ فاتقوا الله وأطيعون* ١٥١ ولا تطيعوا أمر المسرفين* ١٥٢ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون*» ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمناً طويلا، أطعنا فيه سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، وأخذنا الأجانب من ناحية سلطتهم أخذا وبيلا، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم فتيلا «٧٦: ٢٩ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.» ولا سبيل إليه إلا باتباع هدايته، والسير على سننه في خليقته، «١٧: ٨٤ قل كل يعمل على شاكلته، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ٩٢: ١-١٠ والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، وما خلق الذكر والأنثى، إن سعيكم لشتى* فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى*

فعليكم أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة، واختلفت دعوة الدعاة، أن تجيبوا داعي الله، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله لإعلاء كلمة الله ومواساة عياله، واتقى أسباب الفتن والمحن، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وصدق بالشريعة الحسنى، والخليقة الفضلى، تصديق إذعان، يتبعه العمل بالجنان والأركان، والتعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان، فإذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خطط النجاح اليسرى، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن بخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأمته وملته ، وكذب في نفسه بأن الشرعة الحسنى، والخليقة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى، فان الله تعالى لا ييسر له بمقتضى سنته الا عسرى الخطتين، وسوءى الطريقتين، فيكون شقياً بماله، مضطرباً في حاله، مبغضاً الى قومه وآله ، لا فرق في هذه السنة، بين الشخص والامة، والامر في الشعوب أظهر لمن يرى ، فما رزئ شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢ : ١١-١٣ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى، وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضروب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سمى نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ، كان حظه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الاركان، وهو الاقرب الى هداية القرآن ١٨ : ٥٩ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً *

وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ١٧ لنفتنهم ٧٢:١٦ فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا «٨٧:٩ فذكر إن نفعت الذكرى ١٠ سيذكر من يخشى»

أما حزب الشيطان، وأنصار الظلم والعدوان، فسيقولون أن هذه الدعوة الى هداية القرآن، هي اجتهاد اقفل بابه في هذا الزمان، والداعي اليها عدو مبين لاهل الايمان، وما علينا الا تقليد شيوخنا أهل الفقه والعرفان، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام، على عواتق أهل السلطة المتغلبين على الأحكام، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان، وان نسخ باستبداده القرآن، وطغى بظلمه في الميزان، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر، ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين، يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة ملية، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم، واذا لم يتبعوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون، ولم تر دعوة من هذه الدعوات أنكرها الرؤساء الرسميون، والامراء المستبدون، الا دعوة هذه الامة، الى الاهتداء بالكتاب والسنة، فلقد قاوموا المنار، وآذوا الاهل والانصار، ودمروا على الدار، واحتووا الكتب والاسفار، وراقبوا الشيخ في عقر الدار، حتى اختار الله له دار القرار، وصادرونا في الوقف وتصدوا للعقار، وهنالك العالم الآثم يمد بغيه الحاكم الظالم،

هذا وقد كان لبلاد الحرية، اصبع فيما كان في بلاد العبودية، بعد

استئناء واثمار ، بشأن الاخراج من الديار ، فكان نجاح المثير ، بديلا من خذلان المثمر ، وطعن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الا رجاء بالله، وانتظاراً لروح الله ، مع العجز والتقصير، وفقد العون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وماجاء به رسوله هو الصدق « ٥٣ : ١ والنَّجمِ اذا هوى * ٢ ماضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غوى * ٢٠ : ١٣٥ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الغرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وانما تتوجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيته انما هي نصوص الكتاب والسنة . فنرغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث يحتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فللمنتقد أن يبين لنا ذلك . وانا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا العلماء والأدباء، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المنتقد مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مخطئاً بينا وأعذرنا، ولا عذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مغتاب ، كاتم للعلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعلة والحكمة والحسن والقبح ﴾

نذكر ماأورده السفاريني في هذه المسائل ليعلم قراء كتب الاشعرية مافي غيرها من الحقائق التي قد تخالفها الى صواب ، وان الاقتصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد . قال في شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار   من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى   كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿وربنا﴾ تبارك وتعالى ﴿يخلق﴾ ماشاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿باختيار﴾ منه فمذهب سلف الامة وأئمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له اسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بعد ان لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى اليه أي يخلق الخلق لا لحاجة اليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الالجاء والاحواج والالزام والاكراه فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه الخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الاشعري وأصحابه وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال — أول الفكر آخر العمل. وأول البغية آخر المدرك — ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعلة قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل لعلة حادثة لزم محذوران (أحدهما) ان يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان لعلة عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) ان تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعلة أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر

احداثه وان كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها و يلزم التسلسل فهذه الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

(التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لا نعني بالعلة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هنالك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول و يلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح . ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك ومما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حجتكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ماتذكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وامثال ذلك

(التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول اكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول اكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الي الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لالتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لاعاجلة ولا آجلة كان عبثا ولم يكن محمودا على هذا وأنتم عللتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقعتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لامصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ولا أحد من العقلاء أحدا بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لماله في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الآمر ومن ثم قال «لكنه» تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار أي لابالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا «لا يخلق الخلق سدى» أي هملا بلا أمر ولا نهي ولا حكمة ومعنى السدى المهمل وابل سدى اذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع «كما أتى في النص» القرآني والسنة النبوية والآثار مما هو كثير جدا أن الله تبارك وتعالى لا يفعل الا لحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئا ولا قضاه ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر «فاتبع الهدى» باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد واهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الامام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضارا للفاعل منافرا له انه تمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضارّ للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فانه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيآت غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

***

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعلة في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا و بعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني أنهما لعلة وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح ولهم في الاصلح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضا

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) ونظائرها ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوازا عند أهل السنة ووجوبا عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به أنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو محال ومن حدوثها افتقارها الى علة أخرى وانه يلزم التسلسل قال الامام الرازي وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فانها قديمة ومتعلقها حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ الاسلام وجمعاً من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وعلا وأقاموا على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقي في مخيلة الفطين السالم من ربقة تقليد الاساطين أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجاب وأجنب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار السعادة) وغيرهما فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان باطل والله متعال عنه لمنافاته لحكمته فقال تعالى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) فانكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى انكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله قوله تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وانه متعال عنه فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الايجاب والتحريم شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الاول فلمثبتي الحسن والقبح فيه طريقان احدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن والقبح وأربابه يقولون باثباته ويصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد وبنفي ايجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الايجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لامزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف انه لاتلازم بين الحسن والقبح وبين الايجاب والتحريم العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فللناس فيه هنا ثلاث طرق أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحريم العقليين شاهدا وغائباً وهذا قول المعتزلة وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهدا ويترتب المدح والذم عليه وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبته منهم يقولون ان العذاب الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الايجاب والتحريم العقليان غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك باللزوم الذي أوجبته حكمته وانه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب واللغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كماله وغناه قالوا وهذا في الافعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات انه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما أن ذلك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المعتزلة أشد مقابلة واقتسما طرفي الافراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحريم الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحريم عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلا كتحريم الظلم على نفسه فانهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت مالم يحرمه على نفسه ولم يوجبه على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته حكمته وكماله والفرقة الوسط أثبتت له ما أثبته لنفسه من الايجاب والتحريم الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كماله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «ياعبادي أني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحداً) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون فتيلا) فاخبر بتحريمه على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضربوا له من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المعطلة امتنعت من اثبات المثل الاعلى الذي أثبته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في صفاته بالجمادات الناقصة بل بالمعدومات وأهل السنة نزهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ونزهوه فيها عن الشبيه والمثال فأثبتوا له المثل الاعلى ولم يضربوا له الامثال فكانوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا انه لايقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لايقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالما وأنه اذا اشترك اثنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظالما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله واحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الامور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والا فكل مايقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظلم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقووه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فانهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير ملكك بل انما عذبت من تملك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبد له ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وبقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وبقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وبما روى عن اياس بن معاوية قال: ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فلله كل شيء . والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلدهم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار ممتنعا لاخباره أنه لا يفعله لا لمنافاة حكمته ولا فرق بين الامرين بالنسبة اليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لارادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته واخباره بأنه لا يكون . والتزموا أيضا أنه يجوز أن يعذب الاطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلدهم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معا أصحاب التفسير الثالث وقالوا : الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وارادة هو ما فسره به سلف الامة وأئمتها انه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يداه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها اذا قارنها أوطرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين النقيضين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلما وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين . قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه ان عذبهم فانهم عباده وانه غير ظالم لهم وانه لا يسئل عما يفعل وان قضاءه فيهم عدل ومناظرة اياس للقدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حق يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على انه يجوز عليه تعالى ان يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعها وانه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وانه ليس فوقه آمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعذيبا لحقه

عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لاتفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يارسول الله قال «ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمنا لها فانها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالما لهم وانه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمته خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تتقاضاه شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لا من حيث كونه قادرا عليهم ومالك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اه

(المنار) أيها الأشعري انك ترى في هذه الجملة من النقول عن أئمة الامة ماينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهبا معينا دون النظر في كتب أهل المذاهب الاخرى يفك الآخذ مني ربقة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمحيص والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصلحة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضلل أحدا من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهو ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهملة ثم رأيناها الآن فنذكرها سردا ثم نجيب عنها والظاهر أنها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي

(السؤال الاول)

ماقولكم متع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الاوتار التي هي من آلة الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصريحهم بانها شعار شربة الخمر وبفسق مستمعها وتأثيمه ورد شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضا يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والمخنثين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ما ملخصه ويحرم استعمال آلة من شعار الشربة كطنبور وعود ورباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولأنها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواجر عن اقتراف الكبائر ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما المزامير والاوتار والكوبة فلا يختلف في تحريم استماعها وكيف لايحرم وهو شعار أهل الخمور والفسوق ومهيج للشهوات والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه: اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: وذكر من جملتها اتخاذ القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوتار والمزامير (وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عد كبائر الذنوب ما لفظه: واللعب بآلات اللهو المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوتار: وكتصريح هؤلاء الأئمة تصريح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم واتفاقهم عليه حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسامعه وعلى رد شهادتهم (فهل) قول هؤلاء الأئمة وتصريحهم بما ذكر معتمد في المذهب ومعول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿ السؤال الثاني ﴾

وما قولكم متع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصريح هؤلاء الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة المذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح تلك الآلة المحرمة كتصريح الشيخ ابن حجر في التحفة بقوله إني رأيت تهافت كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوتار وغيرها ولم ينظر لكونه مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي في تأليف له في السماع ولغيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصريح) الشيخ ابن حجر في الزواجر بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبيه انه كان يبيح سماع العود ويسمعه وأنه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذرعي عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبيه كما رأيته في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مهذبه بتحريم العود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين تقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصريح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم   والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيحت عنده الاوتار   والعود والطنبور والمزمار

(وتصريح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعه أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهريته الشنيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما و بعدهما من اللهو انتهى ملخصا وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكي عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد أنهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصريح هؤلاء الائمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أحل الاوتار و بتكذيب نقولهم معتمد في المذهب ومعول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصلحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائطها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكمال المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابدتها والورع والزهد

كما لا يخفى على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالمشرع الروي والجوهر الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحميدة وشدة مجاهداتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الغوغاء بسبب هذه النسبة والافتراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قولكم متع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المترسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم الغوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزر المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم «مَن سَن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» ام لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم متع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في ما نص به العلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لا نسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بحظوظ البشرية قلنا له كذبتَ على طبعك وكذبتَ على الله في تركيبك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَن فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب انتهى وفي ما نص به الشيخ البجيرمي على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهورهم وضلالهم فلا يعول

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاغترار بخرافات الاغيار ام لا افتونا فى هذه الاسئلة فان البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها وطارت شررها اهل الله بنور علمكم يطفيها لا زلتم ناصرين لشريعة سيد المرسلين وللمعاونة على البر والتقوى مماونين احيا الله بكم الاسلام آمين اه بنصه

﴿ جواب المنار ﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللهو قديما وحديثا وأكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ماورد من الاحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ماهو الحق الجدير بالاتباع ثم نتكلم على اسئلة السائل

﴿ أحاديث الحظر ﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع أن ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال ابو علي اللؤلؤي سمعت ابا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود . وفي لفظ لأحمد أنه قال بعد الميسر « والمزر والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبدة ويقال

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين انه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب. وقال المنذري ان الحديث معلول، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو «عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام»

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بذيمة وقال ابن الاعرابي الكوبة النرد وقد اختلف في الغبيراء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص فقيل الطنبور وقيل العود وقيل البربط وقيل مزر يصنع من الذرة أو من القمح وبذلك فسره في النهاية. والمزر بالكسر نبيذ الشعير. والمعتمد في الغبيراء ما قاله في النهاية من انها من الأشربة والقنين قيل لعبة للروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحبشية فظهر بهذا ان الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقا

(٤) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يارسول الله قال «اذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب: أقول وقد أخرجه من طريق عبّاد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورؤوس البدع الا انه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثا واحدا مقرونا بغيره وقال ابن عدي أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال قال يحيى بن معين ليس بشيء. والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضا» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول ان راويه عن أبي هريرة هو رميح الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنتقى وفي اسناده فرقد السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيي بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق المزامير والكبارات » يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبدالرحمن . قال البخاري عبيدالله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف ، وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيي بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روي عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٣١ : ٦ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحميدي في مسنده بلفظ « لا يحل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم

(٩) عن ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق في القلب » رواه أبو داود مرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني ينافق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت انه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللهو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿أحاديث الاباحة﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما ياأبا بكر فانها أيام عيد » وفي رواية يأأبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا » فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب متفرقة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وانما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان نائما لم يسمع

(٢) وعنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ما كان معكم من لهو فان الانصار يعجبهم اللهو » رواه البخاري. قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم لهو » : في رواية شريك فقال « فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟تقول

اتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الاحمر ماحلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ماسمنت عذاريكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفينا نبي يعلم مافي غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لاتقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس واذا جوار يغنين فقلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالا اجلس إن شئت فاستمع معنا وان شئت فاذهب فانه قد رخص لنا اللهو عند العرس: أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن بريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا ان أضرب بين يديك بالدف وأتغنى: قال لها «ان كنت نذرت فاضربي والا» فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل عليّ وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك ياعمر، إني كنت جالسا وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت ياعمر ألقت الدف» رواه أحمد الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي.

﴿ خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم ﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ماورد فيه مما يحتج به. وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعا وغناء القيان وهن الجواري المغنيات وقد رأيت في أحاديث الاباحة إباحة العزف بالدف وغناء الجواري وانعقاد نذره. ومما ينبغي الالتفات اليه أن كلام أبي بكر وكلام عامر بن سعد يدل على ان الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهو لاسيما أصوات النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس بتحري السرور فيها كالعيد والعرس وقدوم المسافر. فأحاديث الإباحة مرجحة بصحتها وضعف مقابلها ونكارته، وبكونها على الاصل في الاشياء وهو الإباحة، وبموافقتها ليسر الشريعة وسماحها وموافقتها للفطرة. وهذا لاينافي أن الانصراف الزائد الى اللهو والاسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين. ولهذا رأيت كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد النكير على أهل اللهو لما كثر وأسرف الناس فيه عندما عظم عمران الأمة واتسعت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم سماع الغناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحكي خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل الاوطار قال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الغناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى التحريم مستدلين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود واليراع ، وقد حكي الاستاذ ابو منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء بأسا ويصوغ الالحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره وكان ذلك في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكي الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا عن القاضي شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي . وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي الدم : نقل الأثبات من المؤرخين ان عبد الله بن الزبير كان له جوار عوّادات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فناوله اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهن جارية تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهن شيئاً قال انطلق الى رجل هو أمثل لك بيعاً من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهن فقال لها خذي العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الاندلسي أن عبد الله بن عمر دخل على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لا بن عمر هل ترى بذلك بأساً قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص انهما سمعا العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الغناء بالمزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والمزهر عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواريه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفتي المدينة . وحكى الروياني عن القفال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف « وحكى الاستاذ أبو منصور والفوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب المكي في قوت القلوب عن شعبة انه سمع طنبورا في بيت المنهال بن عمرو المحدث المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع انه لاخلاف بين أهل المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل المدينة قال ابن طاهر واليه ذهبت الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة كلهم(١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاه أبو الفضل بن طاهر عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاه الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاه ابن الملقن في العمدة عن ابن طاهر وحكاه الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاه صاحب الامتاع عن أبي بكر بن العربي وجزم بالاباحة الادفوي — هؤلاء جميعا قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع ان الغزالي في بعض تآليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه

(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلما وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحمزة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبدالله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورباح المعترف كما أخرجه صاحب الأغاني والمغيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره. وأما التابعون فسعيد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبدالله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الائمة الاربعة وابن عيينة وجمهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي

« واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكراهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحزان والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تحريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو ابي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ماقاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ماذكرنا في الكلام على أحاديث الحظر ما نصه :

« وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد وافقه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه : وأطال الكلام في ذلك بما يكفي » اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويجاب عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سندا ومتنا . أما الاسناد فللتردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متنا فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليشرب أناس من أمتي الخمر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويجاب عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وأبا مالك الاشعريين فتبين بذلك انه من روايتهما جميعا . وأما الاضطراب في المتن فيجاب عنه بأن مثل ذلك غير قادح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض ألفاظ الحديث تارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويجاب بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالته فقالوا لا نسلم دلالته على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة «يستحلون» ليست نصا في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويجاب بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملابسة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملجئ الى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف مختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملا لأن يكون للآلة ولغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما ان يكون مشتركا والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازا

ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت أنه ليس فيه الا لفظ المعازف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويجاب بانه يدل على تحريم استعمال ماصدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لان اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على ان الراجح جوازا استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر في الاصول (وثالثها) انه يحتمل ان تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترنة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ « ليشربن اناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتغدو عليهم المعازف » ويجاب بان الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم ان الزنا المصرح به في الحديث لايحرم الا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وأيضا يلزم في مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ «انه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ ولا يحض على طعام المسكين» انه لايحرم عدم الايمان بالله الا عند عدم الحض على طعام المسكين فان قيل تحريم مثل هذه الامور المذكورة في الإلزام قد علم منه دليل آخر فيجاب بان تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضا كما سلف على انه لاملجيء الى ذلك حتى يصار اليه (ورابعها) ان يكون المراد يستحلون مجموع الامور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد وقد تقرر ان النهي عند الامور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويجاب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانيا بالاحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في اسانيدها ويجاب بأنها تنتهض بمجموعها — ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها ان تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما احاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فانها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « ان الغناء ينبت النفاق» فانه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في اماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيب ورنة شيطان » واخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعا «ان الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الغناء » والاحاديث في هذا كثيرة قد صنف في جمعها جماعة من العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الاربلي والذهبي وغيرهم

« وقد أجاب المجوزون عنها بانه قد ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية وقد تقدم ماقاله ابن حزم ووافقه على ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه الاحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر انه لم يصح منها حرف واحد والمراد ماهو مرفوع منها والا فحديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٣١ : ٦ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » قد تقدم انه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال انهم لوأسندوا حديثا واحدا فهو الى غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في تفسير قوله تعالى : ومن الناس : الآية انهما فسرا اللهو بالغناء قال ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى : ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافرا ولو أن شخصا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوا لكان كافرا فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا ليضل به عن سبيل الله انتهى — قال الفاكهاني اني لم أعلم في كتاب الله ولا في السنة حديثا صحيحا صريحا في تحريم الملاهي وانما هي ظواهر وعمومات يتأنس بها لا أدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٢٨ : ٥٥ «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وأي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال — الاول انها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم. والثاني ان اليهود أسلموا فكانوا اذا سمعوا ماغيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث انهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع انهم ناس من أهل الكتاب لم يكونوا هودا ولا نصارى وكانوا على دين الله كانوا ينتظرون بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان الكفار من قريش يقولون لهم أف لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من هذه الآية انتهى . ويجاب بان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

«ومن جملة ما استدلوا به حديث «كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل الا ثلاثة ملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه» قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب صحيح لأن مالا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلهي بالنظر الى الحبشة وهم يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك الأمور الثلاثة

«أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم من انه حديث منكر وأيضا لو كان سماعه حراما لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ولنهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعه فيحتمل انه تجنبه كما كان يتجنب كثيرا من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته درهم أو دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار على الراعي انما كان لعدم القدرة على التغيير لأنا نقول ابن عمر انما صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار فيه دليل على عدم التحريم

«وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ٧: ١٥٧ «ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخبائث » ووجه التمسك ان الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بازاء المستلذ وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بازاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض أفراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيبات المستلذات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ماقاله المجوزون انا لو حكمنا بتحريم اللهو لكونه لهواً لكان جميع مافي الدنيا محرما لانه لهو لقوله تعالى ٤٧:٣٦ « أنما الحياة الدنيا لعب ولهو » ويجاب بانه لاحكم على جميع مايصدق عليه مسمى اللهو لكونه لهوا بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه المعلل في الآية بعلة الاضلال عن سبيل الله لم ينتهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرر ماحررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولاسيما اذا كان مشتملا على ذكر القدود والخدود والجمال والدلال ، والهجر والوصال ، ومعاقرة العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ماكان كذلك لايخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول ، وأسير بهموم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيفاء للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينعقد . وهذا يبطل ماقاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

---

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الاباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * ٢١ : ١٨ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المغلوبين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتذروا عن أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ، والقاهرين في حكمهم ، ان يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلو ولا يعلى ، وأن الحق هو الذى جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، وقد يعتور الأمة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها حليفة الحق فى الطورين ، لم تتعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله تعالى فى الافراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، و يعتذر عنها بالقوة اذا هو غُلب وقهر ، وهذا الغرور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل الينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على الحق ، الا تلك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها مثلا ، وهي لا تصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غُلب الحق لما كان حقاً . والحق أن الحق قد يخفى ، وقد يترك و ينسى ، ولكن ما صارع الباطل الا صرعه ، ولا قارعه الا وقرعه ، « وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا ثبوت أو لا تحقق له في نفسه وما لا ثبوت له ولا تحقق لا يمحق ما كان ثابتا متحققا

كما هو الشأن في الموجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون الا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان الا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية (٢) الوجود والسنن الكونية (٣) السنن الاجتماعية (٤) القوانين والمواضعات العرفية (٥) الدين والشريعة الالهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم المحق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة الا بغلب دائم ، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأوغلها في الابهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى احدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . وبيان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع انما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو افادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وانما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان الغلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العليا وغير العليا ذلك الزمن الطويل الا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقا ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فاذا كانت المقدمات مسلمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فاذا غالبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه الى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ — وهو ماسلمه من المقدمات — لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجئت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصد بهذا المقال الى غيره مما نرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كل وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخليقة فهو حق والخلل فيها باطل لا تحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفلتات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٦٧: ٣ « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٣٢: ٧ «الذي أحسن كل شيء خلقه» ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب الى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بحقائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بجهلهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وانه سبب لسيادتهم، وانهم هم بجهلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » ويقول ٤٥: ٢٢ «وخلق الله

السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» وفي معناها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بان سعة الملم بالسموات والأرض من الحق الذي تعتز به الامم، وان جهلت الامة وهلكت، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

للكون سنن في تكوّن الأحجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نمو النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الاجسام وافتراقها وتحللها وتركبها وهي ماعنيناه بالاصل الثاني . وللبشر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسيرون وفيها يتقلبون فقوتهم وضعفهم وغناهم وفقرهم وعزهم وذلهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لاتباع سنن الله في السير على أحد الطريقين المشار اليهما بقوله تعالى في الانسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتنكبها خروج عنه الى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الامم، هم الآخذين باطراف السعادة من أمم، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو مابه الاختلاف وان كان الغالب القاهر مبطلا في شيء آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لاتتبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨: ٣٨ «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين» أي فانه يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الامم في سورة الحجر ١٥: ١٣ «وقد خلت سنة الأولين» وقوله في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣: ١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بعد هذه الآية «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات

فهذه الآيات البينات حق وما ترشد اليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الامم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الارض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولا تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والعجائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي تواريخ الامم يعده رجال الدين منهم جانيا على الدين صادًّا عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الازهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتماع صدًّا عنه وجناية عليه من القرآن الذى هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهدية بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون و يسودون ، وهم يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١ : ١١٦ « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴿ ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ » فسروا الظلم هنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امراؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لانه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل والعمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالآخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاركها مادامت الامة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقا في عرفها حاقة له فاذا رجعت الامة عن عرفها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يسد ذلك حقا لان حقيته لم تكن لذاته وانما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوربا على الممالك المشرقية وافتياتها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة انه ليس لدولة أن تفتات على أخرى في ادارتها الداخلية ولكن أوربا تفتات وتغلب فهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي ان أوربا سلبته من تركيا في مصر أو كريت مثلا اما أن يكون حقا طبيعيا يملك ويحفظ بمقتضي سنن الله في الاجتماع البشري أو حقا عرفيا يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فان ادعى المدعي الشق الأول فاننا نمنع دعواه ونقول ان سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والاصلاح في الارض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الامة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوربا فلا حق طبيعي هناك. واما الحق العرفي فقد قلنا انه ليس حقا ذاتيا وانما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد اتفقت الدول الكافلة للقوانين العامة على ان لا تعامل دول المشرق بما تتعامل هي به وأن تفتات عليها بحكمة حتى لا يفضي الافتيات الى الحروب ، التي يخسر فيها الغالب والمغلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوربا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسلطان ، كما تقدم البيان مؤيدا بالقرآن ، فان قيل ان أوربا تظلم في البلاد التي تفتات فيها: قلنا نعم ولكن ظلمها دون ظلم حكام البلاد المفتات عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون

ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم بسنن الكون وسنن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق وأما قوله: القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب حقا أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظانون في الحق غير الحق ان القضاة بظلمهم ووكلاء الدعاوي بحيلهم وختلهم كثيرا ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : ونقول ان هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكام فلا قانون ولا شريعة وانما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم عادلا والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم المحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحجة والحجة ولم تنس ما قلناه فيها عند الكلام في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والعجز يخفيه: وقال المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح وانما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون ١ وطور سينين ٢ وهذا البلد الامين ٣ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ٤ ثم رددناه أسفل سافلين ٥ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله بأحكم الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الانسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك انه خلقه وجعل له من الحواس ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضارّ عنها ومن العقل ما يميز به بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة الجهل بوجوه المصالح والمفاسد والمنافع والمضارّ سواء كانت للأفراد والأمم والشعوب، والجهل من الباطل وبه ردّ الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعاته يجنون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون انهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطيء في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد للفطرة والعقل يحدد لهما الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارّة وذلك هو الدين الذي نفثه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهروا في معاهد منبت التين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصلح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو مريد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجتماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢ : ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وقوله ٣٩:٧١ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد الخ وقوله ١٣ : ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

السيل زبداً رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جُفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال» و بالآيات التي افتتحنا بها هذا المقال · ومثل قوله ١١ : ٤٩ ان العاقبة للمتقين » وقوله في السحر الذي هو باطل لاحقيقة له ١٠ : ٨١ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته» وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفاق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذا هما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا ما يعرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلته عنه

ذكرت لصديق لي هذا المبحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني انه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصرع الباطل و يصفعه فرأى الباطل ان لا طاقة له به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكيدوا للحق كيدا فجاءوه يلقون اليه السلم و يدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهيلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيبطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوته العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقالهم عليها خوفا منه والباطل يسرح و يمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينهما ولكن الحق ما عتّم أن انتفض انتفاضة نسف بها أولئك المتثاقلين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره ·

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود و يثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق و يقاومه به وأن ذلك لا يدوم · فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الارض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافنة للحق

وائسة له فيكون باطل الحكومة غالبا لباطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم وتفشى وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل الحكومة الظالمة فجندله وربما جندلها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادلة أو ظالمة تفتك بها وتقلص ظلها ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا يثبت أن الدين في جملته حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون فيها قاعدة الأصلح والانفع لهم . فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين (أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب موافقة للفطرة في تقويم الملكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنن الاجتماع وقواعد العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيهما) كون عقائده راسخة في عقول الأمة مؤثرة في قلوبها ، وآدابه حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند أمرائها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الامة في الاعتقاد والعمل ولاهله الغلب والسلطان على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم عنه من المعطلين لانه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي القوانين والمواضعات العرفية التي تسنها الامم لانفسها وتعتقد أن فيه خيرها وحفظ حقوقها كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٢٤:٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم — الى قوله — ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » وقد فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الارض

ونقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ٤٣ ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور * ومثل قوله ٤:١٣٥ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا * وقوله ٥ : ٨ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام بالقسط دائما وهو العدل وبالشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غني ولا رحمة فقير مبطل ويأمرهم ان لا يحملهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٤:١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤٣ ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الارض واهلاك الظالمين والمفسدين كثيرة جدا

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون الى الاسلام وان لم يقوموا بالقسط والاصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يجيز هذا الكتاب الحكيم لمدعي الانتماء اليه بالقول دون العمل اذا رأى استيلاء الاوربيين على بلاد المسلمين والافتيات على حكامهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول ان هؤلاء الاوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلا انه لا يجيز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الامم بالشرك اذا كانوا مصلحين في الارض بالعدل وسائرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الامم الظالمة مهما كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومثلها كثير وأعظم عبرة للمسلم انكسار الصحابة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الاجتماع في الحرب فخالفوا القائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ٣: ١٦٥ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتى يرجع وما أسرع رجوع المؤمن الى الحق اذا زل عنه

لهذا أقول ان الوصول الى حق اليقين في التوحيد ينافي الاصرار على الظلم ، والتمادي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الاسلام الاعمال الصالحة بعد ترك المفاسد سياجا للايمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتناء ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المذعن بقلبه لعقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواه ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الاله العظيم الحكيم القوي العزيز وانما رضوانه بالناس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والاحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ٣ : ١٧٥ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سنته في الايام يداولها بين الناس ٣: ١٣٩ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين * فهل تنطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم ان ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لا هداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالانتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون، ولا ينظرون ولا يتفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هؤلاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأييده « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام دينا من العمل بكتابه والاهتداء بسننه في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الامر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بعدله وسلط عليهم من هم أقرب الى الاخذ بسننه منهم كما توعدهم بقوله ٨ : ٤٦ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين *(راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والمبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الاتيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبكار المسائل التي لم يفترعها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتدينا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الازمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم، والآيات المبينة لسننه في الأمم المستحقة للإهلاك والاذلال، ويعرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آنا بعد آن برؤية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقي البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»

فعلى المسلمين ان يعلموا أنهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم — وهم محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة — أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليهم ان يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود اليهم، إن الاسلام لا ينصر في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجي في الآخرة بالخرافات والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغٌ فهل يُهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون، ٨: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون» «ولا تغترّوا بديكم الذي اليه تنتسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ٦: ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٤٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * وقد أنذركم ما حل بهم لعلكم تعتبرون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون * ١٤ قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين * ١٥ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين * ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

آثار علمية أدبية

﴿ أجابة سؤل ﴾

﴿ أو نقد شرح ديوان أبي تمام ﴾

لاديب متنكر ، تأخرت عدة أشهر

النقد على العلم فضل يذكر ، ومنة لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، واذا أبيح النقد في أمة واستحبه ابناؤها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائداً لها الى بحابح المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد ومايعود عليهم من ثمراته الشهية فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها و بيان صحيحها من فاسدها وبالامس اطلعت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثاً في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المشتغلين باللغة نقد ما علقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عين جائزة لمن عثر فيه على عشرة أغلاط فأ كثر . فأ كبرت صنيعه، واستدللت منه على كبر نفسه ، وعلو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة، وها أنا ذا قد أجبت سؤله ووافيت رغبته في الاشراف على ذلك الشرح ثم نقد ماتبين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناه ، او حمله على غير ما أراده قائله منه، قال:

(ص٢) قد كان خطب عاثر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العاثر الساقط والاقالة الاخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط واذا عثر قيل له لعاً لك أي انتعاشا ونهوضاً . قال في الاساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجد عثوراه وعثار زمان المرء وعثار جده

* نودع عبارة الشارح المنتقدة بين قوسين ونضع إزاء كل بيت عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحول حاله ومفاجأة النوائب له. وحقيقة الإقالة فسخ البيع وابطاله قال في الاساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه. ومجاز الاقالة يستعمل مع مجاز العثار. فقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سيء" يقال خطب عاثر أي سيء" فظيع منكر. ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقته وهي الساقط كما قال الشارح وانما المراد مجازه كما ان المراد بالاقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالاخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنعشه ونشطه والشاعر يرمي الى غير هذا. وقد فسر الشارح الاقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت.

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتعوا فما خالد من غير درب لكم درب

(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حواليها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا. والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت

(أيت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأية بقعة تبوأتها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * باي كتاب ام بأية سنة * وورود تأيا بمعنى توقف وتمكث لا يجيز لنا استعمال أي بمعنى اقام كما لا يجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وانما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مربوطة ابتغاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)

(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بعد دثوره وأنهج سبل الجود حين تعفت

(أنهج قوم) أنهج السبيل أوضحها واظهرها بعد عفائها واضمحلالها. وقومها عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الغيابة وانفرت جلابيب جور عمنا واضمحلت

(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعته وانفرى الاديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلابيب فسر بالانكشاف والانحسار مثلا . ومثله تفرّى الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القبيل جاب ومعناه قطع كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أو انجاب الظل فسرا بانكشفت وتقلص مثلا .

(ص٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا منعت جفونك ان تذوق حثاثا

(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل أو نحو نصفه اما الموهن فمعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الوهن الوهن عنوا بعد ساعة من الليل أو نحو نصفه لا الضعف . والطارقات المليات ليلا فالموهن في البيت بالمعنى الثاني

(ص٦٦) من كل رعبوبة تردّى بثوب فينانها الأثيث

(فينانها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر و يطلق أيضاً على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيها له بأفنان الشجرة اذا التفت وتكاثفت فالفينان من الفنن وهو الغصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوبا من شعرها الكثيف

(ص٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة تظلم الدنيا لنازحها

(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي الى مفعولين ثانيهما بحرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهمها من حسنها البرد

(البرد المتبادر أنه جمع بريد وهو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقلا عن الفائق البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعربوا « بريده دم » وخففوها الى بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد وكانوا يقطعون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد بريدا ومنه قول بعض العرب الحمى بريد الموت والحديث «اذا ابردتم الي بريدا

فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم» وسميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع» الابيات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار الممدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمى متونها　　ورب القنا المنآد والمتقصد

(المنآد المتحرك) أود العود اعوج وآده واوده حناه وعطفه فتأود وانآد انحنى وانعطف والمنآد المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرماح التي يوشر الطعن بها فمنها ماتكسر ومنها مااعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص ١٠١)　اذا مادعوناه باجلح ايمن　　دعاه ولم يظلم باجلح انكد

(اجلح شديد مقدام) يقولون يوم أجلح واصلع أي شديد وقالوا جلّح على الشيء من باب فرّح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي منه التفضيل على افعل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس كالصلع أواخف منه يريد الشاعر ان الممدوح الذي فتك بابايك ان كانت جلحته مباركة علينا ودعوناه لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشؤومة على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكد . ونسبة اليمن والنكد الى الصلعة معهود كنسبتهما الى الوجه والطلعة　　(له بقية)

﴿ التقريظ ﴾

﴿ الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية ﴾

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الالهيات هي طريقة السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى وعلى الجوهرة وآخرهم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ماهو سلبي كالقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني من التعلق ماذكروا حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطال في باب النبوات أكثر مما أطالوا فذكر أشهر معجزات الانبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو انها جائزة عقلا اذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدرة الله صالحة للتعلق بايجاده وقد أخبر الصادق ان ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه ايضاحا ورداً لشبه أهل العصر. ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها الى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام. قال ان الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق:

أقول ان مسألة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج وورد في رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في اللآلئ وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعلي صليت؟ قال لا قال «اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت: رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب: ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم. أقول وما ورد في حبس الشمس ليوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بصيغة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات لئلا يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات. فهو يقول

مادمنا نؤمن بقدرة الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يؤثر عن أصفياء الله تعالى وان كان مخالفا لسننه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع مايرد على هذه الخارقة بعد التصريح بامكانها قال «ص٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التي تدور: لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذا بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويغرق أهلها: قلنا ان القادر على ايقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعا للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما السلام . لأنا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتداء ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الايمان الذي يحييها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالايمان ممن آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداه ويتصورون بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل تلك الخارقة لاجلها . على أن ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيأ يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلا منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شيء منهما الذي عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيما وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو اعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الارض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطالب وقوف الارض أو عكس حركتها عوضا عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الامر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطا من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض أو غربت أو وصلت الارض لمقابلة نور الشمس أو فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة اذا علمت ما قررناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم انا معشر المسلمين آمنا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام ، يهدي و يثبت بها الالوف من الانام، » اه بحروفه

ولا يحسبن القاري أن الاستاذ المؤلف يحكم بأن من أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحدا لتعبيره عن المعترض بلفظ الملحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أيّ حديث من أحاديث الآحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثا ضعيفا أو منكرا باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحدا اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشيء ثبت عنه عنده ثم ينكره لعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الاحاديث لعلة في رواتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعلة من ذلك لا يعد ملحدا ولا مبتدعا ولا عاصيا ولا منحرفا عن سبيل المسلمين لاسيا إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجح عنده أن من جرح رواتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان ما ذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيده رواية

الحديث فيها اذلم يرد أن كافرا آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برؤيتها . ولا شك أن هذه الخارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب العصا حية ونحو ذلك فلو تحدي بها لرجي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل رواتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضع السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويلها أو ازالتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان في رواية مطعون فيها من المحدثين ، فهي لا تفيد الظن فضلا عن اليقين ،

وانما نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعيات وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولا مشهورا لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله ممن لا علم لهم بحقائق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الى انكار ما ثبت به وصار معلوما من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيأ مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصنم اختيارا .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وثمن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفرنجية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكلمة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهرية) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهرية وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و ٢٠ فرنكا في غيره . والقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونعني بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . وثمن النسخة الواحدة منها ستة قروش . وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتبة العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه

(الطبيب المصري) قصة أدبية اخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي المراوي من عمال نظارة المعارف ولم نتمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتها لنبدي فيها رأيا فاكتفينا بالتعريف اعترافا بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . وثمن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتتحة برسم الاستاذ الإمام وبترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فنرجو لها العمر الطويل ، ونثني على صاحبها (محمود بك حسيب) الثناء الجميل والمجلة شهرية يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشا في مصر و٣٥ فرنكا في غيرها

(الاخاء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في مصر و٢٥ فرنكا في خارجها فنتمنى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحي الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فنتمنى لها الرواج ونرجو لها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالمدافعة عن الاوقاف فنتمنى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

باب الأخبار والآراء

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأثير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ما أضافت وكتب الينا بعض أهل الغيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد للإمداد الدعوة إن وجدت ، ومن ذلك ما كتب الينا به بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجابان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحببنا أن نكاتبه ونعين بما نقدر عليه فوصلنا منه ماترونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجعوه الينا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يؤلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فمسى وامل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالما بخمسة آلاف روبية ليذهب الى جابان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الاخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرتها ولكنا لانوافقكم في أن سروات مصر لايكتتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتتبون سنويا لعيد الجلوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعلق بذهنه فضلا عن أن يثيب على ذلك فمن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا نزيدكم توصية بالتكرار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الغيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارته قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ماهو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابة بعض عبارات في مجلة شوكيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلآخر شرحكم فهمناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تعجبنا من ذلك لعلمنا بعدم وجود هكذا شخص بالصين أهلا لذلك ونأسف كما يأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجـل وهم أحوج الناس اليه

« ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعني عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزاكا ومنها الى ناكازاكي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطب بهذا المعنى والآن نجهل محل اقامته كما نجهل (ادريسه) الا أنه يمكن نحرر له بالاسم المشروح أعلاه بالانكليزي الى يوكاهاما أم ناكازاكي . وغدا ان شاء الله سنحرر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليكم الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تائهين حائرين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أسماءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هـذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط .... على مذهب الشافعي .. وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لا ننكر وجود جملة إسلام يعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العالية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكر ربنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب .. » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهر أنه يريد بالجبان اليابان وبالأدريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الغراء ما ترجمته :

حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة نجاساكي اليابانية في ١١ دسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين اللادي مس رنيدلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء . وفي اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة اياها أحسن تقريظ وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح ومسرة عن التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اه

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيني هو الجرائد العثمانية ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي للاسلام هنالك صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لان أهل الهند أعلم بها من أهل الصين ومن لنا بمن يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعلنا نجد فيها ما يطمئن له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في أن هذا العمل الجليل لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب الينا من سنغافوره ان المصريين وحدهم يضطلعون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيد ظنه بقياس الجد على الهزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في المصريين لأملاً مّا ولكني أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل الاقطار عليه . ويرجى بعد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب الهمم العالية والغيرة الصادقة ان تصير الثقة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمح من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهؤلاء قد فسدت فطرتهم فلا رجاء فيهم ، ومنهم من لا هم له الا الاسراف والتبذير في سبل الشهوات واللذات والفخفخة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبيد الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته، وتحسن خاتمته، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفريقا أو يوقف وقفا على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ؛ ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وان كانوا قادرين وانما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الاعمال العظيمة فقليل، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل،

(منار السنة التاسعة — تنبيهات)

(١) اننا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جملها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءتها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما يذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٩ : ٢٥ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجعله في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عد مشتركا الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا أننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شذ فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذبا

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا الينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركي سنغافوره وجاوه والهند أن قيمة الروبية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الروبيات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق

(٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك. وقد حظرنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئا من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكيل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبو خطيوه) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يحر جوابا ولعل له عذراً يظهر عن قريب. فنرجو من فضلهم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نبذا من المباحث الادبية منظومها ومنثورها ونذكر في الجزء الآتي كلاما في المغرب الاقصى ومسألة العقبة وماشاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم الى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم ان هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وبتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحتقر من يتلوث بالخسة والدناءة. وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لا للتربية العامة . فمن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناع والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ وان أكبر خدمة تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية لهذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرجى بها ان يكونوا صناعا وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا أن اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وكم من عامل ترك العمل لان رجلا قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يمسكون من أجور العمال شيئا بمثابة الرهن فمن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضا لصاحب المطبعة عما يخسره باهمال العمل الى أن يجد عاملا بديلا منه . وقد تبلغ البلادة والحماقة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليغيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الايام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويعسر على أذكى الاذكياء وأفصح البلغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقحافهم المحيطة بأدمغتهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتئام . فتبا للمتفرنجين المجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لجام ، فاستحل أكثرهم الحرام ، وخزيت بهم الأنام ، — هذا وان تأخير هذا الجزء عن موعده كان لامتناع بعض العمال عن العمل أياما وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ — ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الافراط والتفريط ما نصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل السنة كافة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون ان الله تعالى فعل عندها لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري ان الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك أنه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر أن يكون لحكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكي عنه انه كان يخرج الى الجذمى ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا؟ انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس الا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح و ينزل الماء بالسحاب و ينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلابد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات بأسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (٢٨: ١٥ هذا من عمل الشيطان) وقال (١٨: ٦٣ وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٤: ٧٨ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون و يصنعون و يعملون ويؤمنون و يكفرون و يفسقون و يتقون و يصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان أئمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيأ من الحوادث أفعال الملائكة والجن والانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذ كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في الجمادات (واخرجت الارض أثقالها) وقال (واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (تدمّر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح — وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله — وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جداً

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا ما نصه: ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرة الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوليه كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوليه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان إمام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس

على الله حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في ان أفعال العباد واقعة على حسب ايثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طولب بتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال لله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المعترضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول بأن العبد خالق أعماله فان فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها وسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا — ثم قال يعني امام الحرمين — فنقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بهما قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك لله تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيأ آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهتدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيأ اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلما وقضاء وخلقا وفعلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مراء فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا أنه عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما لربه في التدبير موقعا ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره؟

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

القشاشي ولايخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك ومكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بإلحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الاشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الاشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الاشعري بما ينزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لانه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الاشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به مؤدى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على انه أي الاشعري انما نفى الاستقلال لا أصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محققي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاغضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسبباتها ولا لقدرة الانسان في عمله وأن الله يخلق المسبب عند السبب لا به وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتمزوا هذا الى الاشعري وكبار انصاره ليعلموا أن كلام الاشعري ليس نصا في ذلك وأن اكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والاسفرايني والغزالي قالوا بخلاف ذلك فلم يبق الا الباقلاني عليه فهل نحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الاشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطبيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشغال وقد رأيت الآن أن أعود اليه بايضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الاسلام . الذين يعدون النسخ في القرآن دليلا على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كله كما نعتقد وليعلم هؤلاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس إلا حصى لا تزحزح طودا من مكانه. ولولا غفلة المنتمين الى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظنا منهم أنها نوله.

القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الاسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالبا في العصر الأول ان صحت الروايات الآحادية الواردة في هذا الباب . والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ٢: ١٠٥ «ما ننسخ من آية أو ننسها» لآية فكان اذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضا في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبي مثلا يقول اني لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكما ما بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وانا لندع من قول أبي وذلك أن أبيا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الاسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتمسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم وسنفسر ان شاء الله الآيات التي توهموا أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع مّا أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا يحل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أو لوهم واهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار اليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك ينافي حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع . اننا لا ندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٢ : ٥٢ جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية !!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات ؟ ولِمَ يتركون دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا أن لا تعارض بينها وبين غيرها ؟!

غلا الناس في هذه المسئلة غلوًّا حتى انهم أرادوا أن يجعلوها فنا من الفنون التي تؤلف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معا (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر اليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

لكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافقه عليها القرآن فيختلق ما شاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقاة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه . فالخطة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر ويرفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء مما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جلها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له الثاني) الى آخره . ولو عقل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن ان يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون » على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الآحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفى بها ولذلك لا يعتد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والمعوذتين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يعتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواه فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وُلّيَ عثمان الخلافة أمر بالاقتصار على لغة قريش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وكان ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الحافظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدتها تحقق أنه لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهرقت دماء ولقتل عثمان لهذا السبب ولوجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديمها وحديثها شرقيها وغربيها الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويهيمن على هذه المصاحف آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الازمنة . هذا هو تاريخ القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي نؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الاهواء ، وتعددت في شأنها الآراء ،

لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما بني على حكايات رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بمدة تكفي لضياعها أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام كهذه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام – ولله الحمد – دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفره مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليتق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواة أحاديث جميع الاديان والملل ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لانه ليس معصوما . فاهذا الجمود يا أمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قشا يضربنا به .

ولنرجع الى تتميم موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئا ولذلك أذكرها أشهر الآيات التى تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الغليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: ٥ (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا انها نسخت جميع الآيات الآمرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الآيات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التى تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان موقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) كل منهما موقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائما فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيده الا طغيانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم وينتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلاًّ ولا ذمة . لما تحققوا ذلك وقووا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد ويفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنجرب أولا اللين فان لم ينجح فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع اللين مركزنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم . وقال وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألة القبلة — لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وانما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ٥٣ : ١٠ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المعراج ولا ندري جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كرؤياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٤٨ : ٢٧ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا إليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذاً ليس كل وحي قرآنا وانما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية .
وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقا

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين * » قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ماهذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعد من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحدا منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمتثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم امتثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفا) وهذا كالتعليل لعدم ايجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقتا الى أن يقووا . فكأنه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وان كان مثليكم مرتين ويعدكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وانما قدم الوعد الاخير على الأول لأنه أبلغ في الحض على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال.

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * ١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون *) والمعنى أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤونهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذا لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويوبخه ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تتهاونوا في الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣١ (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (٢ : ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من اية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها

أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه. وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية

(السادسة) قوله تعالى (١٦: ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أننا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا انما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله ورحمة دينه للخلق جميعا. وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٥: ٢٤ انا نزلنا التوراة — الى قوله — ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدلك على صحة تفسيرنا ورود بعض الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٦: ١١٤ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الى أن قال (١٢٣ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد: اننا اذا بدلنا آية في موضوع ما بآية أخرى عند تكرر هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا انما أنت مفتر كذاب والا لما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشيء عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بارشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مّا في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نصّ على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فبأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فياقوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه . هداكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) ان مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ويجادلونهم على القرآن وقد أطال الغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والغرض الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من هذه المقالة ردّ هذه الشبهات على أنه يعتقد صحة ما ذهب اليه ما نعو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سننشره في جزء آخر وانه ليسرنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعنى بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك نقبل منهم مباحثهم واسئلتهم مع الاغتباط والسرور ، ولله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الامم وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قل توالد الخلايا وكثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكون خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم

ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقر على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعياته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية

ان هذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا ولهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفراده فتمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم

ان لحياة الانسان الاجتماعية امراضا كما أن لحياته الشخصية أمراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر، والتحقق بشروطها أندر، ففي كل جيل من الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الاخصائيين، والصناع الماهرين، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال، ولا يبعث طبيب اجتماعي في الأمة، يرفعها من الحضيض الى القمة،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون حياة الخلايا في الدوح، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلما يعوزها شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها و يعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقيه عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية . إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى الممالكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العدل، ويعمر الأرض، ويؤمن الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساوله في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

بن الأيهم ملك غسان لولا أنه فر هاربا

بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحيتها وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم نر من قبل فان انكلترا وهي أعدل دول أوربا لا تساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلائل ملوكها وبين صعاليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يجيزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدها في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستذلال المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام

هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الأمي أو شبه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحمل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وآخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة المهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن أنه يفضل بها عظماء سلفه كعمرو وعمر ينفذ الى قطر اسلامي كاليمن اليوم وكالسودان بالامس فيبغي في الارض ، ويجني على العرض والمرض ، فيترك الارض موطوءة ، والاموال مسلوبة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين »)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عم الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الامة بطابع القهر والعبودية حتى لا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على رفع ضر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الامة واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظل الحاكمين الظالمين عن رؤوس المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الامة وبهذا كان الانتقام عاما ولو كانت الامة هي التي هبت لازالة الظلم بأيدها وأخذ صولجان الحكم بيدها لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للامة عزها ومجدها

دب الفساد الاجتماعي في جسم الامة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها بفقدهم الشعور بما يحل بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى دفع العرض الطارئ قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن ينفعل مزاجه بما يعرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع العرض باعانة ذلك العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر وروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والامة الحية كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضر أو يرهقه ظلم حتى تدفعه عنه أو تعجز فتكون من الهالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فان الفساد يغلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في الجنسية فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركي ، وفي اللغة فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ومغربي وحجازي ، واذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق أهون ضرو بهشرا فاناأذكرلك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسمم جسم الامة الاسلامية بسم " الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع بمصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقعه عظيم « ولكن من الاسف حشوه بالشوام » وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني — وقد رأى فيه حجرات كثيرة الطلاب من قطر غير قطره — : ماذا فعل لنا هؤلاء . . . حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أوما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وانما تلك أماكن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شورى بينهم لا في ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميها حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزع ولكن هذا العصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنتين اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تقتال ، ويجد فيها الحرية فكره ولو بعض المجال ، والا نفوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجملة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجد في إبسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في توكيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا إعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضنيا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليائس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم اياهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أومن غيرهم فقد أعدهم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لا ما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب العثمانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتهديه. ذلك بأن حكومات الأجانب على منعها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهدايته لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام المسلمون فان لهم سلطتين — القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الاسلام (٥: ٢٤ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على قلتهم لا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبعث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية.

ويقول هؤلاء اليائسون أيضا ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتربصون بباقيها الدوائر وحكامها يمهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا ونراهم قد اكتسبوا حقا جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يبقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم. فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب الجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالمة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا مجمل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالا أبديًا كما زال استقلال بني اسرائيل الا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء — ونحن منهم — فانهم يعرفون مايحتج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسدّ ـ ان شاء الله ـ وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح مايجوز نشره منه، وانما نوجز القول فيما لامندوحة عنه .

ان المسلمين — وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات — يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى مايحييهم ويجعلهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ماانتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو انتفى الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعونًا له وظهيرا على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لا تعلم مايكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعاة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لاموت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لامحل له هنا على أن شرح ذلك انما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس

بينا في مقالة الحياة الملية من المجلد الثامن شيئًا من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

تعرض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولاتؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سبقهم الأجانب لتحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذبذبة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أممهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في ألواحها المستعدة مايريدون على علم منهم بغايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن اكثر المتعلمين لاقيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما هم أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها مالاتدل عليه من العيوب والمساوي. وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسلمين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر محمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها ، ومالي لاأذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين ، لجمعيات الرهبان والقسيسين .

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالملامة

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجى ان يهتم بجعل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية ببذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

اذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نشء الامة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي يرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم العصرية والتي يظن أن سيكون عليها أو على ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججا لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في أثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصا من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسارين. يرى البصير في مصر والهند نابتة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابتة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابتة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر بسائر المسلمين ويرى في إيران هزة جديدة، وحركة يرجى ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية تعوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابتتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الآن الا الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدرون على تحويلها الى حيث تكون مخصبة لأرض الأمة

ما رأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملا ينبيء بمراقبته

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالأمة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الا ما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبر به أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى و يسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها ستمد اليها يد لا تعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مغبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجحون لسير نابتتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتغييرها الى ما فيه خيرها وسنفرد لهم مقالا خاصا بهم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من سنغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س ٦ — ٩) من خ . م . س في سنغافوره

تشرفت بلقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجر بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجرى ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافهني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وتمحيصه للحقائق واني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألناه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق — وهذا ما قاله ذلك الحكيم —

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسلفها القدح المعلى في

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد اتكالا على مجد من سلف حتى اذا ماعرا حادث اتكلوا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحي أمواتهم انهم مطلعون على أي حادث عرا وانهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفا وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون حمله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئا من كلامهم في نحو ماذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ماجاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يحيلنا على ماسبق ويبسط لنا في جوابه على ماذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزمن في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستئصاله — فلعل ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا —

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي التماس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجدد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفينا في بيان

بدعتهم في ذلك أن نقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لامجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٢١:٤٢ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أوطلب منه حاجة أو صلى عند قبره أوتمسح به أوقصده للدعاء أوقال إن الدعاء عنده أرجى للاجابة طالبناه بالنقل ولن يجده . وأنما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصلاح كانوا يتبركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصروا الحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان — غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تفنى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبأ عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبائر الاثم المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٧:٣٣ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)

على أن هذه المسألة — مسألة التماس دفع الضر أو جلب النفع من غير الله استقلالا أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الامم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم و بين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أوخلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها ، وإنما خالفوهم في مظهرها وصورتها ، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعائهم . أفرأيت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة و يدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركين وهو التوحيد؟؟

قال تعالى (١٠ : ١٨ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لاتخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقربين عندهم . وقد نفى سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٢ : ٤٨ ولا يقبل منها شفاعة — ١٢٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٧٤ : ٤٨ فما تنفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٦ : ٥١ وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * — ٧٠ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلا

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آيتي الانعام آنفا ومثلهما آية ألم السجدة (٣٢ : ٤ مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣٩ : ٣) والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدلت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يعتقده المبتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل باشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء (١٧ : ٥٦ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعونهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشرعه ويخافون عذابه اذا قصروا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه لأن لله فيه سننا لا تتبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تتقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء ولذلك قال (٥ : ١٧ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأولياءه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضله عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وارشاد عباده فلا نغلو في تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لئلا نطلب منهم نفعا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٣٥ : ٢٧ انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغه ذلك فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون من الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم ان ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (٣٥ : ١٣ والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير * ١٤ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهي المؤمنين ان يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (٧٢ : ١٨ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا *)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد فتنوا برجال من صالحيهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت الى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وصاروا يبنون عليهم الكنائس أو ينسبونها اليهم ويتوسلون بهم الى الله تعالى ويعتقدون ان الله يقضي حاجاتهم بجاههم أو انه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الاسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكر الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولعن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع ان الصحيح في الأصول عند الجمهور ان الأمر بالشيء بعد النهي عنه انما يدل على اباحته لا وجوبه أو ندبه وهب ان الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعلة تذكر الآخرة فاذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحظور الذي لم يأذن به الله ؟

ومن عجائب تلاعب الاهواء بالمبتدعين ان كل ما ورد من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالحي الموتى ينفعون الأحياء ويضرونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانا نختم هذا الجواب بشيء مما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٧: ١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال «لا تتخذوا قبري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر الا تعظيمه وطلب الحوائج ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله. فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك. وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس أنه قال «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم.

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة. ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره أنه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكانا للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل والا فليمض: وبلغه ان قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها. وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يبن عليها مسجدا ولكن بناء المساجد عليها أعظم. وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وان كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوّي القبر حتى لاتظهر صورته فان الشرك انما يظهر اذا ظهرت صورته. واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت.

وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرّ أو جلب نفع لاعلى أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عباده في الخلق والتقدير وانما حصر الوساطة بينه وبين عباده بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لايمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرون على نفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وابنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الامر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجه ما لدعوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج ٧) لا حجة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » وممن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي. وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لكتاب الله. فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا. ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نلتزم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لا لبيان معناها في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة

وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثر المجتهدون ممن تفقه في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي وأصحابه فخذه : وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه وشيوخهم وثقته بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان لمثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلانزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهوا وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لادليل عليه ﴾

(ج ٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لادليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والائمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفا في صدر الاسلام بالمرة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالاولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه ويقيم سننه وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

تناصرهم في إعلاء كلمته وإقامة دينه وشريعته. والله وليّ الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير. فمن اتخذ وليا يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذه شريكا كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس. ومثلها آيات كثيرة

ليس لمؤمن ان يعتقد جزما ان أحداً من الناس بعينه قدمات وهو وليّ لله تعالى مرضي عنده له في دار رضوانه ما وعد به أولياءه، لأن ذلك تهجّم على علم الغيب وقول على الله بغير علم. وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجهولة وانه لا يقطع لأحد بالموت على الايمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وانما يحسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر. أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء — امرأة من الانصار — أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا — أي وقع في سهمنا — عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكابرهم ومتعبديهم وممن شهد بدراً فاشتكى فمرضناه حتى اذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك ان الله أكرمه» فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجوله الخير. ما أدري وانا رسول الله ما يفعل بي» قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً: فهذا الحديث الصحيح يكفي في قطع ألسنة المفتاتين على الله الذين يجزمون بأن فلانا وفلانا ممن يعرف وممن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنده قطعا وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجهلهم بالله وكتابه وبهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين نقل عنهم في الخوف وعدم الجزم بأمر الآخرة ما فيه عبرة للجاهلين لو كانوا يوعظون به حتى ان المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأننا فتنّا من حيث لا ندري

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتف الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سأل عنها فكتب الينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها الينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» واننا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها بها وانما يصح ان يعتنى به هذا الاعتناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الاشارة اليه أو بغيره فان لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله). أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ماذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعترضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذه عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو أوردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبه أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في ألقا من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿ تتمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع ﴾

(تنبيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحامى السماع ولكن الجمود في كثير من البلاد على تقليد المتشددين لا يلين الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿ البحث في السماع من جهة القياس الفقهي ﴾

يرى القارىء المنصف ان ما قاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفوة التحقيق الا أن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزمار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الاباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أو ندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الاوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الاوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الاسراف فيه فان الإسراف ضارٌ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لأنه اذا لم يغر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فربما كان لا يغار عليها مطلقا

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضاً . وبهذا تبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى (٧ : ٣٢ قل من حرَّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعارض

آخر» اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض

فهذا القول هو أحسن ماقيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ماقيل في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة انما حرم لما فيه من مهانة المؤمن وضعته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبها بأهل السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين والقنباز في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحه في أخرى لعلة التشبه وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها فتبين بهذا انه لاوجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الاطلاق كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ماتقدم . ومن العوارض التي لا بد من التنبيه اليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمتبعيه بين سعادة الدنيا والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ماهو شعار أهل الشرب الخ فيقال فيه ان ماصرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمعازف الحل كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلة التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة بالسماع تدعو الى الفساد فهو محل نظر اذ السماع كما قال بعض العلماء انما يحرك الساكن ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع تأثيرا في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطال الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الاشخاص وان ذلك لا يمنع ان الاصل فيه وفي جميع اللذات الاباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب المصابيح وهو « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها اتخاذ القينات والمعازف وفسرها بالملاهي من الاوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

الحظر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا

« اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يارسول الله قال « اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أو مسخا »

والفرج بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدار قطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ ؟ فقال هذا باطل: فقيل من جهة الفرج قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول: اذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به وقال مسلم انه منكر الحديث: ثم ان الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ماهو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وان لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الاخلاق واضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الهيتمي من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلوه في التعصب لاقوال علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وانما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر العسقلاني امام المحدثين في زمنه وبعد زمنه . وقد ذكر له ترجمة طويلة في طبقات الحفاظ قال فيها: وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكان صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحر للصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار. أخبرني ولده الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظا للحديث وفقهه مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة متقنا في علوم جمة عاملا بعلمه ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الاسلام العز بن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيتمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فحط عليه وقال كان صوفيا ملامتيا سكن الري ثم همذان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير ياهذا . ثم قال ذكر عنه الاباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وانما كان يرى اباحة السماع لا الاباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيتمي من أنه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الائمة الذين يسبهم ابن حجر الهيتمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فاذا لم تصح عنه فقد صحت عمن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بعد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عتيق وأكثر فقهاء المدينة . وحكاه الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقدمنا ذلك عن ابراهيم وابنه سعد وحكاه الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاه الفوراني في كتابه العمد . وحكى الروياني عن القفال أنه حكي عن مالك انه كان يبيح الغناء على المعازف وحكاه الماوردي في الحاوي عن بعض الشافعية ومال اليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاه عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاه ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكراهة ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالنرد للخبر أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل النرد مكروها غير محرم ، وما حكاه المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن العز بن عبد السلام انه سئل عنه فقال انه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني الغزالي في الاحياء) اه كلام الزبيدي ومنه ومما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الاثبات وهما من الأثبات مالا يحتج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أسانيدها لينظر في طعنه . وسقط بهذه النقول ما جاء في الاسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمعه

واما سؤاله عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الحل كما نقل ذلك عمن هم خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه

واما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا سمعوا العود فنقول

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكرهم في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه العود من غير ان يتشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهانها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدفوف بلا نكير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يغريه بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

آثار علمية أدبية

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام — تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤)   أظن دموعها سنن الفريد   وهي سلكاه من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه العقد) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنح عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات العقد الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كعبرة جمع عبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدملكة ملساء فيحسن تشبيه حبات

المقصد بها وإطلاق اسم عليها . ولا يضر التشبيه بها رائحة السمن لأنه لا يلاحظ فيه بجميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته

(ص ١٠٤) رآنا مشعري أرق وحزن وبغيته لدى الركب الهجود

(الهجود من هجد إذا أناخ) هجد نام والركب الهجود النائم وهو ما أراده الشاعر فهو يقول إن الطيف تحامى زيارته لكونه حليف أرق وحزن والطيف إنما يأوي إلى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام

(ص ٩ ١) أخو الحرب العوان إذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود

(العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام انفرى لنا شظف الأيام في عيشة رغد

(انفرى انصلح) انفرى هنا بمعنى انكشف وتقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر « به انكشف عنا الغيابة الخ

(ص ١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد

(الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح أن الفراش مفرد على وزن كتاب وأن معناه ما ذكره وليس كذلك فإن شاعرنا أراد بقوله ما يريده أهل اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد.

(ص ١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد

(بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى أن من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة. فالمصعد اسم فاعل من أصعد إذا استقبل أرضا أرفع من الأخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتنزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء

(ص ١٤٥) حتى التوى من نقع قسطلها على حيطان قسطنطينية إعصار

(النقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالنقع هنا

الغبار وتكون اضافة النقع الى القسطل الذي معناه الغبار أيضا من قبيل الاضافة البيانية

(ص ١٤٨) واذا القسي العوج طارت نبلها   سوم الجراد بشيج حين يطار

(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوما حامت وهو مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتثارها حومان رجل الجراد الذي هيج فجد في الطيران. وجواب الشطر البيت بعده

(١٥١) لولا أحاديث أبقتها أوائلنا   من السدى والندى لم يعرف السمر

(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يسقط في الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما هنا المعنيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل.

(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها   عصب تيمن في الوغى وتمضر

(العصب صبغ ينبت في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي ونقوش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزاهيره حللا ملونة تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لا أنها تحاكي الصبغ نفسه

(ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى   حتى تحير رشده المتحير

(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا اجتمع وانتظم واستوى. واتساق القمر اكتماله واستواؤه. وقولهم وسق البعير أي ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له.

(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفو ترب وللندى حلس

(الحلس الكبير من الناس): نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر أصل الحلس مسح يبسط في البيت ويجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير لمن يلازم الشيء ويعود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من احلاسها فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقر وعمرو ترب ادب. وقرنها بترب يؤيد كون المراد بها ما ذكرناه.

(ص ١٦٩) قالت وعيُّ النساء كالخرس   وقد يبين المفصوص في الخلس.

(الفصوص احداق العيون) نعم لكن ليس المراد بها هنا هـذا المعنى :
اصل الفص حجر الخاتم وتجوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصه أي أصله
وحقيقته ومخرجه الذى خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً
في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذى قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على
عيهن قد يقعن على الصواب و يصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قالته
المرأة له . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هزه في الصباح روض أريض

(البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق
الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض
المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص١٨٣) لاتكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيض

(يعجمون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا
عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لاتحيك فيه
العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيض فالعجم في
البيت متجوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص٢١٤) يؤوب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعز والبراق

(الاماعز الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يؤوب يرجع الى السلام
الذي أرسله الشاعر الى الممدوح يعني أن سلامه يرجع الي شمائل ممدوحه التي
وصفها بقوله ميث أي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء واراض
ميث . ولما وصف الشاعر شمائل ممدوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفي عنها
صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة
الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل
ومعنى القلة هنا العدم كما لايخفى فهو يقول ان شمائل الممدوح وطباعه لينة وليست
بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فريت خله في درج ثوب اللابس المتوقق

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه و يبالغ في تزيينها و يكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك الممدوح

(ص ٢٢٨) ضنك اذا خرست أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذُبُل

(الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضمور كقولهم ذبل الفرس ضمر وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى ولان وتذبل في مشيه تفتر فيه ثم أجروا المادّة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطة القشرة التي تكون على القصب وربما كان اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح اذا لم يكن لينا لدنا تقصف ولم يصلح للطعن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من ذبول الرماح . واذا أريد وصف الرماح بالصلابة قيل كما قال الحماسي

ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك أزور

فقوله صدقة أي صلبة مستوية لاخائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك منهم سعيد بن المسيب و به يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخضر يغني في دار العاص بن وائل وهو يقول

تضوّع مسكا بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة خفرات

فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجمرات

وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات

وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات

وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الابيات لسعيد لا للنميري . أقول وقابل ماعاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنانهن بحال نسائنا اليوم . فهنهم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتغنى بهذه الابيات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى　　يمج الندى جثجاثها وعرارها (١)
بأطيب من أردان عزة موهنا　　وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها (٢)
من الخفرات البيض لم تلق شقوة　　وبالحسب المكنون صاف نجارها
فان برزت كانت لعينك قرة　　وان غبت عنها لم يغمك عارها

فقيل له أصلحك الله أتغني بهذه الابيات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن بها ركبان نجد . قال الراوي فوالله ما اكترث بي وعاد يتغنى بهذه الابيات

فما ظبية أدماء حفافة الحشا　　تجوب بظلفيها بطون الخمائل (٣)
بأحسن منها اذ تقول تدللا　　وأدمعها تذرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه　　رهين بأيام الشهور الأطاول

قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله اتحدثني في هذا بشيء ؟ فقال نعم حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب يغنيه بهذا الشعر :

مغيرية كالبدر سنة وجهها　　مطهرة الاثواب والعرض وافر
لها حسب ذاك وعرض مهذب　　وعن كل مكروه من الامر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة　　ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال :

ألمت بنا والليل داج كأنه　　جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا　　وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقال سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لاجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان ام

(١) الجثجاث نبت واللفظ ثقيل والمراد بهار أصفر قيل هو النرجس البري (٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفافة الحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت اللهاة

﴿ رسالتان في قراءة الفونغراف والسكورتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بخيت الأزهري المشهور بمصر وقال أنه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقويم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا محل لذكره هنا ووصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئاً من علم مخترعيه . وقال في أول الرسالة الثانية ما نصه : «وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي ويطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اه ويا ليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا — في الروملي الشرقية من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا — في ولاية سلانيك من مقدونيا — استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على أنه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه بالجغرافيا التي مابرح يذمها وينفر عنها حتى انتقمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافراً أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلد القضاء ويأذن بصلاة الجمعة كافراً واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمنّ امرأة رجلا ولا يؤم أعرابي مهاجراً ولا يؤم فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمنّ امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمنّ فاجر مؤمناً الا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه أوسوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر انه أفسد اسناد هذا الحديث . وفيه أيضا علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فانه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فان المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أئمامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينهى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سمى رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية:

«الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهلة »

فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقفال بابه وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فعسى ان يتروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ور بما عدنا الى انتقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجيء العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أ كبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى اتحدت بجمعية الملاجيء العباسية ففي فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أ كثر ما ينشر فيها منقولا من الكتب والجرائد وجعلت هدية للمشتركين في جمعية الملاجيء العباسية وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فثلاثون قرشا في مصر و١٠ فرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة — ان وجد بأريحية محبي الخير — فهو لمساعدة الايتام والفقراء والعجزة في تلك الملاجئ . فعسى ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمقاطيع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر — بردا وسلاما — يتمتعون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي ، اطال الله خدمة منشئها لفنون الآداب ، ولقي ما هو أهله من تعضيد أولي الألباب ،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ «لاحظ» لا يتعدى بعلى وصاحب التقرير يكثر من قول «لاحظ عليه» فهو خطأ : كذا قلنا ففهم بعض الادباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار المشار اليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من الاصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا : « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة وهو النظر بمؤخر العين . وتستعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي . ولاحظ لا يتعدى بعلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم ان الانتقاد على تعدية لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

باب الأخبار والآراء

﴿ مملكة مراكش ومؤتمر الجزيرة ﴾

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الاولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراكش بأن طوفان اوربا لا بد ان يفيض على بلاده فيغمرها اذا هو لم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيهما حالة العصر لا سيما تعلم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وانما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجائهم الى قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقتيات عليهم وجؤارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وايعازه الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراكش على مؤتمر أوربي فانعقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاؤه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون . أما المصرف فلابتلاع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتأمين تجارة أوربا التي يبتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون

وقد طال التنازع بين فرنسا وألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيس والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم أقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطتنا بل تقليص لظلها عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دمائهم وأموالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألتي كريت ومكدونية وكما سيجري في مراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقا رسميا في القبض على ادارة البلاد وأموالها .

اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مراكش وبين الانتفاع بما ذكرناه وذكرهم به غيرنا هو الجمود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعتان من فهم الحق ومن كل تغيير يدعى اليه المقلد للآباء، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان ربحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا المظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل . فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه ما دفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بعد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هنالك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحيها على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها المدارس المصرية منذ بضع سنين ،

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

﴿ سلطان الشياطين على عالم أزهري . ومخادعة دجال غوي ﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه « أشهر الحوادث وأعظم الرجال — حادثة في الأزهر » يريد ناشره ان يشهر به نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين من الاجسام والبيوت ورأى ان إعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بذكر الاستاذ الامام رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعلمه بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه . ومن العجائب أن بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته وانما ننشره وننكره وهو باختصار

« لا ريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الازهر ويقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك وعرب وعجم فضلا عما يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذ ذاك يصيح بأعلى صوته بان لا وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب المنزلة فما استطاعوا له رداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاوهام وضرب لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس وافقه على هذا الأمر على انه يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الازهر ومن رجال التشريفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ اشترى من منذ سنتين منزل بأم الغلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الحال وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قردة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشغاله واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفوائد ووصفات وكثير من أعاظم مصر

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبي الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى يئس حضرة الاستاذ وصمم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بانه يوجد رجل . . . . ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص . . . فقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوتت بصوت رفيع وتكلم معها واشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبراهم . . . بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل . . . عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضع له سور من حديد على أنه لا يمكنني ان اطلع احداً عليه مهما كان ميله اليّ وقربه من فؤادي »

اهـ المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلو في شهرة صاحب الاسم المراد اشهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج . . .

قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يتعمد الكذب .

(أولاها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكانا صغيرا كأفحوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الازهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهرا . وهذا كذب و بهتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير المنار الذي نقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الازهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد واللواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقوه على إنكار

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسنين أنه يقول ان الحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان

صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكام بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة — ابن مسعود وابن عباس — هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤا متى شاؤا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الا منكرا دجلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام

استدل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسنين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا تحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كاده شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فعبثوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيثهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا

وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي اليها . وقد كان من علماء الازهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريت والشياطين من السلطان على علماء الازهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريت لتحوت العوام اذ قلت الخرافات والاوهام ، ؟

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤ — ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ ﴾

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لان قلب الشيء عندها لبه ومحضه وخالصه ومن الأول قوله تعالى (٣: ١٥٩ ولو كنت فظاً غليظ القلب) ومن الثاني (٥٠: ٣٧ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (٢٢: ٤٦ فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما نجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصيماً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم انها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدو أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يُخاف أولا يخيف ويرجو ما لا يرجى ويقتحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم، ومعاداة العقل والعلم، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فاذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان القلب وأنفذه حكماً على الجوارح ، واذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، واذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فعبدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فعبدهم وعدّ نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء

مبيناء، واذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولآخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال ينقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيد بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الاديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له، واذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الاوهام التعبدية، وتمده سائر الوجدانات الدينية، واذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأمور المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده — أفلا يكون القلب والعقل ضدين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب ان نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الاديان، ؟

وأما حجة الذاهبين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثا وانه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأكوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فاذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي ازالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب واذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلو فرضنا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لانه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يشقى بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقائهم ولكنه لا يكتفي قط بترك حبل شعوره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان اللذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبغي والعدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين

لا ينكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كمل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة نقصا وأشدها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي فقوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منهما قد وجد ملكة تظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعد خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا للقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم باعفاء أثره ولا نعد خطأ العقل في تلك الاطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه

تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالاوهام حتى استعبدوهم ونقول انا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تعترفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كهنة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين انا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ماجاء في كتب الوحي مما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كاثبات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها واثبات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لادليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منهما سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان نقول إن بعض مافي تلك الكتب مدرج من النساخ وان ماقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ماعرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الاكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكان تصديهم له خروجا عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والارواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات ومايتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لغاية كما لها الروحاني والوسيلة لتهذيب جميع أنواع وجدانه وشعوره وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيدا بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والاخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو إخبار الوحي بما لادليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الانبياء الخاص بهم مستمدا من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالايمان بالله وبعالم الغيب

لانه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والرذائل لانه من باب الانشا الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وانما يعرف حسن مثله وقبيحه باثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه ومما يدل على انهم يستمدون هذه الانواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئا من عرفانهم بالكسب والنظر فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئا مذكورا وفاتهم ان في مواعظ الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز اكبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن فى العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئا من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوزا لابطال أحدهما للآخر أو مسوغا لتركه لان صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعد له لم يوجد واحد منهما عبثا ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينا كبسمارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . ويعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان فى كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لا في جوهره وروحه فهو يغتفر ويتسامح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لاغنى للبشر عنها

وتجد في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين المتهب غيرة عليه كعظيم الشعوب الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطته يعني ان استفادة موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي الايمان بانه كان مؤيدا بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلة أخرى فهو يكتفي بأن يكون النبي الموحى اليه مؤيدا من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيدا به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء بما لا يرضاه المسلمون بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلبا وأكمل عقلا من عبيد المادة واسرى الحواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب و وجدانه الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسيا كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لأنها تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثر في متفرنجي المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر ما ليس لهولاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين أهله أولئك المتبوعون من عداوة العقل والحس وعلومها ما ليس في دين هؤلاء ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشغلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقر وجدان القلب وهو اللذة الحسية وهؤلاء لم يتقنوا علما ولم يحسنوا عملا بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة   لانهم كفروا بالله تقليدا

**

هذا وان المسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهاك بيانه: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيمضي فيه و يختلفان فيجيب دعوة أقواها سلطانا على النفس، وتسخيرا للحس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة و ينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجداناتهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا اليه فيطيعه تارة و يعصيه أخرى — يطيعه اذا كانت داعية الوجدان ضعيفة و يعصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرة وفترة يطغى في شرته فيسرف ، ويتراخى في فترته فيغفل ، فلا جرم أنهما في حاجة الى مرشد حكيم ، ذي سلطان مكين ، مطاع ثمّ أمين ، يرضيان بحكومته ، ويقفان عند نصيحته ، مهما ظهرت لهما آيته ، ورفعت فوقهما رايته ، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان ، الذي يحيط بالفكر والوجدان ، فتخضع له في عامة شؤنهما طوعا ، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرا، وان ارتفاع رايته يمثل لهما القوة والسلطان ، مؤدبا لاهل البغي والعدوان ، الذين يشذون عن حكم الاذعان ، وبذلك يكون الاعتدال ، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغي فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيعرض له الجهل ، والحواس الظاهرة حق وقد تعتل فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ ، وهي صحيحة سليمة . ولا غنى للنفس عن الوجدان كالاغنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لاخطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وانما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ ، فيجني بخطئه على القلب و ينحرف بالوجدان عن القصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو البناء والشرف ويبغض القبيح الحسي والمعنوي — يتلذذ بنيل ما يحب ويرجاء نيله ويتألم بما يكره — يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فاذا رجا مالا يرجى أو خاف مالا يخاف أو أحب مالا يحب أو كره مالا يكره فانما يكون في ذلك تابعا لحكم غيره اذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وانما الحس هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومهما جزم العقل بأن هذا الشيء يرجى خيره، وذلك الشيء مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه، وسخر الجوارح للعمل بنصحه ، وقلما يطغى الوجدان في شيء الا ويكون الفكر هو المبدئ له في طغيانه فكلما أوغل العقل في التصور والتفكر ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتعسفه في مجاهيل الاوهام

لو فقد الانسان الوجدان فأمسى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو لهلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفع المكروه واتقاء الخطر، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومؤاخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئا . فاذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لابد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فينصح بعلم أو يغش بجهل فهل يصح أن يقال انهما ضدان ، أو نطلب على حقية الأول منهما البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينيات ،

على هذه الطريقة أساء العقل التصرف في وجدان مبدإ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الاصل في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرفة في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكلما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الاذعان له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراد منه للارتقاء عن التعبد للاشياء المحدثة بعث الله تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليتبعه القلب في العبادة والاذعان ، يدعوه الى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل مايدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تتقيد بشيء ولا تحل فيه ليعلم العقل ان تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلها لأن العقل يوله ويتحير في البحث عن حقيقتها فلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وانما وظيفتك ارشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وانما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان الحكمة امتاز بها الانسان ، وانما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكوان ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاتقان ، لتوقن انها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجله عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهذيب كان محصورا في الكهنة والأحبار والقسيسين ، نعم ان هؤلاء الزعماء الذين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فانه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الا وجدان الدين مع ان فكر الاكثرين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وآخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساؤا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا في آداب النفس ولا في

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ومكنهم الدين من ذلك ببنائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الاساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجعل للنبي نفسه شيئا منها (١٢٨:٣ ليس لك من الامر شيء - ٢١:٨٨ فذكر انما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه الى رأي أصحابه ثم انه بين العقائد بالبراهين العقلية، وقرن الآداب والاخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الاحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد الى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وارشاده، لتكون جميع قوى الانسان متحدة في إبلاغه غاية كماله، وكان كتابه حجة عقلية على حقيته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان، واعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض، وحفظه من التغيير والضياع، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين ان يقول فيه بنقيض ما جاء به اتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه، و بين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به ان يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا ان من عرف هذا الدين لا يمكن ان يتركه ولكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد، بما وضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حجبوهم عن محاسن هذا الدين ، وابرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فهم الملة الكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فعسى ان يهيء الله للمسلمين من أهل الاصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه، ويعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم الى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتآخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(تصحيح) في س ٢٠ ص ١٩٢ «تمتدل» وصوابه (تمتثل) فليصحح

باب العقائد

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص ونقل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة واننا نورد من ذلك ماعدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين

قال والظاهر أنه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا أمر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان مالم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر مالم يكن فيزداد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو ولم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بأن لا يخافوا المخلوق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداه لقلبه زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجملا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك مالم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله و بالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لان كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وانه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجمال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فايمانه اكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع أنه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكلما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فآمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكلما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكمل

﴿ الثالث ﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿ الرابع ﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخر علمه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الالواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن المخبر وان جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وان كان مصدقا به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿ الخامس ﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلا ظاهرا

﴿ السادس ﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿ السابع ﴾

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلا عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تنقصه وكمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿ الثامن ﴾

قد يكون الانسان مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له وهذا تصديق جديد وإيمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا وان أشبه المجمل والمفصل لكن صاحب المجمل قد يكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون أنها تخالف فاذا عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولا أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عمل عملا أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجل الائمة ان الايمان قول

وعمل ونيــة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد أجمع أهــل الفقه والحــديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال والايمــان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لاتسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قال وأما سائر الفقهاء من أهــل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهــل الذنوب عنــدهم مؤمنون غير مستكملي الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة وانتحلوا دعوة المسلمين من قرابتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال. ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الامصار وهذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموازنة وبحديث عبادة بن الصامت «من أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا) أي هم المؤمنون حقا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا أمانة له» يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن لقيهما استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو ان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من أصبع أو يد أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الاشعري وغيره ولاجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا في ما هو مخالف الاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولا مخالفا للنص

والاجماع القديم منفية ويكون معتقدا أنه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يثيبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ماعجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فتثبت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الاذهان لا في الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما اتصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي هي والاشتراك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فايمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفى التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المعينة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا أنه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبداً وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا اعدادا مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبعدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان

بباقي الاعيان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتريه الشبهة وقال ويزيده ان كل واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرازق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الائمة وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الآية انتهى وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة ويضعف بالعصيان وقد ذكرنا من ذلك ما لعله يحصل به المقصود والله ولي الاحسان

* *

(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من يتصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان رواج شبهة المرجئة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين باعراضهم عن هدي الدين

ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ماجاء به النبي حق دون العمل وان المؤمنين فيه سواء قد جرأ الناس على الفسوق والعصيان ، ثم حملهم على التحريف المعنوي للقرآن، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لا تحصى الا بجهد وعناء وترى أهل هذا المذهب يلتزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهماء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وانما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجمالا ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويجعلونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنته في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان تحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ماحقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن نقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وانما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقون على استقلال ماعرضة للخطر ، ثم ان كثيرا من كتابهم يترثرون في دائهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبائهم ، وهم يجهلون الداء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اعتصم به فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة لعلهم يكونون من الهادين المهتدين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

(الانفاق على التعليم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرس بتوتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من العلماء المتبصرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكى صوما » ذلك انه يجمع في كل سنة نقود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغير مسلم وتوضع في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر ويصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف المأمورين الملكيين وسائر مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الانتفاع بهذه النقود لا لمنع الحكومة بل لعدم سؤالهم ذلك للأوهام التي يطول شرحها على اشتراكهم في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس فيها مكاتب دينية لفقر الأهالي وفقد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة الخصوصية للجميع فعمّ الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسفة أزعجت القلوب المملوءة بالحمية وألجأت الى التشاور في هذه المصلحة المهمة فتشاوروا وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستعانة بمالهم في تلك الخزانة) فسعوا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما نصه : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الاسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الاميرية يكفي لتأسيسها والنفقة عليها اذ الغرض من وضع تلك الخزانة هو انتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالانتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمعت ان المحكمة الملكية (زيمسكى أوپراڤا) أجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدّ عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أيّ فقير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانة في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ! وظني أنه لا ضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصالحنا إنما هو من نقود المسلمين المتعينة نوعيا وبعضهم يتعلل بأن فيها مال الايتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال فى الادارة الملكية تتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه وبذله في مصالحنا فان هذا المال على كل حال لا يردّ الى صاحبه والله أعلم . هذا ما دار في فكري الفاتر فارجوكم أيها الاستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جُنوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماع هذه المسألة وبكى، وبكل عدوّ للمسلمين قد أغرب لسماعها ضحكا

حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاه لصرفه فى مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز انتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مالك غير هذا الحاكم

أو يحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لان الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وارجاعه الى من أخذه منهم متعذر فاذا أعطانا شيئا منه لننفقه في مصالحنا جاز لنا أخذه حتما بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كان وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متميز مانعا من الانتفاع به لكان وضع درهم ليتيم في ألف ألف درهم لغيره مانعا لهذا من التصرف في ماله كما قال الغزالي في شبه هذه المسألة وذلك بديهي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذناه من الحاكم لا يخلو مما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيرا جدا بحيث يعلم أو يظن أنه لا تخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهنالك وجه آخر لجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجح جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائز أيضا لا وجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٤١٦ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضع سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه تعلمون الحق في ذلك وتعذروننا اذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ اللذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشاة حلفه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فذكرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالأكل والمشرب والمنكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكلا من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كالدنيا وانما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتهاء أنفسهم ذلك بدون فعل كالنائم يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلتذ بذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقيا فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك نحو قوله تعالى (٤٣: ٧٢ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وقوله تعالى (٥٢: ١٩ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٥٢: ٢٠ وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالتنعم في الجنة بالأكل والشرب والنكاح المعلومة لذته لهم تقريبا لأفهامهم وتشبيها اذ لو وصف لهم التنعم بغير ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التنعم . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء : ولقصوري عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجيا الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملتمسا الاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراكي في المجلد الثامن ولا زلتم في عز وجاه والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لا خلاف بين المسلمين في الانسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرقى مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من العلل ومتى كان الانسان انسانا فلا وجه لاستنكار أكله وشربه وغشيان أحد زوجيه للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لاخراجها عن ظاهرها وتحريفها عن معانيها اتباعا للهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرقى مما في الدنيا وان حقيقته غيبية ما رأت مثلها عين ولا سمعت بمثلها أذن ولا خطرت على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقية جامعة بين اللذة البدنية واللذة الروحية لان الانسان بدن وروح . وأني لا أعرف سببا لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا توهمهم ان اللذة الحسية نقص في الخلقة لا يليق بالعالم الآخر . ولو عقلوا

حققوا العلم وأنه ليس في الفطرة نقص فداعية اللذة والتمتع بها من كمال الخلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في تمتعه وقد يسوقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليتمتع به وكان ذلك ضارا بنفسه وبمن يعيش معهم كان الاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الاسراف والعدوان من النقص لأنه يعوق الانسان في أفراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وأعلى بنا لماذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوق سواه

أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجح المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردت مزيد البيان فراجع تفسير الآيات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أواني الفضة وزكاتها﴾

(س ١٢ و ١٤) علي أفندي مهيب بتفتيش التلغرافات بمصر:

أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصابها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة النهي عن الاكل والشرب في آنيتها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجماهيرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٧) والذي أعتقده الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجماهير وان كانت الزكاة المعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالنقدين والانعام السائمة وغلة الأرض. ولعل الاصل في ذلك ما رووه في الحلي" وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية انما الزكاة فيما حرم استعماله من الحلي" وأعل البيهقي ما روي في زكاة الحلي" بما

لاحاجة لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتمد عندي ماقاله الترمذي من أنه لم يصح في هذا الباب شيء

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكنز من الذهب والفضة وهو مايجمع بعضه فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزونا هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة واصطلح أكثر الفقهاء على جعله بمعنى ماوجبت فيه الزكاة فلم توجد والمتبادر ان المراد به النقود المضروبة لانها هي التي تكنز وتنفق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي مرفوعا « قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء فاذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن ضمرة وطريق الحارث الاعور عنه وقال سألت محمدا — يعني البخاري — عن هذا الحديث فقال كلاهما عندي صحيح . والرقة هي الدراهم المضروبة . وقد أيد القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس. قال في حاشية المقنع وقد تكلم عن روايتين في المذهب: ووجه الأولى ماروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم «ليس في الحلي صدقة» ولانه مرصد لاستعمال مباح فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل من البقر وثياب القنية والأحاديث التي احتجوا بها لا تتناول محل النزاع لان الرقة هي الدراهم المضروبة : اه وما ذكره من القياس على العوامل من البقر والثياب ظاهر جدا

وقد علم السائل أن الذي أعتقده في المسألة ان المحظور من استعمال الذهب والفضة هو ماجاء به النص وان ماتجب فيه الزكاة هو ماورد به النص وقال بعض العلماء ان الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية . وهو مايوجبه الاكثرون . وعلم أيضا أن نصاب الفضة مئتا درهم وان فيها ربع العشر والله أعلم وأحكم

(بيع انقاض المسجد وتجديد بنائه بثمنها)

(س ١٥) ا . ب في بيترزبورغ (جاوه)

ماقولكم رضي الله عنكم في أنقاض مسجد موقوف خرب وارادوا بناءه فهل يجوز بيع تلك الانقاض التي لاتصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفتونا مأجورين

(ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع مالا يستفاد منه الا ببيعه وانما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة اذ ليس كل ناظر وقف يقف عند حدود الشرع فلو وكل الامر الى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر الانتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجه الى بيان اننا لا نكلف حفظ هذه الانقاض بغير فائدة تدينا وتعبدا. ومن البديهي ان تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف يتعذر مع وجود تلك الانقاض والأمر دائر بين بيع مالا ينتفع به في بنائه وبين نقله الى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ انما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأي كتاب أم أية سنة تعبدتنا بأن ننفق المال سدى لنحفظ مالا فائدة فيه للوقف؟ وانا نرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف ليستبدلوا بها أعيانا أخرا كثيرا والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نسائها بالحور العين)

(س١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي

تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمونها بالاعمال فما بال الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحور العين الحسان يتمتع بهن وينعم بقربهن فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحور العين هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لا زوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب السؤال هو توهم ان وصف الحور العين خاص بنساء يخلقن في الجنة وان نساء الدنيا لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿أسئلة من سنغافوره﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبده. قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها الى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها ببعض تصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كالصلاة بالصحابة وتسلسل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وانما هنالك أحاديث آحاد مشتركة ولا يصح منها شيء قطعي الدلالة فحديث أبي الدرداء مرفوعا « ماطلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساكر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساكر « خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر» قال انه حديث منكر وهنالك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة الاسانيد لكنها ليست نصا في التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي » قاله لعلي وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا . وخير للمسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبحثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه : أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محق فيما ادعى به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطىء أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو عاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطىء له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية تفيد بجملتها وتفصيلها أنه كان طالبا للملك ومحبا للرياسة واني لأعتقد انه قد وثب على هذا الأمر مفتاتا وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايعه أولو الأمر أهل الحل والعقد وان كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته لشيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لئلا يفرق كلمة المسلمين ويشق عصاهم ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أحرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوضا ثم أنه جعلها وراثة في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن باضعاف الشورى بل بابطالها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قائلهم على المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول على المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوموني » وكان عمر يقول « من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه » واني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطعن في الاشخاص والنبز بالالقاب واللعن والسباب ، وانما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسعوا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسيما مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطع واليقين ولا يعرف قبر لنبي آخر ولا بالظن الراجح وانما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد

آثار علمية أدبية

وصف الأسد

لأبي زبيد الطائي

دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلغني أنك تجيد وصف الأسد فقال له : لقد رأيت منه منظرا ، وشهدت منه مخبرا ، لايزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات ما مر على رأسك منه . قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من افناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكسائها القيروانيات (٢) ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروّط (٣) بنا المسير في حمارة القيظ (٤) حتى اذا عصبت (٥) الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وشالت (٦) المياه ، واذكت الجوزاء المعزاء (٧) وذاب الصيخد (٨) ، وصرّ الجندب (٩) وضايقت العصفور الضب في وجاره (١٠) ، قال قائلنا : أيها الركب غوروا بنا في

(١) الصيابة بالتشديد من الناس جماعتهم ولبابهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا . (٢) المهارى جمع مهرية الابل المنسوبة الى مهرة وهي تسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتد . (٤) حمارة القيظ شدة الحر . (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد بشالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة اذا قل لبنها وأصله شول ذنبها اللقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شوّلت القربة والمزادة قال في التاج ولا يقال شالت . (٧) المعزاء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشعلت الأرض (٨) الصيخد : عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغ نهايته (٩) صر صوّت والجندب (كدرهم) صغير الجراد يلازم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يصرّ الا عند ما يحمى وطيس الحر . (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الغلل (١٣) شجراؤه مغنة، وأطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات (١٤) فأصبنا من فضلات المزاود (١٥) ، واتبعناها بالماء البارد ، فإنا لنصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته ، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه ، وفحص الارض بيديه ، ثم مالبث ان جال فحمحم (١٧) ، وبال فهمهم «١٨» ، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل ، وتكمكمت (١٩) الابل ، وتقهقرت البغال . فمن نافر بشكاله (٢٠) ، وناهض بعقاله (٢١) ، فعلمنا ان قد أتينا وانه السبع لاشك فيه ، ففزع كل امرئٍ منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣) فاقبل يتظالع (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدره نحيط (٢٦) ،

واذا اشتد الحر لجأت العصافير الى الظل ولو في الأوجرة . (١١) قال في الاساس أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها : أي حيث الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوج بالجيم وهو موافق لما في القاموس ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل : الشجر الكثيف الملتف والنبت الكثير المشتبك . (١٣) الغلل الماء الذي يجري بين الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات . وشجر كنهبل كسفرجل عظيم فهو وصف مؤكد . (١٥) المزاود أوعية طعام المسافرين . (١٦) صرّ اذنيه نصبهما للسماع . (١٧) حمحم صهل بقلق «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف . «١٩» تكمكمت : أحجمت وتأخرت الى الوراء . «٢٠» الشكال حبل تشد به قوائم الدابة وهو خاصّ بالدواب . «٢١» العقال : حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه وهو خاص بالأباعر . «٢٢» جربان السيف غمده . «٢٣» زردق كجعفر بزاي فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قال أبو الطيب يصف فتك سيوف جيش ممدوحه بعدوهم

لقد وردوا ورد القطا شفراتها ومروا عليها زردقا بعد زردق

«٢٤» يتظالع يتفاعل من الظلع وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات الجنب «٢٥» الهجار حبل يشد في رسغ البعير الى حقوه «٢٦» النحيط الزفير

وبلاعيمه (٢٧) غطيط ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه نقيض (٢٩)، كأنما يخبط هشيا (٣٠)، أو يطأ صريما (٣١) واذا هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجراوان (٣٢) كانهما سراجان يقدان (٣٣)، وقصرة ربلة (٣٤)، ولهزمة رهلة (٣٥)، وكتد مغبط (٣٦)، وزور مفرط (٣٧)، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شثنة البراثن (٣٨)، الى مخالب كالمحاجن (٣٩)، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠)، وكشر فافرج، عن أنياب كالمعاول (٤١)، مصقولة، غير مفلولة (٤٢) وفم اشدق، (٤٣) كالغار الاخرق، ثم تمطى (٤٤) فاسرع بيديه، وحفز (٤٥) وركيه برجليه، حتى

---

(٢٧) البلاعيم مجاري الطعام في الحلق «٢٨» الوميض لمعان البرق الخفيف. «٢٩» الرسغ كقفل وبضمتين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل ومفصل ما بين الساعد والكف، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة. والنقيض صوت المفاصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرحال وباقي معناها «٣٠» الهشيم النبات اليابس. «٣١» للصريم معان كثيرة أوجهها هنا الارض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت خابط الهشيم وواطئ الصريم والخبط الوطء الشديد والمجن الترس والمسن ما يسن عليه يعني ان وجهه لا لحم عليه «٣٢» سجراوان مشوب بياضهما بحمرة. «٣٣» القصرة كبقرة أصل العنق اذا غلظت. «٣٤» الربلة الكثيرة اللحم «٣٥» اللهزمة (كعكرمة) بالكسر عظم ناتئ في اللحي تحت الاذن أو مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ورهلة مسترخية. «٣٦» الكتد الكاهل أو مجتمع الكتفين ومغبط محبوك أو مرتفع «٣٧» الزور وسط الصدر ومفرط ممتلئ وهو مجاز والأصل فيه ان يستعمل للغدير ونحوه فيقال غدير مفرط أي ملآن ماء. «٣٨» كف شثنة: غليظة — والبراثن جمع برثن كقنفذ هي من السباع كالاصابع من الانسان. «٣٩» مخالب الاسد أظافره — والمحاجن جمع محجن كمنبر وهو العصا المنعطفة الرأس. قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتطالع الخ. «٤٠» أرهج: أثار الغبار «٤١» المعاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مفلولة مثلمة «٤٣» أشدق عظيم الشدقين. «٤٤» تمطى تمدد وتبختر «٤٥» حفز وركيه برجليه

صار ظله مثليه ، ثم أقعى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فا كفهر ، (٤٧) ثم تجهم فازبأر (٤٨) فلا والذي بيتــه في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهصــه ، (٥٠) ثم أقعصه ، (٥١) فقضقض متنه ، (٥٢) و بقر بطنه ، فجعل يالغ (٥٣) في دمه ، فذمرت (٥٤) أصحابي فبعد لأي (٥٥) ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيهما حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من دوني رجلا أعجر ذا حوايا (٥٩) فنفضه نفضــة فتزايلت أوصاله (٦٠) وانقطعت أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) فقرقر ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زأر فجرجر ، (٦٤) ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله و يمينه ، فارتعشت الايدي واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الاسماع ، وحمجت (٦٧)

دفعهما بهما وهما مثنى وركه كتكنف هو ما فوق الفخذ «٤٦» أقعى : جلس على أليتيه ونصب فخذيه واقشعر ارتعد . «٤٧» اكفهر كلح وعبس . «٤٨» الجهم الوجه الغليظ السمج وتجهمه قابله بوجه جهم وازبأر : تنفش وتهيأ للشر . «٤٩» الجزارة كنخالة أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . «٥٠» وهصه رماه وضرب به الارض . «٥١» أقعصه قتله مكانه واجهز عليه «٥٢» قضقض متنه كسر ظهره — و بقر بطنه : شقه «٥٣» يالغ يشرب بطرف لسانه . «٥٤» ذمره على الشيء : حثه عليه لائما أومعنفا ليجد فيه «٥٥» لأي : بطء . «٥٦» مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته «٥٧» الشيهم كبيرق القنفذ العظيم — والحولي الذي مر عليه الحول «٥٨» اختلج انتزع واجتذب . «٥٩» الاعجر الممتلئ جدا أوعظيم البطن — والحوايا : الامعاء «٦٠» تزايلت تباينت وانفصلت — وأوصاله جمع وصل كقسر وهي المفاصل أو مجتمع العظام . «٦١» الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . «٦٢» نهم بمعنى نحم أي تنحنح — وقرقر هدر وزأر . «٦٣» زفر اخرج نفسه بعد مدّه بصوت — و بربر صوت «٦٤» زأر : صات من صدره . وجرجر : ردد صوته في حنجرته «٦٥» اصطكت اضطربت «٦٦» الاطيط صوت الرحل الجديد وما يشبهه وصوت الظهر والجوف عند الجوع واطت الابل أنت من التعب أوالحنين «٦٧» التحميج هو نظر الفزع المذعور والمتحير المبهوت فالاول يكون بدوران الحدقة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

العيون، وانخزلت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،

عبوس شموس مصلخد خنابس (٦٩) جريء على الارواح للقرن قاهر
منيع ويحمي كل واد يريده شديد أصول الماضغين مكابر
براثنه شثن وعيناه في الدجى كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنياب حداد كأنها اذا قلص الأشداق عنها خناجر (٧٠)

فقال عثمان (رض): اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأني أنظر اليه يريد يواثبني.

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام – تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص٢٣٣) شاكي الجوانح من خلائق ظالم شاكي السلاح على المحب الاعزل

(شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما أن يكون من الشك ويكون أصله شاكك ومعناه حامل السلاح. فالتمام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر

(ص٢٥٤) رأيتك السفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل

(السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرد الطويل) السفر هنا ليس أصله مفتوح الفاء فسكنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح وانما هو بسكون الفاء من الاصل لانه جمع سافر كصحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفر اي مسافرون والمطرد اسم مفعول لطرده عن البلاد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرد وهو نعت السفر باعتبار لفظه كأن يؤمون عاد اليه باعتبار معناه. والمطرد انما يكون بمعنى الطويل اذا أجري على اليوم نعتا يقال يوم مطرد اي طويل كامل تام يقول

العينين وكلاهما يصح هنا «٦٨» انخزلت المتون أي انكسرت الظهور «٦٩» والمصلخد المنتصب قائما الشموس الممتنع لا يمكن منه أحد الخنابس الكريه المنظر والقوي الشديد الثابت وهو من أسماء الاسد «٧٠» يدل بالشيء يجترىء بسببه ينال أذل بقوته وسلطانه وأدلت بحسنها وجمالها والاشداق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكشير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يؤمونك كما يؤم العطاش المناهل .

(ص ٢٥٤)　والا تكن تلك الاماني غضة　　ترف فحسبي ان تصادف ذبلا

(ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذا لم أصادف اماني غضة طرية فاني راض بان تكون ذابلة لا غضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨ وتفسير الذبول هنا باليبس فضلا عن كونه لا يصح لغة لا ينطبق على قصد الشاعر ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية ما لم يكن فيه شيء من الفائدة والنفع ولو قليلا وتلك القلة كنى عنها شاعرنا بالذبول فلو أراد بالذبول اليبس كان كناية عن خيبته وعدم نيله لامانيه وقوله «حسبي» ينافي هذا كما لا يخفى

(ص ٢٦٩)　قدعتم فمشيتم مشية أمما　　كذاك يحسن مشي الخيل باللجم

(قدعتم الجمتم) لعل صوابه ألجمتم لانه يقال ألجمت الفرس لا لجمته . ثم ان تفسير القدع بالالجام لا أراه صحيحا وارادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن: القدع الكف قدعه فانقدع وقدعت الفرس اذا كففته بلجامه لتنهنه من حدة جريه فالشاعر يقول ردعتم عن مرامكم وكففتم عن غيكم كما تكف الخيل بلجمها فتمشي مشيتها المعهودة

(ص ٢٧١) أرض مصردة وأخرى تثجم　　تلك التي رزقت وأخرى تحرم

(مصردة لا شجر بها) الارض التي لا شجر بها يقال لها مصراد كمفتاح لا مصردة اما المصردة هنا فمن التصريد ومعناه التقليل وصرد له العطاء قلله وصرد السقي قطعه دون الري وشراب مصرد مقلل قال النابغة

وتسقي اذا ماشئت غير مصرد　　بصهباء في حافاتها المسك كارع

وقرن الأثجام بالتصريد هنا مثل قرن الوابل بالطل في الآية الكريمة .

(ص ٢٩٤) وبالحدلة الساق المخدمة الشوى　　قلائص يتبعن العبنى المخدما

(المخدمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لا في تفسير الكلمة الاولى «المخدمة» ولا في تفسير كلمة القافية «المخدما» لان ما ذكره من صفات التحجيل وهو للخيل . وكلمة القافية جارية على العبنى وهو العظيم من

الحجال كما قال الشارح وهي من الخدمة محركة سير غليظ يشد في رسغ البعير اما المخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للغادة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي مخلخلة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلخال كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبدل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه الغواني ذات الخلاخيل صارت ترتع فيه النياق اللاتي تجعلها المشدود الرسغ بالسير ·

(ص٣٠٣) قد قلصت شفتاه من حفيظته فخيل من شدة التعبيس مبتسما

(قلصت كمدت) الكمد والكمدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليص في شيء · والتقليص له معان واذا اسند الى الشفة فقيل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشمرت علوا وهذا ما أراده الشاعر

(ص٣٢٣) ويوم المصدقية حين ساموا أنوشروان خطبا غير هين

(ساموا اذاقوا) سام فلانا الأمر كلفه اياه وسامه خسفا أولاه اياه وأراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كما في الاساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بثمن ويريده مشتريها على أقل منه · فقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أنوشروان على التوسط في خطب اعتدوه له وهو يحاول التفصي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالا طاقة لها به لا حقيقة ولا مجازا ·

(ص٣٢٤) تآمرت نكبات الدهر ترشقني بكل صائبة عن قوس غضبان

(تآمرت اتفقت) تآمروا تشاوروا كائتمروا واسناد التآمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف · وتفسير التآمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه واللائق بها هنا · واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وانما هو شيء يفهم من المقام

(ص٣٤٤) أميلوا العيس تنفخ في براها الى قمر الندامى والندي

(البرى التراب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصورة « يرعفن بالامشاج من جذب البرى »

والعيس اذا أوضعت في السير تجعل تنفخ ونفخها يمر على تلك الحلقات المعلقة في أنوفها لا التراب الذي على الارض على انه لا معنى لاضافة التراب الى العيس

(ص٤١٣) كالليل أو كالاوب أو كالنوب　　منقادة لقادر غربيب

(الاوب الابل السود) اللابة الابل المجتمعة السود على انه لا يمكن ان تراد الابل السود هنا قط لئلا يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لان الشاعر انما يصف الابل ويظهر من تشبيهه لها بالليل والزنج انها كانت سوداء فكيف يشبهها وهي سود بالابل السود. وانما اللوب هنا جمع لوبة وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لوبي نسبة اليها وتسمى الحرة أيضا لابة ومنه لابتا المدينة .

هـذا ما أردت محادثة الشارح فيه او مؤاخـذته عليه مما سبق الى الخاطر الكليل لأول وهلة ويخيل لي انه لو بالغ منتقد في انتقاده لعـثر على أكثر مما عددته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب على ظني تحريفه أو تصحيفه كقول الشاعر ص٢٧

فضربت الشتاء في أخدعيه　　ضربة غادرته قودا ركوبا

فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح ان القود بالقاف الخيـل اما البعير المسن فيقال له العود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص٤٤٩

قضيب من الريحان في غير لونه　　وأم رشا في غير اكراعها الخمش

فقال الشارح (الخمش المخدشة) والصواب ان الكلمة في البيت مصحفة عن الحمش بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضئيلهما وقد حمشت ساقه وهو حمش الساقين ومنه قول الحماسي يهجو امرأة

وساق مخلخلها حمشـة　　كساق الجرادة أو أحمش

ومثله ما في ص ٣٥

كالاجدل الغطريف لاح لعينه　　خزر وأنت عليه مثل الاجدل

فقال الشارح (الخزر المساء السمن) مع ان الاجدل الذي هو الصقر لا يأكل الاطعمة الدسمة ولا ينقض عليها وانما الكلمة خزز كصرد ولا يهازاهر لا راه وعشا هاذ [illegible]

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صهوة فرسه كالصقر يعلو صقرا رأى أرنبا فجد في أثره . ونظيره أيضا ما في ص ٢٥٦

أبا جعفر ان الجهالة أمها ولودٌ وأمُّ العلم جداء حائل

فقال الشارح (جذاء بلا ثدي) فسرها على كونها من الجذ بالذال المعجمة وهو القطع وانما هي جداء بالدال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللبن لعيب خلقي في ثديها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (مني) جمع أمنية (جيش أزب) متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (احرج) أجبر (الحديث مراد) سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلائقه) تضطرب (يجم) يترك (الطول) الحبل الطويل (سيديل) سينتقم (المعرس) المنزل (الاصطلاء) الالتهاب (الوابل) المطر (البنان) الاصابع (لاحب) طريق منجاة كاسدة (النكال) المصيبة (الهنات) الامور (شكائم) انتصارات (اقتضى) طلب القرض (يجترمن) يخترقن — في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو بالاخص أو باللازم وهو ما يأباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا فاحشا وجريمة لا تغتفر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره ما لم أحدث بها حضرة الشارح وهي أني عددت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرها بمعناها غير المراد للشاعر كتفسيره البرى بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما مر آنفا فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشترك بغير المراد منه غير موضع للانتقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا لديوان أبي تمام وعدَّ مؤاخذتي له على تلك الكلمات مؤاخذة في غير محلها وعلى غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين جارية » بقوله العين الباصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا لكلام الله تعالى — وكنت اذ ذاك جديرا بسحب الكلام وطلب العفو والسلام اهـ

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح ، لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعه النصارى في عصره فعلمنا أن القوم هم الذين كانوا يعتدون في الماضي كما يعتدون في هذا العصر وما كانوا الا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص وانه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى الجاهلية من العرب (٢) انه أثنى في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣) ان نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤) ان ماهم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلعا عليها أتم الاطلاع وأيد بيان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يعهد في كلامه من البسط والايضاح . وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم والتاريخ وإيضاح المشكلات الغامضة في الدين وغيره مالا يوجد في كتاب سواه

ومن أعظم مواضع العبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع لبيان وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك (أي من العلوم الكونية طبيعية ورياضية) هم أحذق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوائل الذين كانت غاية علمهم ، وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الحذق في تلك العلوم فصار حثالة المسلمين ، أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من المتقدمين »

ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الالهية والاخلاق والسياسة الملكية والمدنية وانتقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم . ولا شك ان المسلمين كانوا الى عهده أكمل الامم في علوم الدين والدنيا . فماذا عساه يقول لو خرج من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يحاربون فيها العلوم باسم الدين وصارت حثالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علمائهم في هذه العلوم التي كانت حثالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علمائهم؟ هل انقلبت الحال واستحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الاولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذلك ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم الكونية؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم وبمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح

هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القباني بخان الخليلي وفي مكتبة المنار وثمن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ضوء الصبح المسفر﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما أبقت عليه حوادث الزمان من كتب سلفنا في دارنا وما جذبته مغناطيسية العلم والعمران منها الى ديار أوربا لعلموا ان القوم ما غادروا متردّما فقد أوفوا على الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا لبعضها الاسس لتبني أو بنوا لتتم وتكمل فنقضنا ما كملوا وهدمنا ما بنوا وعفونا تلك الاسس حتى جهلنا مكانها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة عني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الا نسخا قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوربا

والكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أودعه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامه فوجد جزءا منه فطبعه طبعا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة . وفي الابواب فصول . أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول . وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان . وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها وبر ياحها وفيه ثلاثة أبواب . ولو أردت ان أسرد للقارئ ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال أنه لم يترك شيئا يشتاقه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسيما الامور الرسمية كالاسماء والكنى والالقاب والنعوت ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة ومربعات الجيش والمناشير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتعاويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية كمكاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله . وجملة القول انه لا يستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواعظ بدرب الجماميز وثمن النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره أن نشره بغير جدول للفهرس فوعد بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيرا لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبسا من دروس الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بعلاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئا فثمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويباع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة تعريفا بالغرض من الكتاب قال بعد البسملة والحمد والتصلية

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وفقنا لجمع هذا الكتاب، الذي تلقاه بالقبول أولو الألباب ، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية ، مع مراعاة حال العصر والتوقي من شرور المدنية الغربية ، تلك المدنية التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت ، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت ، إذ فتن الناس بشر ماجاءت به ، وطفقوا يتركون لأجلها خير ما كانوا عليه ،

« ولما رأينا كتابنا هـذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار ، وتنقل في الأقطار ، حتى نفدت نسخ طبعته الاولى ، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى ، رأيت ان أزيد في فوائده ومسائله ، وأضم اليه شيئا من أحاسن الكلام وعقائله ، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية ، مقالات في « الحياة الزوجية » لمنشئها الذي نعترف مع حضرة قاسم بك أمين ، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين ، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب ، لانها في الموضوع لب الالباب ،

ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاما عاليا ، وهديا سماويا ساميا ، في في تفسير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كان اقتبسه

صاحب « المنار » من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وها كه نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذكره . فغرض المؤلف أن تربى البنات تربية دينية و يعلمن ما تحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، و يا نعم الغرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفتش اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدى الينا القسم الأول من من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتتح بتمهيد تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلي ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الامويه والعباسية . ويدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحذق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمعه المحرر بجريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصر في القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربعة فصول اثنان منهما في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المركز الكاذب لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لأنها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . ويليه الخاتمة في بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقية متعلق بتحريرها ورأي جريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التعريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الاطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم ولعل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن الاوربين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب الى الاخلاص من بعض احداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في ذلك الا و يقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها

افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملنر في قوله « ان مصر بلد التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدهش فيصير مضحكا » فيليق إذن بمن يرقب أمور هذه البلاد و يشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لئلا يلقيه حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم: اه المراد منه. وما أظن ان المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه. وقد أحسن مترجم الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة: ويعز علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل وقبض الخمول على أقلامهم بيد من حديد. اه وأحسن من هذا ان تسق الكأس من أقعدهم الكسل والخمول عن العمل لا من أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى تكون بنية صحيحة قوية . فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم لاسيما اذا كان أمة » وجملة القول أنه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينفعنا شيء الا التربية الاستقلالية الملية والعلم والاقتصاد وانه لا حياة لقوم لاهمّ للاكثرين منهم الا التمتع باللذات والاهتمام بأشخاصهم دون أمتهم ، أولئك هم الذين اذا أعتقهم مستعبد يسترقهم مستعبد ، فليطلب المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لا من انكلترا بقول قائل أو كتابة كاتب يخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كما فعل الشيخ توفيق البكري بخطاب ولي عهد انكلترا بالمؤيد. فحسب انكلترا ان تبيح لهم كل عمل ومن لا يعمل لنفسه كان من الحماقة ان يطالب أجنبيا ملكه بأن يحرره. وهذا لا يمنع وجوب تذكير الجرائد الامة بطلب الاستقلال والاستعداد له. وثمن الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية ونيف

« وضعته إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقريظ لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم تجمع حروفه في المطبعة لأن ورقته سقطت من أيدي مرتبي الحروف كما أظن وقد كنا بعد ذلك مذكرينا بأنه أخرج من بين الكتب التي يراد تقريظها أو التعريف بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة. ومما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض الكلمات العربية بمرادفها العامي. وطبع الكتاب متقن وورقة نظيف وشكله لطيف وصفحاته ٦٢٤ ويباع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقويم فهو ترب المنار. وصاحبه محمد أفندي مسعود يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيده إتقانا. وقد كنا أول من اقترح عليه وضع الفهرس للتقويم ونحن الآن نقترح عليه ثانيا ان لا يجعل الفهرس خاصا بالأبواب بل عاما للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى انه اذا وضع للمباحث فهرسا مرتبا على حروف المعجم يكون ذلك مزيدا في فائدته وفي اقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدتها وأضيف اليها مقالة كاتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي) في حكمة تحريم الخنزير أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتابا يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير وثمن النسخة منها مع أجرة البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الضرب

من القصص المعروف بالروايات محبب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تؤلف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارّة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما اهدي الينا من هذه القصص — أهواء الشبيبة ، عشيقة الملك . مقتل هنري الرابع . الفؤاد الكليم . القاتل المتنكر . شرف الاسم . سرٌّ ولا سر . والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولا سر وقصة الخنجر التركي الملحقة بها فخيرها نزاهة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كلهن والاخيرة تبين لك آراء الافرنج وتخيلاتهم في الترك وعاصمتهم . وانا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشرور وتشرح أعمال الفجار الارذلين بحال من الاحوال

(خير الدين)

« مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي » صاحبها محمد الجعايبي مدير جريدة (الصواب) بتونس » وقد صدر العدد الاول منها في غرة صفر مطبوعا على ورق جيد مؤلفا من ٢٠ صفحة مصدرا بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بعد الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالتمثال المذكر بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب « أقوم المسالك في أحوال الممالك » وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحث على العلم ، فنبذة في الشعر العصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك

فنثني على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، ونتمنى له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

المنبر

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيويورك عبد افندي ميخائيل ذنيه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فنتمنى لها التوفيق والنجاح

باب الأخبار والآراء

﴿ مسئلة العقبة ﴾

بينا في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا ادارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدته لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكلترا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء لان محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكلترا على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بانشاء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكلترا أنفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكليز ان العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر و بدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكليز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكليز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران ، وقد قاوم الانكليز ماتوهموه من الدولة بايهام من جنسه فأنشأوا يوهمون شعبهم وسائر الشعوب الاوربية بأن السلطان يريد تهييج التعصب الاسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لايهامهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضغثة يستغلونها وان أضاعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سوريا والحجاز لما بالت ان تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تتوقع هيجان مسلمي مصر أوثورتهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي أطراف الصدر الأعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتتعهد انكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا . وقد أساءت الدولة المدخل فعسى ان تحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال — وهي في هذه الحال — ان تزحف على مصر أما انكلترا فلا يبعد أن تقصد إقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعد اقامتها على أبواب الحجاز أوامتلا كها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم . وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لولم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية — وأعني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم . وان تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مبينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكرا ولو مصريا فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (معا لمها وحكامها)

ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فانهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها . ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن الاتيان بعمل يحيي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غير مصر والهند بل لا حرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

بريطانيا العظمى ان تمتد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق وعليها أن تحافظ عليه وتتحامى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهده المقدسة آمنة اعتداء الاجنبي عليها ، أو تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغرورين بالغوغاء ، فالزبد يذهب جفاء ، وأما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿الامير الخادم للفقراء﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)

استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء محصورة في خدمة الدهماء ، بعد أن كانت قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما فتىء أمراء المسلمين يرون أنهم من جنس أعلى من جنس الامة، وان شرفهم ذاتي لطينتهم لا لشرف الملة، فهم يترفعون عن مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعترف لهم في ذلك بالمزايا الخاصة، حتى في مثل هذه البلاد، التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر بمجد الآباء والاجداد، وصارت المعارف والأعمال، هي الميزان لاقدار الرجال ، — حتى قام الامير حسين كامل باشا عم عزيز مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمراء في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطمع أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختيار هذا الامير رئيسا لها بعد الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ما يعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه رجاءهم فيه فما تأبى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين، واطمأنت قلوب الفقراء والمساكين، وشكرت له ذلك ألسنة المسلمين ، بل ألسنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى الجزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار لمثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاء تعاليمه وموافقتها للعقل والفطرة لا يمكن ان يختار عليها غيرها و يعهدون أن دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، و ينفقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضع سنين، الا واحد أو اثنان من أضاغم الفقر، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا العجب اذا علموا ان أولئك المتنصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فتمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولغتهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يربي في أفرادهم احساس الشرف الملي والنعرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف العجائز والزمنى أو يشفوا غيظهم بذم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا و يفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . وليعلموا أن أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الاديان خطرا عليه وهم مشتركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين تجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كقبرص وأفريقيا للارشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجرائدهم ﴾

كتب الينا صديقنا الشيخ محمد نجيب التوتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه: (وتأخر نشرها لتأخر دور السؤال الذي وردمعها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المحال المتعددة ذاكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الاهالي وغيرها . و يتصورون تأسيس جمعية عمومية اسلامية في الروسية فهذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قزان مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري — جريدة سياسية علمية ملية تصدر في كل أسبوع ثلاث مرات (٢) طان (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغجه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم نسوان — مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي بادكوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية بلغة أذربيجان والاخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم اتخطر أساميها وفي جايق (أروالسكي) (١٣) فكر — جريدة (١٤) العصر الجديد — مجلة كلتاهما أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) ألفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فالا حسنا لخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الاصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس تيقظوا بعد الرقدة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اننا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بعد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا نقبل قول أحد بلادليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختموها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الاسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفتازاني والنحو والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضيع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا يدرس غير ماذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره — ولكن المدرسين ريعوا من هذه التكاليف واستثقلوها لاعتيادهم أكل « بلش الحالة » — طعام من الأرز خاص بالامام — فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم جان البارودي اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وأبقوا من لا يهتم بشيء من الاصلاح وسموا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في ضلال بعيد ، فيا أهل الغيرة والحمية الدينية، ماهذه البربرية في زمن المدنية، الا م نكون ضحكة الاجنبيين ، وحتام نعمه في جهالتنا أجمعين ، — فاسيدي هذا حال بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تجيء مصر قد خاضت في هذه المسألة ففي العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغچه سراي — روسيا) ماترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى محمد جان والد عالمجان المشهور) بقزان الى آبائهم

حضرات آبائنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقزان اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها . وكان مقصدكم من هذا هو ان نتعلم في المدرسة العلوم النافعة ونتحلى بالاخلاق الفاضلة ونكون رجالاً نعمل لصالحنا ولصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لاتنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عالة على الناس نتجر بالدين أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أو أكثر

وليس امامنا سوى التأذين والامامة . وهذان المنصبان يئول أمرهما شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشقاء فان الأئمة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي نتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئا من الاخلاق والتربية بل نتعلم فيها الاخلاق السافلة كالجبن والطمع وظلم الفقراء والتملق للاغنياء والكسل

نحن لا نكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام ما معناه (شر الخلائق علماء السوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر ونقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكفف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمغتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكلٌّ متخرج في المدارس .

وأما أساتذتنا فيملؤن أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات، ويجرعوننا الكؤس المرة، مما لا تعلق له بالدين بالمرة. يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقوينا ولا بالعلوم العصرية تسلحنا . عبيد أوهام جبناء ، خلوٌ من العقول سخفاء، ترتعد فرائص الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين.

نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بابنائهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لانا علمنا انه لن يجاري المتعلمون منا في مضمار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكاس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربينا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا الينا شزراً ثم سئموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة منا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثيرا من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

جمة ولم تخطر ببالها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركتها في زوايا الاهمال والنسيان . لابقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول وزفم عقيرتنا: ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا لا نأسف لخروجنا من هذه المدرسة ولن ندخل غيرها لأنها كلها على نسق واحد حذو النقطة بالنقطة ونختم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس؛ والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام »

(المنار) وسننشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتنم ابن الرشيد فرصة المهادنة بينه وبين ابن مسعود فغدر واعتدى فعلم ابن سعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيبيته ليلا فزحف عليه الى روضة مهنا وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد زحف ابن سعود على (حايل) وتلك عاقبة البغي « وما هي من الظالمين ببعيد »

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوربا المسلمين بالغلو في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو ركن التعصب؛ ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم لقامت قيامتهم على الشيخ محمد بخيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجد في أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الثرثرة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كتب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبعهم العوام بلغو الكلام لا تعصبا للخليفة وحماية للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب الشيخ ... احد المشتركين في الجبل الاسود ما يأتي

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

لقد كنت سعيداً لما وفقني الله الى الاشتراك في المنار وان كنت قليل العلم قصير الفهم ولكن نفعني كثيرا ونبهني عن كثير في هذه السنين ما أتيتم بالخطاء الاجئتم بعده بالتصحيح الا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأتعجب كثيراً وأجتسر ان أكتب الى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلتم في ص ٣٩٥ من المجلد السابع « و يشكو لسيدنا الحسين عليه السلام » وقلتم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن عليّ عليه السلام » وفي ص ٩٠٨ منه أيضاً «من أثر عليّ وفاطمة عليها السلام» فأظن الفقير ان لا يناسب بعد ذكر أحد «عليه السلام» دون الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فان قلتم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة عليا وآله دون غيره من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح أو الجواب الشافي من غير مؤاخذتي لان كلامي هذا يدل على عدم علمي كما لا يخفى عليكم والسلام عليكم اه

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء فأجازها قوم مطلقا ومنعها آخرون مطلقا وقال بعضهم تجوز تبعا لا استقلالا . وممن قال بالجواز مطلقا البخاري واستدل كغيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صلّ على آل أبي أوفى» وأجيب بأن ماورد خاص بالله ورسوله و بالدعاء ابتداء وقال ابن القيم ان كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة على الانفراد وان كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ماقاله

واما السلام المسؤل عنه فقيل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكره ان يقال « عن عليّ عليه

السلام » وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي :السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : ولا يقول الصلاة علينا : فعلم الفرق ولله الحمد اهـ

أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين وممن تبعهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد على المنار منقولة عن نيل الاوطار لامن كلامنا

﴿ قصة المولد للديبع ﴾

كتب اليناممن سنغافوره ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتهجمون في شأن المجالس التي تقرأ فيه رجما بالغيب وجراءة على الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا وبينه فليكتب الينا رأيه مؤيدا بحجته ونحن ننشره مذعنين له ان ظهر لنا انه الحق أو مبينين مالدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بخيت ﴾

بلغنا ان الشيخ بخيتا يريد الرد على المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك . وإنه ليسرنا ذلك ونتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مذعنين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لانسر بإجابتنا الى ماندعو اليه العلماء في كل سنة وندعوهم اليه بالانتقاد على مانراه منتقدا منهم ليضطروا الى الانتقاد علينا ولو انتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يعبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا يرد عليها

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: «إن للإسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق»

﴿ مصر الخميس غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ — ٢٤ مايو (ايار) سنة ١٩٠٦ ﴾

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرهما في العدد ٩٤ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى — التربية

في ليلة الأحد الماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نبهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمي الدواوين وبحضر هؤلاء وأولئك شنف المسامع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية تعميما للفوائد وبيانا لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال ما معناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلطها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسمى بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فإن غلب أحد العناصر على سائرها واضمحلت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ما سواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهي الى اليبس نذير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليبحث في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويعاد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتتم حكمة الله تعالى في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالنباتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) منقولتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها ويقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طبيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعي وعلوم النباتات ليعلم خواصها، ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخبيرا بعلل الامراض وأسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئا كان فقده خيرا من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجهله يستعمل من الأدوية ما عساه يهيج المرض ويمين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه يحتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالما بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شفيقا وحيا صادقا أمينا لا يكون قصارى عمله ما يناله من جُعل المعالجة فإنه ان كان قسيا عديم الرأفة أو كان خائنا فلربما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقائه السم في الادوية مثلا أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من المرض الفاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكترث بحال المريض مادام يوفىَّ أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه أيضا خير من وجوده

وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع أصول متضاربة ينشأ من تغالبها مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبيت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة وبات شقيا سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحين والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجرأة وخلق المخافة وهما متضادان ومن مقاومتهما على وجه معتدل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتغلب المخافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يتهدده في جميع أوقاته ولوان الجرأة تغلبت على المخافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهالك لحق ولغير حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي المهلكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه . وكذلك لا بد من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ولوان الامساك تغلب على ضده حتى اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية والالبسة مثلا فيضر ببدنه ولم يوف بحقوق مشاركيه في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم ويتأدى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ولو تغلب البذل لأنفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما ينفقه في ألزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبغلبة أحدهما على الآخر يختل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا يسعنا المقام لتفصيل ذلك . وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المغذية للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة وانفعال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقلدها بعاداتهم أو باستماع إغواء ذوي الاهواء وتمويهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فللنفوس علل وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولوازمه لحفظ صحة البدن كما بينا فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الأخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طبيب النفوس والأرواح اذارقي منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيها ودركات تدنيها في جميع الازمان وان يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أوقديم قوي في النفوس أوضعيف وماهو العلاج اللائق بكل صنف. وكما انه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أمينا لا ينظر الى الدنايا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بحطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزئت بطبيبين لا أطباء، بأن صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء، والسفلة والادنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويغرس فيها جراثيم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويبعده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلجه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت نقع الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن العدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائنا أودنيئا ينحط الى سفاسف الامور أوعدم

الشفقة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سلما للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلايبالي أوقع الافراد في خير أوشر ،صفت النفوس أو تكدرت،ارتفعت الآداب أو انحطت،صحت الارواح أواعتلت ، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والمثيرة لقضاء أوطارهم

الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أرباب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاجلال،واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلادهم والا استحقوا الرفض والطرد والابعاد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقذفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر ضرره على المبتلى به بل يتعداه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية ــ الصناعة

قد عاد حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة وابتدأ حفظه الله يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولا جليلة غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتنيت ثمارها لغير غارسيها ولم تزل في بلادنا على كابتها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها بانيا جميع أقواله على البراهين الثابتة والحجج القوية ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للعموم رأيت من الواجب قياما بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللائقة بها وانشر طيب وفدها في صحف الجرنالات لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق

بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليتذكر من له فطنة) وانه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأتها ويسير في عيشه سيرتها يتفيأ ظلال الأشجار، ويستكن في الجحرة والاوكار، ليس له شعار ولا دثار، (ولكن خفيف أشعار) يقتات بنباتات وثمرات تحضرها له القدرة الالهية على يد القوى الطبيعية لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير الا ما يبعثه على العدو لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والرواح للاستكنان في كن يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكاره الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، ويقيمه متحكما في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومنتهى سر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات انما خلقت لاجله، والكواكب والسيارات انما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفا عاجزا جاهلا حافيا عاريا يزعجه كل حادث، وتستفزه كل نبأة، ويتهيب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا أحوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قمم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرهم الحاجات ولم تسقهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فانهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطابا، ولا يحسنون جوابا، الا ما كان متعلقا بضرورة الحياة كجلب قوت بسيط ومدافعة عاد من الحيوانات وجميع ما يعده الانسان المتمدن كمالا وانسانية فهم بعيدون منه، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكون جلت قدرته لما اختص هذا النوع من بين الانواع الحيوانية بخاصة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلها الا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف، تامة القبول، ووكل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حق الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها، واهتدى بآثارها والتقط درر الحكم من فعلها وانفعالها، وتدرج في ذلك شيئا فشيأ تارة يخطىء وتارة يصيب، وطورا ينجلي له الحق وآخر عنه يغيب، مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطرارا للوقوف عليها، حتى وصل الى ما تراه من أحواله الغريبة، وآثاره العجيبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتقلب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجهالات، منقادا في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يأتمر أمره، ويتبع سيره، تارة يتدرج الى الكمال فيتقمد مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من التفنن في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جحيم الاوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويغل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهدا في تبيانه بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلا بجميع أعماله المنقولة المعهودة

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياكة مثلا قائمة مقام القوة الماسكة للجلود الغليظة المفرزة للأشعار والاوبار الواقية لما أحاطته من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية عدوه وصناعة الحديد والاسلحة منزلة القوة المولدة للمخالب والبراثن والانياب للسباع والعصي وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يقم منها مقام ضروري أو حاجي [illegible] مقام كمالي على ما يتضح لك بعد

واذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وعليها مدار بقائه في [illegible] كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها [illegible]

ماقرره الحكماء الاقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، ليتبين شرف كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات فالقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالمعلم مثلا ذو قوة الفعل والمتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثر والقبول لاتعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية مالم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالافعال الطبيعية من احراق النار وتمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شاكل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبديهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كأعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولا لقائل ايا كان حقا أو باطلا فليس له حد يقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم علم اليقين انه وان وقع كثير من صوره وكمالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجثمان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعاة الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان واضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل مالم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه كأن يطلب بها تقوية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو نهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وانحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر الى كلية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو متمماته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الأنسان لا يحفظ بقاؤه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما نبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده انما يكون بالاجتماع والالتئام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في موادّ الأغذية التي لا تحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرّاً وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال تستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوما بيوم بل ساعة بساعة فلابد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بثمرة عمل الآخر فيكون المجموع الإنساني كبدن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص — مع انه لا بقاء له الا في ضمن المجموع — فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضوا حقيقيا وركنا ثابتا يقوم بأداء عمل يعود على كلية الافراد أولا من طريق كليتهم ويعود الى شخصيته ثانيا ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الأنساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالعضو الأشل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالاباحية الذين يعتقدون أنه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاعوا أكلوا أو شبقوا واقعوا ويبثون أفكارهم بين افراد النوع ليقتدوا بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيقر كون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيهلكون

فأولئك كالأمراض السارية مثل الجذام والزهري لابد من قطع العضو المؤف «المصاب» بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونوا إباحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا و يؤدبوا و يحال بينهم و بين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كان بالتعذيب حتى يستقيموا أولا يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلابد أن يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفاؤهم فراراً من ألم القلب عند اختزالهم واقتطاعهم لمالهم من العذر القائم اذ حيث ان مدبر الكون قد حرمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية فهم مبغوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضا اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه خسيس منحط الدرجة رديء العاقبة وان كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتؤيد العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذوو البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكلوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذلم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبتلا وانقطاعا عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكفف وخلعهم لجلباب التعفف فهم بمنزلة شعر الإبط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتعهد بالتطهير ويستحب ازالتهم وتنقية الهيئة الاجتماعية من درنهم فان بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمرا يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الاعمال ويقلدون أعناقهم سبح المكر والحيلة ويسربلونهم بسرابيل التمويه والتزوير ويغرونهم بتأبط هراوة الشر واقتناء قدح الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبة وطلب الدني من الدنيا من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وغير ذلك ويحجبون ذلك بأستار من التلبيس (الغير المنتظم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الاستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستئثار بثمرات اكتسابهم باسم انهم وأنهم وأنهم (كما ترى) وجب إلحاقهم بالاباحيين وتحتم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسعى لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويعود ويل ذلك كله على العامة والخاصة معا . وبالجملة حيث تبين ان لا قوام للانسان الا بالصنعة فمن أخل بوظائفها أورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فعليها ان تطرده من أبوابها وتمحوا اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية واما أن تكون كثيرة النفع أو قليلته أو متممة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كقصر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي مقننة القوانين وموضحة السبل وواضعة جميع النظامات ومعينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والرذائل وبالجملة فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فان لها غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على اتمام وظائفها والثامن كالصباغة والنقش والتلوين وغير ذلك

ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بعموم موضوعه وشمول غايته وان أعم الاقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بينا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذه في أعماله وافكاره واخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المنقاد من السيد الحاكم الآمر الناهي

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأحببت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالاً على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفئة التي ينتمي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فمعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

---

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعملت بما أقره

أحمد الشهير الذي انشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاما . والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزعوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

اما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسوية فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ماذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه أبني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

والملهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولا لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفا والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير انهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضا ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتذمر ويقتصر على اللوم والتعنيف بل انهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضا فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهدا في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايتها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذي يرجون استبداله به . فاتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديما أضحى ضربا من المحال . ورأوا على ما بهم من الاكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقي قومهم الى درجة تلائم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وفلسفتها فكانت هذه السنة منهم في العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعهم في بادىء الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادىء لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسرها أكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لانتظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئا فشيئا امام شجاعة المصاحبين وثباتهم ثم أيدهم رجال خطير و الشأن مثل المرحوم السر سالار جنك تأييدا ماديا من جهة ومعنويا من أخرى في اعتبار الذين يمدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلقين بأخلاق تجلهم وتنزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا ألد خصومهم الى أشد الأنصار غيرة عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مسعاها لم يكونوا يتصورون أنها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه» انتهى اه

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان و بلاد العرب وأوغندة وموريتيوس ومستعمرة الرأس ويقيني انه لو قصدها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

---

(١) هذا كتب منذ اعوام

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه:

« هذا واني أوافق السر ملكولم مكلريث على ما قاله عن الضربة الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته» اه

أما ما أشار اليه من كلام السر ملكوم مكلريث المستشار القضائي في تقريره عن المحاكم فها هو بنصه

ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يوليه الفائت وان أبدي شديد اسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشريعة الاسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الاصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرا لسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوربا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فانه يتعذر وجود أحد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته

فلكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمناً طويلا تشعر بخسارتها بفقده اهـ كلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروبا من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — مالم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلا عن أوساطهم ودهمائهم ، فرأينا أن نبين ذلك مع شيء من الشرح والرأي

العبرة الاولى بيانه لحال المسلمين

ذلك أنه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتنطعون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم ونقول انه قد بلغ من تنطعهم في جمودهم على ما ألفوا أن كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعليم العسكري في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيهم المعروف وحسبانه من أمور الدين وإن أهل مراكش لأشد تنطعا وجمودا على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات العساكر في الحرب أوفي التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كؤدا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لشيوخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقيض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المتفرنجون الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه ولله دره ما أدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لا قيمة لهم في أنفسهم ، ولا صوت لهم في أمتهم ، وسنعود الى ذكر ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لعلمهم ان كل فساد طرأ عليهم فمنعهم عن مجاراة الامم في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجى خيره بين المتنطعين في جمودهم والمتهتكين في تفرنجهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكده الكلية منذ ثلاثين عاما . ونقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الافغاني يبذر فيه بذور الاصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالتين من المقالات الاصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بارشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الاصلاح لولا أنه فتن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم تمكنه من عمل يذكر في غيرها سوى ما كان يكتبه في أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسالمة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الاصلاح كما بيناه في ترجمته .

وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر الى الاشتغال بالاصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي اسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن المنية عاجلته قبل ذلك فقدمات قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسيها كانوا من عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين للظن بها فكانوا خيرا لمتهم ممن جعلهم سوء الظن والكره بين معاد لعلوم الافرنج النافعة وبين خائف من كل عمل نافع لملته، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي انه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا في ذلك ولا يمنعوننا ما ينفعنا الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارتهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضر على أنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اما ما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فان أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالأوربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وانما كان المتنطعون من أهل الجمود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون انه ينصر مذهب الفلاسفة أو المعتزلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتمادي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولا لقائل . فانحصرت بعد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخترعونه للطعن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في أواخر مدته . ولا ينافي هذا قول اللوردان مريدي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقتهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون . فعسى أن يوفقهم الله للمضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيما اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان يطعن فيه على المنابر واستفتى بعض علماء الحرمين في أمره فأفتوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا المبلغ. ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأبعد من السيد أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضيه أقل غباوة واضعف ارادة والأمة انبه منهم وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

العبرة الثانية ثناؤه على الامام

صفوة العبرة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمراؤهم وعلماؤهم فيعتد بقوله فيهم. واما العبرة الثانية فتريدنا بها ما في ثنائه على الرجل وحزبه من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تنشيطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افرنجي اسمه (غورفيل) وطبعه باللغتين الانكليزية والفرنسية وقد اشتهر الكتاب بفصل فيه معزو الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتلين الذين يدبرون أمرها ويديرون دفتها وقد ترجمته أكثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال العظام تبني أحكامها على الصفات والأعمال، لا يصدها عن مقاصدها قيل وقال، واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي يعتقده في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم الشرعية وبمناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدارس الحكومة. وقد كان اللورد العظيم يضع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كرأيه في ضرر إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه

فهل يعتبر بهذا رجالنا الذين يمنعهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتلين ما يعتقدون في المصالح والأعمال؟ ألا يكفيهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستاذ الامام بما أثنيا به بعد موته واحترامهما وسائر كبراء المحتلين له في حياته برهانا على أن القوم رجال جد يجلون من يقول الحق في السر والجهر ويعمل بالاخلاص

في الخفيـة والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه مالم يكن حرباً لهم، وأنه لا قيمة لأهل الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الايجاز في هذا المقام

هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجـل أكثر مما يجب أو ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخاً لمصر ولا كتاباً في مناقب العلماء والحكماء وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهما العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية انه رجل جليل مصلح قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام ، أو ما في معنى هذا الكلام ، ولكن اللورد قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين وتنشيطه وحثه على ترقية المقاصد التي كان يرمي اليها إمامه

واني رأيت مريدي الاستاذ الامام شاكرين للورد ما كتبه قادرين إياه قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

العبرة الثالثة حثه الاوربيين على تنشيط هذا الحزب

اني لأعلم ان من الناس من يعجب لقول اللورد « فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الاوربيين » وبعضهم يضعه موضع الظنة لاعتقاد المسلمين أن الاوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحاً ولا خيراً ما وإنما يريدون الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أوربا كافة على تنشيط حزب مصلح ينفع المسلمين بل لا ينفعهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الاوربي وقد سبق لنا فيه قول ونقول هنا كلمة وجيزة فيه .

ان غرض الاوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمران فهم يحبون عمران البلاد التي يتبوؤنها ومن ثم سموا ذلك استعماراً ، وعمران كل بلاد انما ينمو ويعظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين الآخر ليكون في وفاقه وخلافه على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أجدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف اذا كان الأعلم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لايحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم . ومتى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وانحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفتن فان كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر

ثم ان الاوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدنيتهم وباستعمارهم للأرض هو ماعليه عوامّ المسلمين من الاستعداد للتهيج باسم الدين ورب هيجة شوهى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة — لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محبّ للاصلاح الذي يعرّف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الاجانب الذين يعيشون معهم ويزلزل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يغرهم الغارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالاجانب قليلا فهي تضرهم كثيرا . فالاجانب العقلاء العارفون بكنه الشرق كاللورد كرومر واضرابه من ساسة الانكليز يحبون هذا النوع من الاصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم أيضا لأنهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطمأنينة كما قال المنار غير مرة ولكن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه ، قائمة بقوة العلم والحكمة ، وقوة السلاح والوحدة ، فاذا وجد فيهم من يحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر اللورد كرومر بذلك

مثل هذا الاصلاح لا يأتي من جانب المتفرنجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرنجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الخرافات التي هي مثار الفتن والآفات . ولاشك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لاغرض له الا إزالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الاصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يعارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالجمعيات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور . ويعتقد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الاصلاح الا باتقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به ويجعل مداره على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها . ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاحتلال وقد سألت الاستاذ الامام عن رأيه فيه عند مازار طرابلس منذ بضع عشرة سنة فقال انها مسألة أوربية لا شأن لنا فيها وانما الشأن فيها لدول أوربا ذات المصالح في مصر مع السلطان فاذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان ، وهو مالا دليل عليه الآن .

هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوربا كلمتها فيها بلسان اتفاق ابريل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نشتغل بما يعنينا وهو في استطاعتنا من ترقية أمتنا بالتربية والتعليم ونترك مالا طاقة لنا به ولا يأتي منه الا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الامة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها ودنياها وضغط أوربا عليها

هنا يقول المعترض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثلى في إصلاح حال المسلمين ، وان منتهى الحكمة فيها مسالمة الاوربيين ، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه ان المسلمين اذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب ، أو يكون حاديا لهذا الركب هذا الحزب ، والجواب عن هذا سهل وهو ان طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في الاستقبال ، فان الامة اذا سارت في طريق الترقي مع المسالمة وحسن التفاهم بينها وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في ابان ضعفها وعجزها فهي لا تترك صداقتهم في طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها و يمكنهم ان يربحوا منها في طور القوة والاستقلال ، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانكليز هم القوم الذين لا يعاندون الطبيعة وانما يسايرونها و يستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه . واني لا أكون واهما اذا قلت ان فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين ، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لأباحت له العمل ان لم تنشطه وتساعده . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كتبه اللورد في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحببنا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بالقوم يضرنا ولا يضرهم ومن انغباوة أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرمي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها تحل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعملوا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم . فقال الراغب أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجلان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال وهما يعملان للمسلمين ما يرقيهم ويرفع شأنهم

العبرة الرابعة رأيه في المتفرنجين

يظن هؤلاء المتفرنجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شر منه عن كثيرين من كبراء الاوربيين — علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفرنجين وفي ذلك من العبرة ما لا محل لشرحه في هذا المقام واللبيب من تكفيه الاشارة وأين اللبيب فيهم وقد أفسدت الخمور ألبابهم ، وأضاع القمار صوابهم ، فمسرتهم في حسرة على المال الذي يمتع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يفني ثروته ، ومنتهى الفخر عندهم كلب غريب يسايره في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وفتاة أوربية تخاصره في المتنزهات ، وتقبيح ما عليه قومهم من الآداب والعادات ، وصرف العمر في التفنن في اللذات ، وان أذاقت الامة ضعف الحياة وضعف الممات ،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(طريقة ابراهيم الرشيدي — من اسئلة سنغافوره)

(س ٢٠) من أحد المشتركين في سنغافوره

نبحث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر لازال منار الدين به مشيدا وهو

انه نجم في هذه الاطراف طائفة تزعم أنها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدي و يقيمون في المساجد اذكاراً بلفظ الجلالة برفع صوت جداً و يشوشون على من هناك من المصلين و يلقبون أنفسهم بمجاذيب و ينشدون خلال ذلك اشعارا من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاتها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) و يجيب بعضهم بعضا بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباقون بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاتهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك أجابوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم و بأنهم انما يزعقون في حالة الغيبة مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المريد اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاقت انفاسه منه بما خرج على ظاهره فيزعق بلفظ (الله) واذا قاموا للذكر ليلا وارتفعت أصواتهم بذلك ربما سقط بعضهم مغشيا عليه ذكرا كان أو أنثى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقة في يديه و يقول لهم (أش) ثم يخر أحدهم مغشياً عليه فيفيق بعد ذلك و يقول شاهدت في غيبتي أحمد بن ادريس وشاهدت . . . الى ما لا نطيل بذكره فهل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة الممدوحة أو هو مما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاة الامور المنع من مثل هذا

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على منعهم ظنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الاصرار فأدركونا بما فيه حياة الدين والدنيا لا زلتم عمدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا العصر كقولهم الله الله ... حي حي ... أو بالضمير كقولهم هُو هُو ... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول. قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العبودية ما نصه بعد أن أورد ما ورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا إله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أو لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ:

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٦: ٩١ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أبين غلط هؤلاء فان الاسم هو مذكور في الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال: من جاء؟ فتقول: زيد: وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعا وإنما يعطيه تصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشريعة انما تشرع من الاذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره. وقد وقع من واظب على هذا الذكر في فنون من الالحاد، وأنواع من الاتحاد، كما قد بسط في غير هذا الموضع. وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف ان أموت بين النفي والإثبات: حال لا يقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط ما لا خفاء فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (يعني المحتضر) لا إله إلا الله وقال «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولو كان ماذكره محذورا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتا غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمر أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فان من قال ياهو ياهو أوهوهو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا الا الى ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم ان قوله (٣: ٧ وما يعلم تأويله الا الله) معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) الا الله وقيل هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا مايذكره بعض الشيوخ انه يحتج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله (قل الله) معناه: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى: وهذا جواب لقوله (٦: ٩١ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم، قل الله) أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء) (*) فقال من انزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله انزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«ومما يبين ما تقدم ماذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولا فالقول لا يحكى به الا كلام تام بجملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» اذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم. والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمر

(*) أول الآية «وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» اهـ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات . ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الاعراب مر بمؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسولَ الله: بالنصب فقال ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم فأين الخبر عنه الذي به يتم الكلام ؟

« وما في القرآن من قوله (٨:٧٣ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) وقوله (١:٥٦ سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤:٨٧ قد أفلح من تزكى ١٥ وذكر اسم ربه فصلى) وقوله (٩٦:٥٦ فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » (١) فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وهذا معنى اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين » — الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محظور عند جميع العلماء سواء كان بذكر أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو بغير ذلك فان المساجد انما بنيت للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وان كان بمشروع فكيف اذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منعه لذاته وان لم يشوش على مصل . ولا أراني محتاجا في هذه المسألة الى نقل لانه لا ينازع فيها احد ومن اراد النقول فليرجع الى الجزء الاول من المجلد السادس ومنه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في تقريظ كتاب اصابة السهام (٣٤:٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الاحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر الا أنها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والعرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على الانسان

---

(١) الحديث رواه أحمد وابو داود وابن ماجه والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه ايضا احمد واصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالذكر والفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالبا اذا كان من يأتيها مستعدا له وهي الخلوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لا سيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة. وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعا يجيء نوبة بعد نوبة ويكون مطبقا ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذا عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجب ان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا - وفي رواية مساجدكم - صبيانكم ومجانينكم» الخ رواه ابن ماجه من حديث واثلة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساكر عنه وعن غيره. واذا كان التشويش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه العاقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعقات) هذه الزعقات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثر بما يهم نفسه فاذا كان عابدا وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عبرة يغلبه وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقا وسمع غناء أو شعراً بليغا يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الاغبياء الجهلاء بأسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق الذي يتأثر بالمعنى الدقيق جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب العوارف وغيرهما من متصوفة القرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا. قال الامام الغزالي في بيان أصناف المغترين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيأتهم وفي ألفاظهم وفي

آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيآت . فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجليـة وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضـه وهؤلاء غرورهم ظاهر » ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجعان وتبرز الى الميـدان ثم ذكر فرقـة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك :

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأسامي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ، ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المنافقين ، وعنـد أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين ، ولم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الاباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حـد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها (فمنهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب : الخ ماذكره في ذلك

أقول اذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يبلغوا في التصوف بعض مدى هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . وليعلم ان الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات بعض الناس انما يكون بعد الحب والحب لا يكون الا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون الا بالعلم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الاذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها ان لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه اذا أنكر عليه لاسيما اذا كان الانكار انتصارا للدين وحماية للشرع فكل مدع كذاب وقد دخلنا في هذه الامور وجربناها وكنا نذكر الذكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعق وكدت أقلدهم ولكنني علمت ان كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء ان لا يزعقوا لما زعقوا وكم من تائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق

(المسألة الخامسة الغيبة ومشاهدة الارواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رؤية الارواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلا نعيدها وانما نقول ان المدعين كاذبون مراؤن باغون للشهرة وان دعاويهم هذه ان صحت لا تكون من الدين في شيء اذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تذكر ميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكره تابعا لاشارة من الخليفة يبديها أو كلمة يقولها وجملة القول ان ما حكيتم عن هذه الفرقة مما تصان عنه المساجد فان صدقوا في دعوى التصوف فعليهم ان يخضعوا لآداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وان أبوا كان على المستطيع ان يمنعهم من كل فعل في المسجد يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة الحكومة والله أعلم وأحكم

غيبة العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنغافوره)

مايقول المنار المنير في رجل أطرى عالما بسعة اطلاعه وجودة مدركه ونحو ذلك فقال آخر حسدا لذلك العالم وجهلا منه بحقيقة العلم دعني من علم أولئك الناس الذين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . — الى ان استشهد ببيت ابن رسلان :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن

فقال له المطري مهلا فانك تعلم ان الغيبة حرام فالبيت يصدق عليك فانك لا تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المغتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع حال أهلها وغيبة العلماء أشد الغيبة ضررا لأنها تفضي الى تنفير الجاهلين عن الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء جراءة أخرى وهي انه يحكم في أمر من علم الغيب ببيت من الشعر وذلك من القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر تحريمه مقرونا بتحريم الشرك بالله . وقد قيل ان لمعنى البيت أصلا في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه لاحتج به لا بقول من لا حجة في كلامه . روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « ان أول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار — ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار — ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار » فمن هذا الحديث أخذوا ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويعذب ولكن ما يدرينا ان الاولية بالنسبة الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أوأن افعل ليس على بابه . ثم ان الحديث في العالم المرائي لافي تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وان اشتهر وتلقاه المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يغتاب العالم الذي يتهم بالرياء ويخاض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يغتاب الشهيد والمحسن المنفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخيرهم العالم المعلم فما معنى تحريم الغيبة اذا جازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لايجوز أن يحكم به على عالم ولاجاهل نعم ان مؤاخذة العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مؤاخذة من يفعل الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يؤاخذ على الذنب وعلى الجهل معا فان الجهل ليس بعذر الا ما يكون في دقائق الشبهات وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوكها ألسنة كثير من العامة فتجرئهم على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف له أصلا وما أراه الا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جبلة مرسلا « ويل لمن لايعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من الويل » وهو على ارساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة « ويل لمن لايعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن علم ثم لا يعمل » وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا

﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(س ٢٣) ع ٠ ع بسنغافوره

سيدي : في (جوهر) الاسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في سائر الايام مهجورا لايصلي فيه الا خدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والتراويح وجعل

لكل من واظب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالات وللإمام ثلاثين ريالا فأجاب طلبه جمّ غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة واحد قال انها غير صحيحة ولم يجوز أخذ الدراهم بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والحقير من جملة الذين حضروا هذه الصلاة ولم آخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فاحكم ياسيدي فأنت الحكم الذي ترضى حكومته والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجعل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى بالمرة فلا شك أن صلاته غير صحيحة وأخذه للمال عليها غير جائز ومن سمى ذلك شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها إذ لا شيء فيها لله في الحقيقة وانما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الأمرين معا — الثواب والمال — فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وانما صلى في ذلك المسجد بعد نداء الوزير بالجعل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده الى غيره فلا يعد مشركا ولا مرائيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أيثاب على قصد الثواب بقدره ويعاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الغزالي بالأول محتجا بقوله تعالى (٩٩ : ٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقال العز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه — اذا كان يوم القيامة أتي بصحف مختمة فتنصب بين يدي الله عزوجل فيقول للملائكة اقبلوا هذا والقوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لغيري ولا أقبل الا ما ابتغي به وجهي » أقول وما ابتغي به غير وجهه تعالى قسمان ما ابتغي به المال وما ابتغي به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٧٦ : ٩ انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المسئول عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لا على الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولو لم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه اختاره لاجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله و ينحصر السؤال في قصده الى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الشريف الفاسق واذهاب الرجس عن أهل البيت)

(س ٢٤) الشيخ عبد الله الحضرمي في سنغافوره

ملخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي انه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يتنزه المنار عن نشره وقال اذا سلمنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣:٣٣ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)

(ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فزعموا أن المراد بآل البيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وان ارادة الله تعالى هي مشيئته المطلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصمة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم ان معاصيهم صورية لا حقيقية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت الى بعض الانبياء وبهذا قال بعض الصوفية . وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه مخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفر دون المعاصي وقال انه يكاد يقطع بذلك . وقال بعضهم انها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات و بعضهم انها تشمل معهم بقية الأئمة الاثني عشر فهم المعصومون

والحق الذي لا محيد عنه الا الى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد بأهله هو ونساؤه وذكر ضمير الجمع المذكر تغليبا للاشرف ايذانا بأن العناية به ثم بمن تبعاله أو رعاية للفظ الاهل والعرب تستعمله ومنه (٢٧:٧ اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بقبس) وقوله (٢٨:٢٩ قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (١١:٧٣ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت) والخطاب لامرأة ابراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويتبرأ من كل ما يخالفه فان العبارة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فيهن بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الاحكام الخاصة بهن لا إرادة الخلق والتكوين ابتداء فقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) ألخ هو كقوله عز وجل في آخر آية الوضوء والغسل والتيمم من سورة المائدة (٥: ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته لعلكم تشكرون) وقوله بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخصة (٢: ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمته تعالى في تلك الاحكام، وما فيها من الفائدة للأنام اذا هم عملوا بها لا يفهم منها ارادة الخلق والتكوين ابتداء . وقد سألني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفتي الخليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنة أحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله ان الله تعالى نفى ارادة العسر بنا واثبت ارادة اليسر وما يريده الله تعالى لابد من وقوعه وما لا يريده يستحيل ان يقع وانا نرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبته على البداهة بمثل ما تقدم آنفا ولم أكن رأيته لأحد وانما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا تحمل الآية سواه الا بتحريفها عن موضعها علم ان ما ورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يتبرأ منه سياق الآية إذ يصير معنى الآيات يا نساء النبي لا تفعلن كذا ومن يفعل منكن كذا فجزاؤه مضاعف ضعفين يا نساء النبي أفعلن كذا وكذا ان الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي الا إذهاب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي الى اللائمة تطهيرا كاملا . وان رواية تفضي الى هذا ما يقطع ببطلانها وان صحح بعض المحدثين سندها بل أقول انه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الاحكام التي شرعت لاجل اذهاب الرجس بالعمل بها وانما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الاخبار بها ابتدائيا غير معلق بشيء

أقول هذا وانا علوي فاطمي حسيني الاب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفضلية فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بأنها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء، وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فهن بها ممتازات على بناته وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهن بعض الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة. وإني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الاول وإن كانت مخالفة لصريح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبني المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الاول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء خلافاً للترمذي والحاكم ولله در عكرمة إذ كان يقول من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر. وروى ابن جرير ان عكرمة كان ينادي في السوق ان قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يحتاج الى شيء من الروايات في فهم الآية فانها في سياقها لا تحتمل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارئ له معرفة باللغة. وقد علمت ان الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها ان الله تعالى شرع لهن تلك الاحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة يضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً اذا هن امتثلن وأطعن الله ورسوله ولا معنى لوعيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه. فاذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك ان يستحيل عليهم الفسق فاذا هم كغيرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكابرة فيها فان لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والاول جنون والثاني حرام

﴿العمل بالبيع والشراء وغيرهما بالعمولة العرفية﴾

(س ٣٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب بسنغافوره:

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين — يبعث أحدهم الى آخر بعروض تجارة فيأمره ببيعها بقيمة الوقت هناك أو بدراهم ليشتري له بها عروض

تجارة . وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله غلة عقارة ويجري كل منهـم لنفسه معلوما في مقابل عمله خمسا في المئة أو أقل أو أكثر فهل ما يأخذونه جائز أم شرعا ؟ ان قلتم لافواضح وان قلتم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بارك الله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (٥:١ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على معصية كالاستئجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للآخر ما يرسله اليه من العروض ويشتري له بثمنه أو بمال آخر عروضا معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف ويأخذ على المبيع والمشترى أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمسة في المئة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل إن هذه الاجرة مجهولة ويشترط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري اجيره يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون أجرة الطحن من الطحين . على أننا نقول إن ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وانما يعلل بالمصلحة يمكن ان تختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعلل الفقهاء ليست دينا يتعبد باتباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولاشك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نسابق جميع الامم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدار قطني والبيهقي نهي عن عسب

الفحل وعن قفيز الطحان » وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لا يجوز ان تكون الاجرة بعض المعمول بعد العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحمد ، وفي حديثه عند أحمد وغيره « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره » ومنه اخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الاجرة معلومة خلافا لمالك وأحمد فانهما حكما العرف في ذلك فما تقول في الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب ان أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الاول ففي اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي ان حديثه منكر ووثقه مغلطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم إن ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قال بعضهم انه قفيز كان يؤخذ زائدا على الاجرة وهذا هو المتبادر وهو المعهود في بلادنا فنهي عنه لانه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالبخشيش . واما حديثه الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا ان ابراهيم النخعي رواه عن أبي سعيد ولم يسمع من أبي سعيد كما قال في مجمع الزوائد وذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض ألفاظه « من استأجر » فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي ان يكون بيان الاجرة أو تسميتها بكونها جزءا من كذا جزءا مما يبيعه أو يشتريه أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها الغبن والغش . ولا نعرف حديثا غير هذين الحديثين يمكن ان يستدل به على تحريم أخذ كذا في المئة مما يباع أو يشترى أو يحصل أجرة أو عمولة وهما لا يدلان على ذلك . والوصي حكمه فيما عوقد عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجرا أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف يجيزه له فانه لا يجوز له أخذه واذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقا . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله « ولا نرى أنهم إنما يعملون مجانا » أم يريد انه يجب أن تكون هذه الاعمال مجانا وقد علمت ما نعتقد في الامرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل ايدي الشرفاء وغيرهم)

(س٢٧) مستفيد من سنغافوره

ما يقول المنار المنير في تقبيل اليد فاني أرى سادات اليمن وحضرموت المنتسبين الى النبي صلى الله عليه وسلم ينكرون على من لم يقبل أيديهم و يزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفا للسنة ومرتكبا محرما أو مكروها فقد زادوا في شريعة الله ما ليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا انما يريدون انه قد استحسن في الآداب العادية ان تقبل أيديهم فصار ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به لا يخلو من إشعار بعدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة أقول هذا وانا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول و بنقل ذلك ولا يكتفى فيها بحديث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به و يبقى مجهولا لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة ما نصه «وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان المقبل يده عالما أو صالحا أو هما معا فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون المقبل يده ظالما أو بدعيا أو ممن يريد تقبيل يده و يختاره فهو الداء العضال الواقع بالفاعل والمفعول به و بمن أعجبه ذلك منهما لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد نعوذ بالله من المخالفة وترك الامتثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشيء منها»

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جدا لانه عدها بدعة دينية وله الحق في التشديد في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعا أو ترتب عليه مفسدة كإعانة المبتدعين والظالمين على بدعتهم وظلمهم . وأما ما يفعل بمقتضى العادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا ترتبت عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم سادة حضرموت

باب التربية والتعليم

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئا في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضاق ذلك الجزء عن نشرها فرأينا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسئلة اصلاح المدارس . مسئلة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ما خطونا الى الامام الا خطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نعنى بها لان حياة الامم وبقاءها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سعادتها وارتقائها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضعت أساسا للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة اخرى وبنت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا فخلفتها ثالثة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقي والكمال!

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ما ورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغتفر على اخلافها بل على النوع البشري باسره

واذا أجلنا الطرف في مدارسنا نرى الفوضى سائدة في أكنافها : لا نظام،

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كامتعة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق!
ومن أراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يبتدئ منها. فليس اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمرا هينا بل هو أمر في غاية الصعوبة ولكن الامة اذا تصدت لهذا الامر بجد واخلاص ذلله مهما كان صعبا اذ لا يوجد في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتئمة اعضاؤها. ومامن غاية قاصية الاوادركتها الامة المتحدة ومامن مسلك وعر الا وعبرته الامة المتحدة

والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لاتحصى ومضمارها واسع جدا لانهاية له. فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول:

هل تفتقر مدارسنا الى الاصلاح؟

ان مسئلة اصلاح المدارس مسئلة جديدة بيننا. اذا رجعنا البصر الى ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نعثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الاقليلا واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الامة لم يكن له أثر بالمرة. ولكن الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم. فانه لايكاد يوجد اليوم من لا يبحث عن أحوال المدارس وطلبة العلوم. وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرّم تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضررا جسيما يرجع الى الامة بالخسار فهؤلاء المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة. والبحث عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتدون الى الحق الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يجلوا الحقيقة ويطلع الكثيرين على مواضع خطأهم وينقذهم من التيه في غمرات الضلال.

انا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجر فيها ومزارعنا التي نحرثها، والاحذية التي نحتذيها، والاردية والفراء التي نلبسها بل وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآننا، وحروف مطابعنا وغيرها أفلا تكون ديار التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يتربى فيها رجال المستقبل وقادة الامة مفتقرة الى الإصلاح؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرساً في مدرسة أو معلما في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذا نفوذ عظيم في الأمة أورئيساً لبيت من البيوت!

ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجمة وتخلقهم بالاخلاق الفاضلة يحتاج في اثباته الى دليل!

واذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعا. وليست وظائف من يكون زوجاً لامرأة أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب. لان رئيس العائلة معلم في عائلته

كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية» وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع. مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من يرشح للتدريس، أو التعليم، والخطابة، أو الكتابة!

أم كيف نحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية ولا تدري ما هي الفلسفة الدينية معمورة غير مفتقرة الى الاصلاح؟ وكيف ترجى الخدمة للمسلمين من طلبة هذه المدارس؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواش وشروح و بضعة كتب من علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل. أتكفينا هذه الدروس في هذا الزمان؟

اذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلاسم والجفر و يحرمون ركوب السكة الحديدية، و يمتنعون من السفر تطيرا بحيوان مخصوص: ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح تفيض وستفيض بعد الآن. والقارئون منا أكثر من قارئي الروس. لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المئة على ان مدارسهم منتظمة ودروسها على نسق جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فما الذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا؟ قلنا لهم:

كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك بالقرى وما كان المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقراءتها أو كتابة أسماء المواليد في سجل النفوس اذا كان القارئ اماما في مسجد. ولا شك ان هذه الحاجة حاجة قليلة. وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة. مضت الايام وتغيرت

الازمان وكثرت الحاجات ونجمت بين الام المنافسة في الحياة او تنازع البقاء وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالمام بشيء من الدين وتعلم الكتابة . اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة تتخرج فيها هداة الامة وقادتها . وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم ويسوقونهم الى مستقبل عظيم؟

اذا بقي هداتنا حيارى اذ تقود هداة الام الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسرنا خسرانا مبينا !

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة . وان كان هذا الامر مما كان يعد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن حقيقة جلية كالشمس في وسط السماء .

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضعون نظاما في حاجاتهم الدينية والدنيوية ويرفعونه الى الحكومة وانهم يجتمعون في عواصم البلاد ويأتمرون في شؤونهم المختلفة كما رأينا اليوم باعيننا ؟ فلا غرو اذا رأينا بعد هذا وكلاء المسلمين يجلسون متكاتفين مع وكلاء الامم الأخرى في مجالس عالية . وبالجملة اننا نضطر بعد اليوم الى ان نعيش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشتركين في المصالح . واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين .

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية كما قلنا سابقا هو أن يتخرج فيها رجال يكونون أئمة للامة .

المتعلمون من الروس أكثرهم يعملون أعمالا تحار فيها عقولنا وأما المتعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بعد ان يكون أضاع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني . أيها الاخوان ! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تربي لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل والزعازع والامواج والزوابع ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبته البرهان والعيان .

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيرا بمسلمي روسيا لا يزلزله ما نسمعه عن جمود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفورهم من الاصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان فان طلاب الاصلاح كثيرون وهم الغالبون حتما ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى الموضوع ونذكر مايصل الينا عن مؤتمر التلاميذ الذي عقدوه في قزان وبعض مانراه واجبا في اصلاح تلك المدارس

آثار علمية ادبية

التقريظ

﴿ الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة ﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الايمان الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما اطلعنا عليه من كتبه فقد تصفحنا منه أوراقا متفرقة فرأينا كلاما معتدلا ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة منه شيئا ضارا يعد منفردا به فاثباته رؤية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيرا من المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك .

واما ماينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أر فيه ما يضر القارئ . مثاله قوله

« والعلم بالله على ثلاثة أقسام الاوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية — فعلم الامر هو علم الفرائض والسنن والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكراهة والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير وأبهة الهيأة المجتمعة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى اكتساب . وبعد هذا فالهدي هو العلم لايستغني القلب عن العلم طرفة عين والعقل أيضا محتاج الى العلم النبوي لايستغني عنه بنفسه آنا أبدا وكل علم مد شراعه في الاكوان انفتق رتقه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاجا »

فالعامي يفهم من هذا الكلام انه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول

ان فيه شيئا ضارًّا بعقيدة القارىء أو آدابه وانما ينكر هذا التقسيم وهـذا البيان للأقسام — ينكر على المؤلف أنه قال إن الاقسام ثلاثة وسرد اكثر من ثلاثة معطوفا بعضها على بعض ، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه في خلقه وانما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غـير ذلك علما بالله إلا بتأويل . فان قيل انه طوى هذا في العلم بالاوامر أي بالفرائض والسنن — وهو مالا يتبادر من لفظها — يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فاننا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو لا يعد منه الا بتكلف من التأويل

— وينكر عليه قوله ان المباحات تعلم من الشرع وطريقها السمع بأنه لاحاجة الى ان تعلم المباحات تعلما ولا تتوقف معرفتها على السمع فانها هي الاصل وانما يتعلم من الشرع القسمان الاولان — الاوامر والنواهي — فيعلم ان ماسواها مباح على الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » — وينكر عليه قوله في مدارك الحواس والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة . ومما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخلط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض . ان اريد الايمان انما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه ضارا بعقائد القارئين أو آدابهم كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبني ماذكره في شعبة الزكاة وهو « واذا تدبر اللبيب يرى أن الوجود كله يتعبد لله بالزكاة عملا بشريعة الإسلام — هذه الارض التي هي أقرب الاشياء الينا تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسماوات والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل لا يدخر شيئا من منافع جوهريته

وفوائد ءاد انه متعاون بعضه مع البعض في طاعة الله فمانع الزكاة مخالف لجميع الموجودات بل وللأرضين والسموات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على ايتاء الزكاة فتدبر سر هذا الحكم وحكمته يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة ففيها البلاغ » اه وهو كلام ظاهره شرعي وباطنه فيه حقيقة دقيقة و يا ليت المؤلف توسل الى السلطان بإلزام المسلمين باداء الزكاة لعله يجاب كما يجاب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هندية

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تغذي ايمانه به وتنمي حبه في قلبه وترغبه في التأسي به فقد قال تعالى في كتابه (٣٣: ٢١ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تتأسى به في أخلاقه وشمائله وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذلم يكن ألف فيها الا الكتب المطولة التي تعسر الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا العصر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة القادين الاميرية . كتاب لا تبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لأهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الاشارة الى شيء من وجوه الاعتبار ، وملخص سيرة الخلفاء الراشدين . فانصح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجعلوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأتمنى لو يتم نشر هذين الكتابين ويقرآن للعامة في المدن والقرى . ولو كنا عارفين بطرق النشر لادركنا بعض ما نتمنى من مثل ذلك . هذا ما نرى التنويه به نافعا بالاجمال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب ، بعجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

للشيخ أحمد المليجي الكتبي مناظرات مع دعاة النصرانية بمصر ورده

عليهم منظومة ومنثورة ومنها (السؤال العجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًّا عليه فعاد الشيخ أحمد الى ردّ الرد في كتاب منظوم منثور بلغت صفحاته ٦٨ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وضارًّا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به أنهم لا يعتدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقي الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقلّ فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرّف به المنكر ، أو يحرّر ماليس بمحرّر ، أو يحيي به فنًّا مات ، أو يقيم به رسما درس ، وقد أهدي الينا في هذه الايام كتاب (الموسيقي الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الخلعي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقي — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتطاولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الا بعد أن أخذ له أهبته ، وأعدّ له عدّته ، بممارسة الفن علما وعملا على أيدي اساتذة العصر فيه كالمرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذه الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرهما ثم بمراجعة أدريس بك راغب الشهير . فجاء سفرا حافل الريّ ، كامل الروي ، يدخل في مثتي صفحة كبيرة أو يزيد ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والمختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديرا بأن يكثر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقي والنغم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الغناء وآلات الطرب والسماع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلا خاصا فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلا للنغمات فصلا لا يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيهما من الرسوم والجداول ما يجلي ما اشتملا عليه من المسائل ، وجاء بعدهما بفصول في آلات الطرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والربابة والناي والصونومتر والمترونوم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق العزف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان او الأصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالاشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية. ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كآداب المغني والسامع وغناء المشائين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المغني واسماء ملح الغناء بمصر وتفضيل الغناء القديم على الحديث. وجاء بعد ذلك ببدائع الموشحات ثم تراجم اساتذة الفن وتلاحينهم المختارة. وقد وضع في آخره تلاحين له عربية على العلامات الافرنجية المعروفة بالنوتة وهو مالم يسبقه اليه أحد من أهل لغتنا فيما نعلم

أنفق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين هي ربيع عمره وزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويجه وثمن النسخة منه عشرون قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقه وصوره ورسومه فهي الجزاء المادي لمادة الكتاب، ويبقى لصاحبه حق الجزاء الأدبي لمن يعرف مكان هذا الفن من التربية والآداب،

﴿ أبدع ما نظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الغني سنو الحسيني البيروتي صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومقاطيع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والاواخر ومزجها بمنظومات له أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تعريفا وجيزا بكل شاعر عند ذكره لاول مرة يذكر ما عرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته. وهاك هذه القصيدة مما اختاره لاحد الجاهليين قال

﴿ ومن قصيدة لعدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بليل تلومني ... فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدي

أعاذل ان اللوم في غير كنهه ... علي ثنى من غيك المردد

أعاذل ان الجهل من لذة الفتى ... وان المنايا للرجال بمرصد

أعاذل ماأدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه اذا لم يسدّد

أعاذل من تكتب له النار يلقها كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد

أعاذل قد لاقيت ما يزع الفتى وطابقت في الحجلين مشي المقيد

أعاذل مايدريك أن منيتي الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

ذريني فاني انما لي ما مضى اماميَ من مالي اذا خف عودي

وحُمَّت لميقاتي اليَّ منيتي وغودرت ان وسدت أو لم أوسد

وللوارث الباقي من المال فاتركي عتابي فاني مصلح غير مفسد

أعاذل من لا يصلح النفس خالياً عن الحي لا يرشد لقول المفند

كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

بليت وأبليت الرجال وأصبحت سنون طوال قد أتت قبل مولدي

فلا أنا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد

فنفسك فاحفظها عن الغي والردى متى تغوها يغو الذي بك يقتدي

وان كانت النعماء عندك لامرئ فمثلا بها فاجز المطالب وازدد

اذا ما امرؤ لم يرج منك هوادة فلا ترجها منه ولا دفع مشهد

وعد سواه القول واعلم بأنه متى لا يبن في اليوم يصرمك في الغد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

اذا أنت فاكهت الرجال بمجلس فقل مثل ماقالوا ولا تتزيد

اذا أنت طالبت الرجال نوالهم فعف ولا تأتي بجهد فتجهد

ستدرك من ذي الفحش حقك كله بحلمك في رفق ولما تشدد

وسائس أمر لم يسسه أب له وراثم أسباب الذي لم يعود

وراجي أمور جمة لن ينالها ستشعبه عنها شعوب الملحد

ووارث مجد لم ينله وماجد أصاب بمجد طارف غير متلد

فلا تقصرن عن سعي ما قد ورثته وما اسطعت من خير لنفسك فازدد

وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تلم وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد

ولا تلحُ الا من ألام ولا تلم وبالبذل من شكوى صديقك فافتد

عسى سائل ذو حاجة ان منعته من اليوم سؤلاً ان ييسر في غد
والخلق اذلال لمن كان باخلا ضنينا ومن يبخل يذل ويُزهد
وأبدت لي الايام والدهر أنه ولو حب من لا يصلح المال يفسد
ولاقيت لذات الفتى وأصابني قوارع من يصبر عليها يجلد
اذا ماتكرهت الخليقة لامرئ فلا تغشها واخلد سواها بمخلد
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه يغلب عليه ذو النصير و يضهد
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر اذا حضرت أيدي الرجال بمشهد
وللأمر ذو الميسور خير مغبة من الأمر ذي المسورة المتردد
مأ كسب مجدا أو تقوم نوائحا علي بليل ناديات وعودي
ينحن على ميت وأعلن رنة تورق عيني كل باك ومسعد

وقد اخترنا المثال من شعر العرب لنذكر الناسي ونعرّف الجاهل بما أُوتوه في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به لعلهم يتذكرون فيوازنون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهليتنا قبيل الاسلام وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليروا أي الفريقين أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي ؟ هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ملته وأمته من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل ما يملك ولو لمحتاج واحد؟ هل يوجد في دهمائهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من الذل وحمايتهم من الظلم ... والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

﴿ حديقة الآداب ﴾

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أباظه نجل ابراهيم بك أباظه وهو الآن تلميذ في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة باقتراح المعلمين وما نظمه من الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض الجمعيات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديقة الآداب وقد أحسن في هذا العمل لان ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ أشده ويتم تعليمه جدير بأن يبعث همته في كل سنة الى الارتقاء عما عرفه الناس

منه ارقاه يعرفه الناس ومن كانت حديقة الادب له بداية يرجى ان يكون قبل الادب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجدية لابن زيدون)

رسالتا ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من يحفظ الرسالة الجدية عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحاسن والنكات والاشارات التاريخية ، والمختارات الشعرية ، فهي خلاصة أدب رائع ، واطلاع واسع ، لا يفهمها على سلاسة عبارتها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم ، وكان له مما تومئ اليه نصيب من العلم ، ومن ثم كان الطلاب وكثير ممن يوصفون بالتحصيل والاستاذية في قصور عن فهمها بغير معونة الشرح أو تكرار المراجعة لذلك اقترح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى المنائي أحد مساعدي التفتيش بنظارة المعارف ان يشرحها « شرحا وجيزا يتكفل بحل المفردات ، ويبين مقاصد الكاتب من العبارات ، ويذكر مضارب الامثال » ، قائلا انه لم يسبق لها شرح على هذا المنوال ، فأجابه إلى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها وطبعها على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل ثمنها قرشا ونصف قرش

(نتيجة الاملاء)

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى المنائي وهي على ايجازها مفيدة جدا في هذا الفن حتى تكاد تكون محصية للضروري من قواعده وقد طبعت في القطع الصغير وثمن النسخة منها نصف قرش

(حبيب الامة) جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتابها البارعين (عبد الرزاق القطاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإسداء النصيحة من غير محاباة للحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ماهنا معناه فيما تذكر ــ وقد اختزل العدد الاول دوننا ــ ولعمري إن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى وفقنا الله وإياه الى الاستقامة عليها فانه لاخير في سواها

باب الاخبار والآراء

﴿ مؤتمر الاديان في اليابان ﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها نبذا أخرى في ذلك (راجع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ م٨ وص ٧٥ م ٩) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ما كان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقيها وغربيها حتى ان بعض أهل الغيرة وعد ببذل المال في هذه السبيل عند ما تظهر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل الينا حوالة مالية للاعانة على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من الموسرين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسعى في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما يعدهم لاقامة هذه الفريضة المحتمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والغيرة في ذلك بعذا كرة الحاضر ومكاتبة الغائب فأجمعت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدرة الجمعية التي يراد تأليفها على جمع المال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تعضيده من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفاءتهم . وانما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تحريك الهمم وتوجيه النفوس الى العمل

وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بحره وتفريقه اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف

وكان من اقتراح بعضهم ان تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستعدون

بالمطالعة والمدارسة للسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشرعوا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس كلهم به خبر المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عقد مؤتمر ديني منذ سنين وقد دعت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرون فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حقا مفيدا للبشر والعمران، ويقال ان أولي الامر في الامة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الاديان، وأعونها على ارتقاء الاجتماع والعمران،

ذكرت «الجرائد المحلية» وهذا الخبر فشغل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر، في كل ناد وسامر، بل تجد الناس يتحدثون به في مواضع أعمالهم — عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفعلة في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلما يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الامة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ماتسمح له سعته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون للإرسال أهلا لبيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الاديان. ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكمته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الاديان الشهيرة الاخرى كالبوذية والبرهمية واليهودية والنصرانية . ويرى العارفين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الازهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هو دون شيوخ الازهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيرة وغيرة من يحب

ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء، قبل ان تتنازعه الاهواء، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلهم يقنعون،

أما الدولة العلية فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم انتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالاسلام، وان في ذلك لعبرة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

رجونا ان تحسن الدولة العلية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المدخل فلم يقض لنا مارجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالمذاكرة بينها وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكلترا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتجيب الى تعيين لجنة تحدد الحدود على اوجه المطلوب وتنذرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابت انكلترا الى ماطلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كسابقه في مكدونية وغير مكدونية اذ تنال أوربا منا كل ماتريد في تركيا ومصر وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) الاملوكنا يتوبون عن استبدادهم بالامر ولا أمتنا تتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها في أهوائها وجهالتها . والعجب الذي لا ينقضي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم منا يرون انه يجب علينا اظهار القوة من الضعف ووضع الستور على عيوبنا وذنوبنا التي حل بنا البلاء باقترافها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهمون الامة بان كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنبين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

﴿ الشيخ علي الجربي ﴾

رغب شيخ الجامع الازهر الى الامير أن يجعل الشيخ عليا الجربي مدرسا واعظا في المساجد المصرية ويعين له راتبا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي

(بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر قد سمحت المكارم السنية بترتيب ستة جنيهات شهريا لحضرة الشيخ علي أبي النور الجربي محسوبة على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ و بث العلم وارشاد المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقتضى تحريره اسعادتكم تبليغا للامر أفندم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجعله واعظاً في جميع المساجد له ان يعلم ويعظ حيث وجد وانما يعين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا جوّال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . وماميز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز بالذات فانك ترى العالم الازهري من أصحاب الدرجات الرسمية إن وعظ لا يحضر مجلسه الا الآحاد وترى الجرجي — وهو ليس بصاحب درجة رسمية — يعظ فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يعظ في كتاب يقرأه و يعرب كلماته و يبين للعامة مافيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شيء من معاني الكلام قلوبهم وترى الجرجي يعظ بغير كتاب فيفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الازهر يقرأ درسا للعامة في مسجد عينته فيه جمعية مكارم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث «العلماء سرج الدنيا ومصابيح الآخرة» فمكثت في المسجد ساعة لم يعد بكلامه فيها البحث في المصابيح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير للتفنن أم هي أخص منها ... وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصابيح . فانظر ماذا يختارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجرجي لا يفعل مثل ذلك وانما يتكلم على الناس بما يعتقد أنه يفيدهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم وفقنا الله واياه الى السداد والاخلاص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الاسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية ينبيء بنجاحها ونمائها وفيه أنها انفقت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٣٦ جنيها منها ١٣٤١ جنيها وكسور من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فنشكر لأعضائها الغيورين سعيهم زادهم الله توفيقا

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كأفحوص القطاة » وصوابه « كأدحية النعامة » وهو مبيضها في الرمل وسبب سبق الذهن الى الأفحوص ما ورد في الحديث من تشبيه المسجد الصغير به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي بيته في السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند طيء بمعنى الذي

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ — ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نصيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والابصار محدقة تحيط بما يشغل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ما تعرفه الشمس ان كانت ترى الاشياء كما تريها الناس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفضي به الى من في سائر الارجاء . فالبرق الخافق ما بين الخافقين يفضي الى المغربين بأخبار المشرقين ، وينبيء المشرقين بأعمال المغربين ، فطرق العبرة معبّدة ، ورواحل الهجرة مذللة ، وجنى العلوم والعرفان دانٍ تتناوله الأيدي من كل مكان ،

هذا التواصل في المكان ، والتقارب في الزمان لم يدعا عذرا لشعب أو جنس من الناس اذا لم يجار ويبار سائر الشعوب والأجناس ، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان يقلدوا كباره الذين ينشؤن بينهم في كل ما يرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثلهم في أعوام معدودة ، وعهدنا من طبيعة رجاله أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمور تكون لهم مزايا مشهودة ، فالتقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواميس الطبيعية ، بهما يحفظ الانسان أحسن ما وجد ، وبهما يبتدع ما لم يجد ، فهما الجناحان اللذان يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعدوا له من الكمال

ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصخ الاذن الى ما تسمع من أخبارهم في كل يوم ، تعلم أن جميع الشعوب والاجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية التي أومأنا اليها آنفا ما عدا المسلمين فانهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير طبيعة البشر لكنها دونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين

ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان تقول ان أحدا منهم ساوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟

قد انفصل من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب الا وهو الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها — أرقى منهم في الحكومة

والمدنية أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والاجتماع، ولك أن تستغني عن ذلك كله بأن تقول انهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا ومالا وحقوقا في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وانكلترا وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الأوربية قرنا كاملا ؟ انهم لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محرزون لشيء من العلوم بل لم تسم هممهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف ألف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والارادة لا يهابون في الحق حاكما ولا يخافون فيه لائما، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقبتها تكاد تخرج أيضا بما يمتلك أفراد الاجانب وشركاتهم من أطيانها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا نطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تغنينا عن ذلك بما تنبهِ فيه آنا بعد آن . فكيف يكون حكمنا عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثني اليابان

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن المجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد أمسوا وراء هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والتربية والثروة فلم تسم هممهم لمسابقة من هم أكثر منهم عددا كالهندوس، ولم يحفلوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالمجوس،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجوس أرقى شعوب الهند علما وعملا وأخلاقا وآدابا وأكثرهم برا واحسانا لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبذلون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين، سمعت خطيبا منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحدق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى أنه اذا اختطف غراب عظاما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة الكفار فان الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة الشيخ . وسمعته يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه وملخصها ان مريدا له مات فحمل أهله الشيخ على احيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المريد فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها باذن الله الا باذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نجرأ على ذكر ما قيل في شكوى ملك لربه وما أجيب به

السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الاقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكثرون كل دعوة الى الاصلاح بالعلم الصحيح والتربية القويمة كما هاج أرباب العمائم في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته « اخواننا الشيعة » وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وانهم ليبذلون في مولد الشيخ من النفقات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لوفى به

في الهند حركة اسلامية جديدة يرجى خيرها ولكنها ضعيفة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحدا من أهل الملل الاخرى في سعيهم وجدهم فماذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

بينا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فتاره غرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جهلهم بدينهم أو لبسهم لدينهم كما يلبس الفرو مقلوبا . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤساؤهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على رأسه ، أو ناسفة له من أساسه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤساؤهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خوبت قلوبهم من الدين حتى لاتجد في الالوف منهم واحدا يحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون مايعتقد البرهان، أو يعترف به لانه منصوص في القرآن ،

لانطيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لها بما فهل المسلمون بأساسيها الديني والدنيوي أو الروحاني والجثماني — أساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت التذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلتمس الانسان شيئاما الامن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئا ما من غير سببه العام ، المبذول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جهل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده لعله يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذلل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما ينحلوه لبعض الناس من السلطة الالهية الغيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل، وان كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الدنيوي جعل أمر المسلمين في حكومتهم شورى بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لاملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شورى بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأي الذين تخيرهم الأمة وتثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدنيوية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الاساس في القسم الدنيوي من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفوض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر لتدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الاساس شرا مما فعلوا بالاساس الأول لان نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قد رضي به جميع المسلمين في بلاد لهم فيها سلطة الا ما لا يخلو عنه الزمان من أفراد ينكرون هذه السلطة بألسنتهم دون أن يؤلفوا جمعيات تقوضها . على ان الانكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضعف الايمان ،

للاسلام أصول وفروع فمن حفظ الاصول وقصر في بعض الفروع لا ينقطع رجاؤه من مغفرة الله تعالى ومن ترك الاصول كان تاركا للدين بالمرة غير معدود من أهله ولا رجاء لهم تركها . وأم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمتى يرجو النجاة في دينه من ترك الاصل الأول فجعل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يرجو النجاة في دنياه من رضي بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدسا غير مسؤل أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢١ : ٢٣ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الاول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أو رضي بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كعباد الاصنام

طال الزمان على اهمال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان السلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به اذ قال صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لسائر المسلمين في الاحكام الشرعية ومما امتاز به عند بعضهم انه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فانها تحرم على زوجها وتحل له !! وهذا كفر صريح

وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يعتقدون أن السلطان يخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحيته أخضر

أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فاذا نطقوا بالحق عمل سيف الباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى — دعوى أضعف الايمان — من يمدح المستبدين و يدهن لهم و يدافع عنهم ؟ هل يصدق بها من يعمل لهم و يقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم ؟

هل يصدق بها من لم يبذل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً لتأليف جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهراً، وتقسرهم عليه بقوة الأمة قسراً ، فان الله تعالى ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من الامة الا لتكون بمأمن من المستبدين ، مسيطرة عليهم باسم الدين ، فماذا فعل هؤلاء العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) و بقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»

اذا ادعى هؤلاء العجز عن ذلك فماذا يقول العلماء الذين لا يمنعهم مانع من الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فماذا يمنعهم ان يطالبوا حكام سائر بلاد المسلمين باقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن (٤٢: ٣٨ وأمرهم شورى بينهم) ؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى سلطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يخشون ان يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أيحسبون ان كتابتهم لا تفيد ولا تنفع ؟ كيف وهم يعلمون ان بعض السلاطين يهتم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرابيش الذين لا قيمة لاقوالهم عند السواد الاعظم من المسلمين؟: «ادعوه فأرضوه، أوخذوه فغلوه»

لا شك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الاصلاح

تفعل في هذه الدولة التي يتمنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أنهار الدماء طلبا للاصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يتعودوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعوده علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدءوا بهذه النصيحة وعليهم ان يعجلوا بها فان نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بجعل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي جرين عليها في كريت ومكدونية واذا تحقق ذلك — والعياذ بالله — فقد زالت سلطة المسلمين اذ لا يعقل أن يقضين على تركيا ويبقين على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم — وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم الا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين — وكان طول الامد على هذا الافساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي — وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال — وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة — وكانت الشعوب الاسلامية لم تسم للنهوض باكراه حكامهم على العدل والشورى كما نهضت الشعوب المسيحية واحدا بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكما نشاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا — وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق — وكان الحق المجمع عليه انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق — إذا كان ماذكرنا ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا الملوك المسلمين ولعامتهم الحق في ذلك مادام في القوس منزع — أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بعد أن يبينوا للعامة في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

لعل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تهافت عليه الدولة العثمانية لان أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساويها — على انها لا تعرف الا النزر اليسير — وتحليها بالفضائل والفواضل المنتحلة التي ترى انها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوربا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الاعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به اليها قلوب الشعوب الاسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الا خيرا

والحق الذي عرفناه بعد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجح بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوربا الى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونعوذ بالله من أواخره (والثانية داخلية) وهي مناصبة الدولة للعلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنايات وتشدد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يعتقده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشهير ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيرا ضاراً ؟ ما أظن ان الجاهل الغبي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لاصوت لها

أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم كل شيء فلن تقيموه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام): الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم) فالى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء ان يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم ان يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها فانا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل انقاذ هذه الأمة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بارشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بخيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بخيت رسالة سماها (إزاحة الوهم والاشتباه ، عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه) أورد فيها ما انتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهافت نقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليغالط الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال أنه قد دافع عن نفسه وفند كلام المعترض عليه ولما أوغلنا في القراءة ترجح عندنا أنه هو نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكتم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوبا اليها وانا نبين بعض تهافته بما فيه العبرة للقارئين

﴿ أدب الشيخ بخيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص٢٩) من رسالتيه « وانما نقلنا عبارة المعترض بطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها بروداً من نسيج خيوطها » اه بنصه البليغ !!

أقول انني أعترف بأن في عبارة نقد المنار لرسالتيه يبوسة وأشرت الى السبب العام لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وانا متألم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين كافراً واستدلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذرا في نشر هذه المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذر ولم أجد في قاله ولا حاله منفذا لنور الاخلاص فكتبت «تحت عامل التأثير» كما تقول الافرنج فجاءت العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من النبز بالألقاب، ومجاوزة حدود الآداب، والتشدق بالفخر والاعجاب، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد أن ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صبغة الحقد (١) والحسد (٢) وملؤه نفثات النفاثات (كذا) في العقد (٣) نستعيذ منه برب الفلق (٤) كما نستعيذ برب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بذي القوة والحول، ونفوض أمرنا اليه، ونتوكل في جميع شؤوننا عليه، فانه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء، ويمنعهما أو يسلبهما عمن يشاء (٦) ويبتليه ببغض العلم والعلماء، (٧) فيختلق ما شاء ان يختلق عليهم (٨) وينسب كذبا ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وان لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا فيء (١١) فرأيت من الحكمة والصواب، ان أجيب صاحبه في الخطاب، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اهـ بنصه النزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الاسطر من السب والشتم والنبز واللمز والعجب والفخر وانه ليس فيها وراء الشتائم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب، والترفع عن مجاراة المعترض عليه بالسباب، «هذا وما فكيف لو»

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمتعنت العنيد وقال في (ص ٣٦) إنه عاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل بيت (وكم من عائب) الخ ونقص منه لفظ (صحيحا) و (السقيم) نزاهة وتفننا في البديع ولا يتنزه عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص ٣٩) : جرت عادة المعترض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من الغيظ حسدا على أن يخترعوا علينا الأباطيل ثم ادعى أنه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الحاسدين على جنانه، ولا يجري ذكره على لسانه، قال : ولكن الحسد يعمي ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعترض ان الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا نقول بقول هذا المعترض المخالف لكتاب الله : فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمنافق واستنبط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم ينافي كون الاعراب هم سكان البادية ويا ليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعترض عليه لم يقل الا بما به قال اللغويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا ينافي التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بأن المسألة خلافية بين ..... تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جرأة على الاحاديث لا فرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعترض في آخر (ص٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعترض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراء أنعامه ليسا مظنة (الخلافة) الخ فهو قول من لم يؤته الله فهما ، ولم يذق للكلام طعما ،: وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من النزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في انتقاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي وما بهم ... ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم ... لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما ما قاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فاننا نسامحه فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يبغيه ونقف عند ردما يبديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فياليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والنزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للعفو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ، ولو لم يلذ بالتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئين نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ الاختلاف في عد آي القرآن ﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهند في ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ماترجمته

سيدي العزيز

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تعيرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو باحاطتي علما برأيك فيما يأتي

أني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وانه عند مراجعة مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تنالنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثلا لذلك في (راكواز) (*) فانهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها أليس من الممكن عقد اجتماع سري يحضره مسلمون من مصر وتركيا ومراكش و بلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي على توضيح أفكاري باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني رجو ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممتعا بالصحة والعافية صديقك المخلص

م . كريم بكلش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكماليات والتحسينيات من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فبينا كان اخونا الهندي يفكر في مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجيء رسالة الاقتراح من الهند فرأينا أن ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بجملة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

البرهان القويم

في

الحاجة الى عد آي القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (وبعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما ارغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لمعانيه سجدا أرباب المعاني وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصابيح الهدى علماء الأمة الاسلامية في كل عصر ان تلبس بخدمته تاج الشرف فأمضوا في ذلك أعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على التمام ثم اختفت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز الثمينة تذكرنا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أهم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراآته وعدّ آياته وحصرها وعمل المصحات المتنوعة للاهتداء به . ثم تلاهم في الوجود ذلك الخلف فبرهن بجملته على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتهاج مسالك الآباء وتغذية النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلّت قيمة ما ورثوه في أنظارهم ومقتوا المذاكرة في شأنه مقتا إلا بقية لا تزيد على عدّ الاصابع في هذا الجمع الحافل أردت أن أمدّ يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زمرتهم بعمل خدمة للقرآن الكريم وهي (دليل للاهتداء به) فأعددت للعمل عدّتي وشمرت عن ساعد

الجد فسرت بالعمل شوطا بعيدا قاربت معه الوصول الى ما أرتضيه من الغاية ثم وقفت مفكرا في طريق تعميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدّ آيات السور في جميع المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الايدي عدًّا خاليا من المباينة والخلاف ولاجل تنبيه فكرة اخواني من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل بها بنفسي مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها الى ماشاء الله ان أصل من الثقة بالنتيجة وعلى أثر الفراغ من ذلك دعتني عوامل الاخلاص الى وضع هذه الاسطر اليسيرة أبدي بهـا لاصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الاقـلام نموذجا من عملي في تحقيق عدّ الآيات وبيان ما هو الأولى بالاختيار لتعميم العد بموجبه مؤملا من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقده وتنقيحه بما تمس الحاجة اليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالاشارة الى وجوب عد آيات المصاحف والتفاسير بالعدّ الذي يقر عليه الرأي ويشار اليه بالاختيار طلبا لتوحيده ومنعا من تعدد العدود رغبة في افراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب الله الكريم في مشارق الارض ومغاربها والله الهادي الى سواء السبيل

***

١ — القرآن الكريم ١١٤ سورة الاولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقره والاخيرة سورة الناس والسورة عبارة عن عدد معدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية رأس الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة

٢ — كانت الحفظة من الصحابة تجيد مع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعـدد آيات كل سورة من سوره وعدد كل آية من سـورتها وبذلك كان اذا قرأ القارئ منهم بعضا من سورة قدّر ماقرأه بمـا فيه من الآيات . وكان اذا أراد أحد ان يستفيد منهم مانزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا الى أول تلك الآيات بعددها الخاص بها والى الأخيرة منها كذلك وما يشهد لهم بهذا أولا ماجاء في الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الاشعريين) وهو حديث عن علقمة قال فيه (كنا جلوسا مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشبان ان يقرؤا كما تقرأ؟ قال أما إنك لوشئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال أجل. قال اقرأ ياعلقمة. فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أتأمر علقمة وليس باقرئنا أما إنك ان شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن... الخ) والشاهد فيه تقدير علقمة ماقرأه من السورة بما فيه من الآيات. وثانيا ماجاء في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضا (كتاب التفسير) بالباب السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان.. الخ) وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خالته ميمونة وقد كرره الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا الموضع زيادة قوله (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن... الخ) وفيه الاشارة الى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الاخيرة. ومن قبيله ماينقله المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت أوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران... الخ) وكذلك ماذكره صاحب لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة آل عمران تجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك»... الخ).

**

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما أسمعناك به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف وارسالها الى الامصار الاسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين تبث معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سوره وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم جُمع ماقيل عن ذلك في كل مصر واذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تتبين ان اثنين من تلك الاقوال الستة نقلا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح و يعرف أولها بالمدني الاول وجملة الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله ورضي عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة ويعرف بالمكي وفيه روايتان احداهما عن أُبيّ بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير أُبيّ بلا تعيين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان و يعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦ وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي كرم الله وجهه ويعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري و يعرف بالبصري وجملة الآيات فيه ٦٢٠٤ واليك بيانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائليه في ستة مواضع
المدني الاخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكي	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أُبيّ ممن عد الايات بمكة ولم يعين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجحة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصري	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

٤ — مضت أجيال وأعوام وتلك المؤلفات في زوايا الاهمال كما أهملت أساليب

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالاشارة الى آياته بعددها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم -٣- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع الى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فعدت آيات السور أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجريه ويعرف بالمصحف العثماني والثاني عده باوروبا مستشرق الماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار الى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآننا الكريم مهرة الغربيين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية مالم يحصل عليه أكثر المتعلمين من ابناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عد ٣٤ سورة ويختلفان في عد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبينت ان جمله آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجمله آيات المصحف الالماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الاعداد المنقولة عن السلف ولاجل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتحقق أولا من صحة كل قول ما نقل عن السلف في جمله آيات القرآن وجمله آيات كل سورة من سوره وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشيرا بالصواب امام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيله الاستهداء من ذلك الكتاب والله المعين واليك بيان النتائج التي وصلت اليها

-٥- جاء اختلاف عد السلف لجمله آيات القرآن من نقطة واحدة وهي ان بعضهم اعتمد في عده من الفواصل مالم يعتمدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم مالم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الاول بالفواصل المتفق عليها والتي من

الصنف الثاني بالفواصل الخلافية وهذه الفواصل الخلافية نوعان نوع لم يرد عده الا في قول واحد من الستة والثانى جاء عده في قولين فأكثر وأسمي فواصل النوع الاول بالفواصل الافرادية وفواصل النوع الثاني بالفواصل المشتركه

٦ — في القرآن الكريم من الفواصل المتفق عليها ٦١٠١ ومن الفواصل الخلافية ٢٤٨ منها ٨١ فاصلة افرادية واليك جدولا في تقسيم السور الى طوائف بحسب مافيها من الفواصل الخلافية وجملة مافي كل طائفة من الفواصل المتفق عليها والمختلف فيها

جملة المتفق عليه عدد	جملة المختلف فيه عدد	عدد السور عدد	نمرة سلسلة الطوائف	جنس الطائفة من السور
١١٧٦	٠٠	٣٩	١	سور لا خلاف في فواصلها بين العادّين
٨١٨	٢٢	٢٢	٢	« الخلاف في فواصل كل منها في موضع واحد
١١٣٧	٤٠	٢٠	٣	« « « « « « « موضعين
٨٤٩	٣٦	١٢	٤	« « « « « « « ثلاثة مواضع
٥٧٤	٢٨	٧	٥	« « « « « « « أربعة مواضع
٣٩٤	٢٠	٤	٦	« « « « « « « خمسة «
٤٧٥	٣٥	٥	٧	« « « « « « « سبعة «
٠٨٠	٠٩	١	٨	« « « « « « « تسعة «
١٠١	١١	١	٩	« « « « « « « احد عشر موضعا
٢٨١	١٢	١	١٠	« « « « « « « اثني عشر «
٩٠	١٤	١	١١	« « « « « « « أربعة عشر «
١٣٦	٢١	١	١٢	« « « « « « « احد وعشرين «
٦١٠١	٢٤٨	١١٤		

ولأجل معرفة جملة الآيات في كل قول من أقوال السلف ينبغي فرز الفواصل الخلافية التي جاء عدها في كل قول من تلك الاقوال على حدتها واضافة

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتى

مدنى أول	مدنى أخير	مكى	شامي	كوفي	بصري	
عـــدد	عـــدد	عـــدد	عـــدد	عـــدد	عـــدد	
٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	فواصل متفق عليها
٣	٤	٠٥	١٨	٤٣	٨	جملة الفواصل الافرادية في كل قول من الخلافات
١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥	جملة الفواصل المشتركة في كل قول من الخلافيات
٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤	جملة الآيات في كل قول
٦٢١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤	الوارد بالرواية في كتب الفواصل
٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاءت به النقول عن المدنى الاول والمكى ومنشأ ذلك وجود خلاف المدنى الاول في ستة مواضع وورود اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأما في المكى فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهمال الراوين نسبة الاضطراب في المواضع المضطربة الى احدى الراويتين . (انظر الى قول الثالث من رقم —٣— —٨— توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم —٧— بعمل تفصيلي مثله لكل سورة من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل و بعض التفاسير ولنأت هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها الخلافية سبع) وقد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها «(الم) عده الكوفي (الانجيل) الأولى عده ماعدا الشامي ... الخ» ثم سردت الفواصل المتفق عليها . فلما فهمناها ذلك قمنا باحصاء المواضع المتفق عليها أولا واذا بها في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عملنا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول —ا—

نمره مسلسله	اسماء المواضع الخلافيه	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	الم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الاولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما تحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

و به تتبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى اثر مطابقة ما يعطيه هذا البيان من جملة الآيات المذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول —ب—

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ما عد من مواضع الخلاف في كل قول					
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم المعدود فيه من الفواصل الخلافية الى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط للثقة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فيه المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عده (فلوجل) فكانت النتيجة ما سأذكره والله المعين

-٩- قد علمنا ما ذكر برقم -٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١ وبالتأمل في المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة ووافقهم في عد ٦٠٩٤ فاصلة ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم -٦) ١٤٥ موضعا وانفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عده (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق عليها ٨٩ موضعا ووافقهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحدٌ من السلف وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨

وإليك بيان إجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

المصحف العثماني	المصحف عد فلوجل	
عدد	عدد	
٦١٠١	٦١٠١	الفواصل المتفق عليها بين السلف
٧	٨٩	ما أهمله كل منهما من الفواصل المتفق عليها عند العد
٦٠٩٤	٦٠١٢	الباقي الذي عد في كل منهما من الفواصل المتفق عليها
١٤٥	١٠٨	ما عده كل منهما من الفواصل الخلافية
٥	١١٨	ما انفرد بعده كلاهما ولم يكن من الفواصل بل عد خطأ
٦٢٤٤	٦٢٣٨	جملة آيات القرآن في كل منهما

والنتائج المذكورة إنما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة مما فيها خلاف على النسق الآتي ولكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب ـ ٣ ـ سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

المصحف العثماني عدد	المصحف عد فلوجل عدد	
١٩٧	١٩٧	الفواصل المتفق عليها بين السلف في السورة
١	١٢	ما أهمله كل منهما من تلك الفواصل عند العد خطأ
١٩٦	١٨٥	الباقي الذي عده كل منهما من الفواصل المتفق عليها
٣	١	ما عده » » » » المختلف فيها
١	١٤	ما انفرد كل منهما بعده ولم يكن من الفواصل بل عده خطأ
٢٠٠	٢٠٠	جملة آيات السورة في كل منهما

تفصيل هذا الاجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنين) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي الۤمۤ « الفرقان » الانجيل « ـ الثانية ـ أواخر الآيات ١ و ٣ و ٤٨ وأما ما انفرد بعده خطأ فهو آخر آية ١٦٦ ولفظه (للايمان)

وأما المصحف الذي عده فلوجل فالمواضع الاثنى عشر التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي السماء . المصير . رحيم . العالمين . العليم . الدعاء . وأطيعون . الحكيم . الكافرين . الكافرين (الثانية) . المؤمنين . البلاد « وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رؤوسها الارقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان « آخر آية ٢ وأما ما انفرد بعده خطأ ولم يكن من الفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الارقام الآتية وهي ١٨ و ٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب . ومن اتبعني . المحراب . قائما . سبيلا . اخوانا . مما تحبون . للايمان . الطيب . شر لهم . النار . فآمنا . من بعض . الأنهار . قليلا

فانظر أعانني الله واياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمحت لك الفرص ونبهني على ما تتبينه موجبا للتنبيه بداعية الاخلاص الاخوى

* * *

—١٠— رأيتني أيها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ . ووجدتني بينت لك فيما تقدم (برقم —٣—) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب العزيز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالبني بما أجيب به اذا سئلت عن تعيين ذلك العد وتحديده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن رأيي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عد من عدود السلف الستة للغرض الذي نتكلم في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي في تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول — ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي نزل الوحي بها على غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والملقنين منهم في غيرها من البقاع

الثاني — ترجيح ما لم تضطرب الروايات في عد مواضعه على غيره لان الاضطراب في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث — ترجيح ما قلت فيه المعدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره لان الموضع الذي يأتي عده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعده مما لم يجيء عده الا في قول واحد

الرابع — ترجيح العد الذي يجزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بين

الخامس — ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

موجب للشك فيه كالاضطراب بل أكثر والخلف فى موضع معين من قول معين هو انقسام عادّي ذلك القول فى عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعدّه والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العادّين أنفسهم وأما الاضطراب فانه يقع من الرواة فتأمل)

و بعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدنى الاخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تتبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أجيب به ولك أيها القارئ الكريم الشأن فيما تتبين فيه الاولوية والارجحية لأني ماقلت الا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم البقعة التي نقل القول عن اهلها	عدد المواضع المضطربة	معدوداته الافرادية	جنس الرواية	مواضع الخلف	اعداد مسلسله	اسم القول
المدينة المنورة	١	٣	١ مجزوم بها	٦	١	المدني الاول
» »	٠٠	٤	١ » »	٠٠	٢	» الاخير
مكة المكرمة	٤	٥	٢ {المجزوم بواحدة منهما	لم تتعدد	٣	المكي
بلاد الشام	١	١٨	٢ مجزوم بكلتيهما	١	٤	الشامي
الكوفة	٠٠	٤٣	١ مجزوم بها	٠٠	٥	الكوفي
البصرة	٠٠	٠٨	٢ مجزوم بكلتيهما	١	٦	البصري

ولست تجد في هذا الجدول عدا أجرى في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الافرادية عن غيره مع التثبت فى روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم

-١١- ﴿بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالارقام﴾
﴿ومن ألف في ذلك﴾

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين ، وان كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثير وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الاسباب التي دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن)*(١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)*(٢) و (مفتاح كنوز القرآن)*(٣) و (مرآة القرآن)*(٤) و (تحليل القرآن)*(٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها ولبيان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الحيران — هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علمت أوائلها ويشير الى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها معدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان — يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الارقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

---

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بألمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة بترسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشريفاتي وهو خط بالكتبخانة الخديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بباريس من فرانسا

غير معدودة والمعدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالارقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالعثور على مطلوبه دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن — وضع هذا المؤلف على شكل منتزع! مامن نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإماعلى مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل بذكر مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غيرأنه لايحدد الموضع تماما ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلا «٢٦ - بقره - الله لا آله الا هو (الحي) القيوم» معناه ان كلمة (الحي) التي يسبقها (الله لا آله الا هو) ويلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير معدودة بالعشرات ولا بغيرها صار من العسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطته

تنبيه — اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعد موحد بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف. لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا .. الخ

(٤) مرآة القرآن — يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعدد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الالف) للاشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للاشارة الى وسطه وحرف (الراء) للاشارة الى آخره. وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان قصور تعميم الانتفاع به للكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية — أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني فيه مثلا آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فمنفعته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عدد (فلوجل) المطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وانما يوجب الثناء على واضعه الاجنبي عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأيناه في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب (حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الادلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من الفرق الاسلامية على مذهبه وبما أن أغلب الكثيرين من المسلمين لا يحفظون القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يعين على الكشف في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني والى معجم لغوى ينقسم الى قسمين يذكر في الاول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة بحسب أوائلها وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضعت لهذه الاغراض قبل زماننا هذا تقصيرا عن تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه آنفا ان أساس ذلك التقصير اهمال اختيار عد موحد تعد به الآيات في المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الايدى أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميم عد الآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قبلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال ذكرناها برقم — ٣ — أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهذيب دليلي لتبييضه ودعاني الى عرض هذا الفكر على السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الثاقبة ليروا فيه رأيهم

وفي الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضع بالمطالعة من القراء الكرام ويشاركني في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيمعن فيه نظره ويسرح فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له ويشير بما يتراءى له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلماته وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات ، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بعددها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم فى التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفى الاتقان أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قليل وليس بضارنا شيئا . وأيّ عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه فى هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند ارادتها وانني لأراجع الآية بمفتاح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب فى عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف فى العدد واهمل بما يظهر انه أقرب للصواب هو استعداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تتقن الامور الضرورية والحاجية . ولذلك رأيناه أول من ألف فى عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عد الآي وضبطها وعد أحاديث البخاري وعمل جدول لابوابه ولاغرو فقد كان والده ميالا لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلازال موفقا

﴿ المدرسة المحمدية بقزان (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني فى المدرسة المحمدية بقزان الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى

سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتي بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من تشرفي بمجالسكم لعذر يطول بيانه والعذر عند كرام الناس مقبول

أما بعد فيا سيدي : اننا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قزان مشحونة بالكذب والافتراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبتها من غير اخراج انتصاراً على من أخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، وترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليوم في التدريس بها لتعرفوا بالمقايسة اليه كذبهم وافتراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية — والرشدية — والاعدادية — والعالية .

ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الاعدادية أربع أيضا ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضا

فالملتزم في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقا على قواعد اللسان — وتصحيح الاملاء — وحسن الخط — وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد — والضروريات الدينية من الاعتقاديات والعبادات والمعاملات والاخلاق — وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلاتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وتصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتمرين القراءة التركية العثمانية ، ومن الحساب تمرين القواعد (الأربع) بعمليانها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة الفارسية بقراءتها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضا ، وتحسين الخط ، وتخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم ، وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث .

ويلتزم في القسم الاعدادي المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اكتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظري والعملي (الطريقة

المحمدية) ، والادبيات العربية والعثمانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي، والتفسير (للجلالين) والحديث (للامام البخاري)، والهداية (في الفقه الحنفية) ، ومن الطبيعيات الكيمياء . ومسائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والفائض وغيرها

ويلتزم في القسم العالي: التفسير — والحديث — وفقه أبي حنيفة — والادبيات العربية . والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الحاضرة (كذا !) والتاريخ مع التنقيد ، والجغرافيا مع تاريخها ، والطبيعيات ، والبيداجوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)

هذا . وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات اليونان والتفتازاني . وقولهم : ولا يدرس فيها غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالجان اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وابقوا (أو بقي) من لا يهتم بشيء من الاصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهى دون الباقين مع ان طريق التعليم فيها وخيم (كما قالوا) . وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلموننا فيها من الاخلاق والتربية . وقولهم : نحن لا نكون بما تعلمنا فيها الا مصيبة للعوام وعلماء السوء . وقولهم : اما اساتذتنا فيملؤن أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، و يشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات ، و يسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات . وقولهم وقولهم .

فنرجو من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام في المنار وان لا تدنسوا وجه المنار بمثل هذه الاقوال السافلة والمختلقات الباطلة » .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرعاع على الباطل ؟

والجواب : ان ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقروا بألسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من الترقي والتمدن الحقيقي (كما يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومعتمدين على أهله والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذلك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء وتشتيت المدارس الحاضرة أيدي سبا ثم جمعها على الاساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والتشتيت واسطة كل ما يتيسر لهم من الاقوال والافعال . منها اغواء الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لا من جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الادارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلا والعلوم الدينية تبعا وليحول المدارس الدينية مدارس دنياوية وهكذا . لانهم لا يحسون الاحتياج الى المدارس الدينية كا كثر أهل فرانسا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تندرس وتفنى بنفسها بعد ما تتأسس المدارس الدنياوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الامر ولو بسنة.

ونحن نقول : لا تمسوا مدارسنا الحاضرة ولتصلحها بالتدريج ، لئلا يكون حالنا كحال حنين ، وابنوا أنتم وأسسوا المدارس المحتاج إليها الامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها ولتندرس المدارس بعدها بنفسها (على ما تزعمون) ، ونحن لا ننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية ، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو الناس اليها ومع ذلك نحس الاحتياج الى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الروسية الى المدارس الدينية أيضا بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساسا لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئا من التأني ولا يستقيم بالعجلة ولا نصدق انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والاميريكية مع ارتقاء المعارف فيها غايته

ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصفوف العالية فانتبه المتبصرون منهم ولم يساعدوهم بعده في حركاتهم فتفرقوا فرقتين

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فعجزوا .

ثم أخذوا طريقا آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن مرادهم من التحريك اصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يرتمون للعلوم الدينية كأنهم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس ماسموها علوما دينية بل غيرها وهكذا . اه بنصه وفيه غلط قليل أشر الى بعضه ولعله لم يراجعه

(المنار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي روسيا في التعليم والتربية يهمنا جدا لما فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا الاستاذ كاتب الرسالة أدرى بتلك الحال . وماذكره من ترتيب التعليم في المدرسة المحمدية لا ينطبق على ما كتب الينا بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد وحاجة الى الاصلاح وياليته يتفضل فيرسل الينا نسخة من البروغرام لنبدي رأينا في ذلك على بصيرة تامة وقد اطلعنا على ما كتب رضاء الدين أفندي الشهير في إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أورنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء وإلقاء دلونا مع دلوه لولا أن مباحث هذه الرسالة حالت دون ذلك وفتحت لنا بابا جديدا من التروي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهر لنا انها اللغة التترية ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة الى اللغة الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية وهذا عبء ثقيل فلعل صديقي كاتب الرسالة يعرفني وجه الحاجة الى تعلم لغة الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة الى اللغة الفارسية والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا انهم يقرأون معاملات الفقه في كل قسم من الابتدائي الى العالي ولم يذكر مصطلح الحديث . وذكر من المنطق الشمسية فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ماذكره في سبب انتقاد المدارس الاسلامية فإلصاقه ببعض المبتدئين من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، ويهمنا ان نعرف مثار هذه الأفكار ، وكيف السبيل الى تلافيها ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود الى البحث في ذلك

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اشتراط القبول في الوقف عقب الايجاب وعدم جواز بيعه ﴾

(س ٣٦) أرسل الينا أحد العلماء في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم

وقعت عندنا مسئلة يظهر لفضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي الذي نقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب الامام الشافعي والله يدعكم ويتولاكم

رجل وقف وقفا مؤبدا على أولاده وهم أبناؤه الثلاثة وبنته وعلى زوجته وأخته بأنه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط لهذا الوقف شروطا منها ان يكون النظر لنفسه مادام حيا ثم من بعد موته يكون النظر لولده فلان ثم لاكبر أولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو وجد ولكن فقد فيه الرشد فالنظر لمن شرط له بعده فان لم يبق أحد من المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي لم يشرط له النظر موجودا مثلا) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة الوقف كل شهر قدرا معينا في مقابلة نظره مادام حيا . ومنها ان يصرف من غلة الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدرا معلوما لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي الغلة على الموقوف عليهم المذكورين للذكر مثل حظ الانثيين . ومنها انه اذا ماتت أخت الواقف أو زوجته فسهم كل منهما يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الواقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائما وأبدا في ابناء أولاده ماتناسلوا للذكر مثل حظ الانثيين وليس لاولاد البنات شيء في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها الذكور مثل حظ الانثيين . ومنها أنه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم في الوقف وانما يتبرع له الناظر بجزء يسير ومقدار معين قليل لا يزاد عليه . ومنها أنه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولدا صلبيا فانه ينتقل سهمه الى اخوته للذكر مثل حظ الانثيين فان لم تكن له اخوة فالى أقرب عصباته وهلم جرا حتى اذا انقرضوا عن آخرهم تصرف الغلة في جهة البر وقد بينها وحينئذ يكون النظر لناظر ومتولي مسجد فلان . وشرط أيضا شروطا أخر منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فانه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يتفق عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فان لم يستوف الكرى من سهمه يطالبه به وان للناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها أنه ليس لاحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطا واحدا هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء سماوي من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانيا فللناظر أن يقترض لأجل البناء فان لم يقرض بضمانه فليبع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عوضا عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الواقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضائهم في ورقة التسليم ليستلموا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول وبطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم المعينين فان كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فعلى هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا بعيده وقفا واكراهنا على الامضاء ما لا فائدة فيه. فلم يسمع قول هذا القائل. وجرى الناظر الوقف شروط الوقف وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر ويأخذ منهم امضاءهم على ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت المعد للسكنى وجعل يقطع من سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهومهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف فجعل يعطي سهم الاول لاخوته الموجودين للذكر مثل حظ الانثيين وجعل سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فالآن المذكور فجعل يحذو حذو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهومهم ليتصرفوا فيه مطلقا لكون الوقف قد بطل بردهم كما علم فابى هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهومهم في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كلهم وليس لاحد في عين الموقوف حق ما

فأقام بعض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندها كم البلد الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقا بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر وباقي الموقوف عليهم كذلك تبعوا الاول في الدعوى على الناظر المذكور

ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفعا للدعوى عليه (حسب ما يقتضيه قانون المحكمة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد ابطلوا حقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم

هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مذهب الامام الشافعي

أولا — هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم المعينين الذين ردوه عند ما علموا به من غير تراخ

ثانياً — هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يتلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود

ثالثاً — هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلتم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم

رابعاً — ان قلتم ببطلان الوقف بالرد فهل بطل كله أو بعضه فان قلتم بالثاني فماذا يبقى وقفاً

خامساً — ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك الواقف على ما كان قبل الوقف أم ملك الموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم المنفعة مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلى هذا فما معنى بطلان الوقف بالرد المستفاد من صريح عباراتهم

سادساً — هل يأثم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان كل وقف على المعينين فيحكم ببطلان هذا الوقف باسره وبجعله من تركة الواقف وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا اثم عليهم لان الناظر الموجود أبى ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يقم الدعوى من أقامها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة في ملكه قهرا بغير الارث بعيد كما هو ظاهر وذكره الرملي في نهاية المحتاج بشرح المنهاج أفتونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة وهو تفويض بيع الموقوف الى الناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج وشرحه لشمس الرملي ما نصه : (ولو وقف) شيئا (بشرط الخيار) له في الرجوع عنه أو في بيعه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل) الوقف (على الصحيح) اه ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيعه بحال . واذا كان الوقف باطلا من أصله سقطت تلك الاسئلة الا انا نجيب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف على معين يشترط فيه قبوله كما صرح به في المنهاج وصرح الرملي في شرحه باشتراط القبول عقب الايجاب أو بلوغ الخبر

أي فان تأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر انه يصح مع النية اذا لم يترتب عليه التراخي كأن يعرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فورا انه قبله وأما الامضاء على أوراق تقسيم الغلة فهو ليس من القبول على الفور وان استلزم الرضا بالوقف مع القرينة

واما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا أثر له قال في نهاية المحتاج «فان رد الأول بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمنهاج (التحفة) انه لا تأثير لرد بعد القبول كعكسه فلو رجع الراد وقبل لم يستحق شيئا ولكنه قيده بحكم الحاكم على وجه وتعقبه ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارة في شرح الروض وهي: فلو رجع بعد الرد لم يعد له وقول الروياني يعود له ان رجع قبل حكم الحاكم به لغيره مردود كما بينه الاذرعي اه

واما جواب الرابع فهو انه اذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبراملسي على النهاية « فلو وقف على جمع فقبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملا بتفريق الصفقة» أقول وفي القول بتفريق الصفقة مقال سيأتي على ان الاصل فيه ان يكون في البيع أو ما هو بمعناه كالصلح والوقف ليس كذلك اذ لا معاوضة فيه. ويترتب على تفريق الصفقة هنا ان يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر. فاذا قيل ببطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للمذهب واعدل معا

واما جواب الخامس فهو ان ما بطل وقفه يكون ملكا للواقف بل هو لم يخرج عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو ان من أقام الدعوى لابطال الوقف لاعتقاده انه باطل في نفسه لاشتماله على الشرط الفاسد فلا إثم عليه لانه توسل بذلك الى اعطاء كل ذي حق حقه. كذلك اذا اعتقد بطلانه برد البعض ترجيحا للقول الثاني في تفريق الصفقة فالأصل في المذهب أن صحة الوقف تتوقف على الايجاب والقبول على الفور وان رد جميع الموقوف عليهم يبطله لانه يكون منقطع الاول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفقة عندهم والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المنهاج انه الاظهر أي من قولي الشافعي ولكن قال الرملي في شرحه «ومقابل الاظهر البطلان في الجميع تغليبا للحرام على الحلال قال

الربيع واليه رجع الشافعي آخراً» ثم رد الرملي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكر لا في الفتوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في تفريق الصفقة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سعى في ابطال الباطل

وأما من اعتقد أن هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك الورثة و بعضها وقف على من قبل ففي الاقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكا نظر وترجيح أحد الأمرين فيه دقيق فقد يقال إن لصاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال حق غيره من الوقف وابطال ما يؤل اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود له وانما يجيء بالتبع وهو الاقيس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر الدائمة لاجل منفعته العاجلة وهو الاورع . والمسألة دينية يستفتى فيها القلب والله أعلم

﴿ التقريظ من باب الآثار العلمية الادبية ﴾

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقتل الأدواء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يغتال في كل عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو باجماع الاطباء ينتقل بالعدوى ولا أعون لمدواه وفتكه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته وقد ألف الدكتور خليل بك سعادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبه ثم جاء بفصول في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه ودرجاته وأنواعه وكيفيات معالجته بالهواء والرياضة والعقاقير والادوية وختمه بالكلام في زواج المسلولين . وعندي انه ينبغي لكل قارئ وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارئ . وقد طبع طبعا متقنا بمطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بالفجالة ومن مكتبة المنار وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد ١ ماليا

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة لمؤلفه وهي قصة تاريخية عصرية تمثل للقارئ كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القسوة في الظلم من

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارئ في الاطلاع عليه ولكن لا يعتبر به الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتنكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما تراه مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، وثمنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن ان تبقى سليمة الى سن الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لأنها ركن من أركان الصحة وركن من أركان اللذة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون انه يمكن وقايتها فهل للقارئين منهم ان يقرءوا كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقلي ويعملوا بنصيحته

﴿نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد﴾ هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكا لناظميها في المدح وبيان السيرة النبوية والشمائل القدسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعها مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة مجله الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

﴿ المجلة العثمانية ﴾ مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزمي لكل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

﴿الأقلام﴾ مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسين وكتب عليها «ويشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمنشئين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الاول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد المصرية

باب الأخبار والآراء

نادي المدارس العليا — مثال لطفولية الامة

نبهنا القراء في بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها الاجتماعية التي ولدت فيها الامة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة ، وهي لاتزال في طور الطفولية ، بما تقلد فيه الشواب والكهول من الامم الحية ، ومما التحرت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فما قام الا وسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكاتبون ، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المال الى أربابه ، قبل ان يخرج الامر من اهابه ، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم ، والداعون أنهض بالعمل وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الا أمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت المناظرة في هذا الاخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم ! !

قرأنا وسمعنا كثيرا من المقالات التي كتبت والمباحثات التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن لكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عاما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي ؛ قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لاننا رأينا التيار منذفعا الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على اهله فيه وإن قرن ذلك بحظر المباحثات الدينية والسياسية . ولكننا لم نلبث أن رأينا أن مجلس ادارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو المباحث الدينية والسياسية وأصر على تحريمه فساءنا ذلك وأحزننا اذ صار النادي شراً من بيوت اللهو المعروفة بالقهاوي والبير (البير كحالل والبارات مواضع شرب البيرا وغيرها من الخمور) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها. ومما زاد في أسفنا وغمنا تعليلهم إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما نتوقعه من إفساد التلاميذ المشتركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يعدونهم أرقى الامة علما وأدبا يأتون في ناديهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعا فما كان أغنى التلاميذ عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بينا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الاطراء ما كان حاملا لنا على كتابة هذا الفصل، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

قالت مجلة المجلات في فاتحة كلامها : «واذا ذكرنا الأعوام الأخيرة فأننا نذكرها بهجين جذلانين لاننا شاهدنا فيها قبسا ما عتم أن بات أخيراً نار هدى ونعني بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالعها منذ اعوام وظهرت اليوم في كبد سماء المجد بدرا كاملا يرسل ضياء اللامع الى جميع الأنحاء فتسر به النواظر ، وتقر له الخواطر ، وانا لا نريد اليوم ان نشرح للقارئين تفاصيل هذه النهضة السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيدا لما سنورده من الكلام عن الناشئة المصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر

«لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقدامهم ، أعمال يؤخذ من مجموعها أن في سوبداء وادي النيل رجالا أكفاء لكل عمل مجيد وان سماء مصر مستظل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »

ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقال انها «إحدى كبريات المسائل» وذكر

ناديا أنشيء وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقال

«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك الاعتقاد الذي يعده الكثيرون حجة مسلمة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب مكسال لاحياة أدبية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين « قد اتفقوا على أن لا يتفقوا واتحدوا على أن لا يتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شباننا قد ضربوا ذلك الاعتقاد ضربة جعلته هباء منثورا وأثرا بعد عين

«ولقد يتساءل الناس عن العمل الذي قام به شباننا حتى صح أن يقال فيهم ما قلناه اليوم . سؤال لا نرى جوابا عليه أبلغ من القول ليقصد كل امرىء نادي المدارس العليا ليشاهد بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ القلوب غبطة وسرورا . ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق (سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترنم بذكره ذلك النادي الذي خصصنا الكتابة عنه غالب صفحات هذا العدد . ولا بدع في ذلك لأنه غرس أيدي شبان في مقتبل العمر في حين أنه كان المنظور أن لا يقوم به إلا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشئتنا برهنت على أنها قوة عظمى تحطم في سبيل ارادتها كل عقبة كؤود ، وتدوس بقدمها الشوك الذي يعترض وصولها الى زاهي الورود .»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكر ما كان من مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتياح الامير له اذ جعل ولي عهده مشتركا فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

« ومسك الختام لهذه الجملة المطولة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامغة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لا ينقصنا القيام بكبير الأعمال الا الارادة وطرح الضعف جانبا فمتى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله مانشتهيه من طيب الآمال بمنه وكرمه » اه

الله أكبر . ماهذا النادي الذي كبرته مجلة المجلات هذا التكبير ، وفخمت

هذا التفخيم ، وجعلته البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذللت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فعرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أو سمتها ، فان لم تكن سمتها فقد ساوتها ، ا كان هذا النادي فتحا مبينا ، أم كان استقلالا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجوراً ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه الماجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذلا يجهل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فما ملأ منشئوها مواضعهم فخرا ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السماكين عزا وقدرا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكد نتم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيدا لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب يوجه كاتبه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشيء بعدما كتاب المكتتبين واشتراك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يعرج على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتج بعضهم ببعد المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارته . والبعض الآخر بوجود أصحاب معهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت استلفت أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلافي ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعد الشقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتكم نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا ننتقد من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله

(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار العلوم) كمدرسة المعلمين الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمص للعلوم العربية ومامن متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين في دار العلوم وان قوما يغمصون لغتهم وأساتذتها لا يرجى للامة خير في اجتماعهم بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد الاجتماع في الاندية تقريب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية المحترمة وعلماء الازهر في مقدمتهم ولا محل هنا لشرح ذلك ولاشك ان علماء الازهر وأساتذة دار العلوم أبعد في مجموعهم عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في الطعن بالأديان وكل ما يأتي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أومقاومة المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) اباحة الخمر بعد منعها وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات المؤذن بقلة الثبات ، — فهذه الامور كلها من دلائل طفولية الحياة الاجتماعية ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا نحترم مزاياهم الفاضلة ونرجى ثباتهم ومن هؤلاء نرجو تلافي كل خلل والاستعانة على ذلك بنقد الناقدين ، واطراء المادحين ، واننا لا نريد بهذا الا النصح والاصلاح والله الموفق والمعين

(خطبة الامير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا الجزء عن نشرها مع فوائد أخرى منها مقالة من أميل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتقاريظ متعددة وموعدنا الجزء السادس

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ — أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

هدي السلف الصالحين ، في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين واننا نذكرهم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك

جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيهم وقال في أوله مانصه : «قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وان أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة . والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والقهر فليس لآحاد الرعية مع السلاطين فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المحذور أكثر . وأما التخشين في القول كقوله : ياظالم يامن لايخاف الله : وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وإن كان لايخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »(٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لاتأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٢)

ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الاحياء روايات أخرى
(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطنين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام » اه ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله انه ليس لآحاد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالقهر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما بينا في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الامة أشدّ بالاتحاد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة . وسنعود في فرصة أخرى الى التفصيل في هذه المسألة . فاننا انما نقصد الآن الى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الامراء والسلاطين تذكيرا للعلماء وكشفا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الامة عزيزة قوية والدين راسخا معمولا به

ندع مما أورده الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لئلا يقال انهم لا يقاس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وان من كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آمنا عقوبته ليقينه بعدله ودينه ونذكر شيئا مما أورده عمن بعدهم قال

« وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق

بابك دونهم فقال له أجمل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف »

أقول هذا نصح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معلن للاستبداد في الاسلام حتى قال على المنبر : من قال لي اتق الله ضربت عنقه : وأين ملوك زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته ألا انهم احق بالنصيحة منه ولكن أين الناصحون ! قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال ياشيخ ادخل الى أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك ياوليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فأدخلت الي رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي (يعني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه مامر بي أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه . فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له ياعمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي

« ويروى عن ابن أبي عائشة ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه

ونلنا منه مقاربة له وفرقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاض على إبهامه فقال ياأبا سعيد مالي أراك ساكنا قال ماعسيت أن أقول قال اخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم) فعليّ ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول ابن عم رسول الله وختنه على ابنته وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس ان يحظرها عليه ولا ان يحول بينه و بينها وأقول ان كانت لعلي هناة فالله حسيبه ، والله ماأجد فيه قولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت ياأبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني ياعامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك ياعامر هلا اتقيت أن سئلت فصدقت أو سكتّ فسلمت . قال عامر ياأبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم مافيها . قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك وأشدّ في التبعة .

« قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قال ماحملك على هذا ؟ قال ماأخذ الله على العلماء من المواثيق « ليبيننه للناس ولا يكتمونه » قال ياحسن أمسك عليك لسانك وإياك ان يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في العبرة والفرق بين علماء الدين الذين لايخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون الى الامراء والسلاطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال

« روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج بن بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فما قطع الحسن كلامه . قال سعيد فقلت في نفسي لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينتقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحواً مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها . قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكلف فرساً وبغلاً وأكلف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة (أي العالية المشرفة) وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه طاوياً راجلا : فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشاً بالرمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالامانة (٢) كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة أشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار ، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك لسانك وقولك اذا غزا عدوّ الله كذا وكذا واذا أغزا أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس أما انا على ذلك لانتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد

قال الغزالي بعد ايراد هذا الاثر : فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومها رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين . اه

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج فان المسلمين اليوم على خطر وأمراؤهم وملوكهم لا يذكرون مع ملوك بني أمية وامرائهم حتى الحجاج فأولئك قد فتحوا الممالك وهؤلاء أضاعوها وأولئك حفظوا من الشريعة ماعدا جعل أمر المسلمين شورى بينهم فانهم جعلوه ملكا قوامه العصبية وهؤلاء أضاعوا الشريعة الاقليلا هو على خطر من جهلهم وسوء ادارتهم ، وأولئك

---

(١) يوشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشامين بمثل ما فعل لأنه لم يعلم هل تدفع مجاملته للحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث رواه العسكري وابن المبارك والخرائطي بهذا اللفظ عن ابن عباس ورواه غيرهم بألفاظ أخرى

كانوا يعدلون في الاحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يغلظ لهم وينفر الناس من أهل سلطتهم ويغيظ أشدهم سفكا للدماء كالحجاج أفلسنا أحوج الآن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فريضة النصيحة مادام في القوس منزع وفي السلطة الاسلامية رمق .	(للآثار بقية)

التعصب وأوربا والاسلام

للكلام دول تخالف دول الحقائق تارة وتخالفها تارة ، ورب خلاف يجر الى خلاف وخلاف ينتهي بخلاف . قد يتهم الخلي بالعشق حتى تجعله التهمة عاشقاء وقد يذكر الكذوب الكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، ومنبت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من الفارق في التعصب عشر معشار ماوقع من أهل أوربا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادة المسلمين أوماوقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ماوقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوربا مثار بركان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى

لما رجعت دول أوربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ماحدده لها تعصبها عالمة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتحول فاستفادت من الانكسار ، مالم نستفد من الانتصار ، ومازالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى الجهل والكسل والتفرق والانفصام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم الكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبطت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أكثر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والدنيوي وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا. وان انكلترا وهي أحسنهن استعمارا وأقربهن الى اللين والعدل لم تبلغ بعض شأو الخلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الامويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبون لا يؤمن شرهم أن يقع على المخالف لهم الا بغل أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسماعهم والغشاوة على أبصارهم ولكن ازالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يعد تعصباً !! لماذا ؟ لأنها تقول: انهم متعصبون للدين وانا غير متعصبين له ، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين ، الغربيون غير متعصبين لأن الغرب لا يعرف غير الجامعة الجنسية أو الوطنية ، المسلمون متعصبون النصارى غير متعصبين ، التعصب الاسلامي خطر على المدنية المسيحية ، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلانسانية على خطر ، ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود اليه وما يأخذه الهلال من الصليب يجب ان يسترد منه ،،

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه تدفق آذان المطلعين من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونبه أفكارهم فاعتقدوا ان أوربا متعصبة عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم الملي من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وبما كانت تحاجهم بالتعصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون الى تحقيقها ولكن روح الاسلام لا تزال غالباً على مجموع الأمة الاسلامية وهو ما نبينه في هذا المقال

يخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتعصب حينا من الدهر ثم لا تلبث السياسة ان ترفع به عقيرتها وقد قال في هذه الايام وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والعهدة على ترجمة الجرائد — ان روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قال كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أتته السياسة الانكليزية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير ان يبين عذر الحكومة في ارتكاب

ذلك التذكر وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها الركبان وترى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء

عهدي بصوت المتفرد في مقام الدفاع ان يكون خافتا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع ، قد كان أشد من دوي المدافع ، خشعت له في المجلس الابصار ، وخفتت له الاصوات ، ولم يلبث ان حمله البرق الى الارجاء ، فكان مع البرق رعداً قاصفاً في جميع الجواء ، رددت صداه الاقطار ، وكان الشغل الشاغل لصحف الاخبار ، فأما الجرائد الاوربية فقد صدقت الوزير في قوله ، ووافقته على ما ريد به ، جارية في ذلك على نهجها المعبد ، وتقاليدها المتبعة ، وتبعها من الجرائد الافرنجية والمتفرنجة في مصر من يرى أصحابها لهم فائدة من تغيظ الكثير من المسلمين . وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف ينكر

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لعاقبته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاؤا بمنتهى ما يتولد بين الغيرة والوجل ، من فنون الحجاج والجدل ، وربما كان في دفاعهم ما يعده المتهمون لهم مثبتا للتهمة عليهم ، ولم أر منهم من شرح ما يريده الوزير من التعصب كما اعتقد ثم احتج على بطلانه بما يرجى ان يكون مقنعا للمنصف ، بل رأيت كثيرا من الناس يعتقدون أن الوزير قال ما لا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضا لا يعتقد ما قال . أما أنا فاني أقول انهما يعنيان بالتعصب غير ما فسره به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون الدلائل على ردها .

هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والمعنوي فنقول لهم انكم تشاهدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحادا وتناصرا ، وأشدها تفرقا وتنافرا ؟ هل يعنون به بغضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذاً كيف اصابت هذه الثروة الواسعة منا جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخاصة الخديوية وكثير من
مستخدميها ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا ؟ بل كيف عاش بيننا
المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعنون بديننا وكتابنا ونبينا؟ هل يعنون به محافظتنا
على شريعتنا من جهة الأحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الأهلية والمختلطة
ومدرسة الحقوق ونظارة الحقانية تفسح حجة عليكم فاننا تركنا معظم شريعتنا الإلهية
الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من
جهالنا؟ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا
راجت خموركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبغاياكم حتى أهلكت
الحرث والنسل ولماذا كان عدد أغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم
كل عام ، أضعاف الذين يزورون بيت الله الحرام ، ولماذا ولماذا ولماذا ... هل
يعنون به أن مصر تريد أن تتبع سائر الأقطار الاسلامية ، بالاتحاد على الأمنية
التي يعبر عنها بالجامعة الدينية ، فنقول أخبرونا عن قطرين إسلاميين اتحدت
حكومتاهما وتحالفت على دولة غير إسلامية كما تفعل دولكم في تعاطفها وتحالفها .
ما كانت حكومتان لنا متحالفتين لإعلاء كلمة الله لا سيما في هذه الأزمان ، إنهم
الا متخالفون لوجه الشيطان ، بالأمس قامت دولكم على دولة مراكش
الاسلامية فاتحدت على ما شاءت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا
دولة الفرس أن يكون لها معكم سهم ولا قالت واحدة منهما كلمة تشعر بالغيرة
عليها أو المساعدة لها بل هما الآن متناوئتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود
كأنهما متحدتان على إفناء ما بقي للمسلمين من قوة واستقلال بفتك كل منهما بالأخرى .
على أن الحكومات هي التي تعقد المحالفات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس
للأمة في أعمال الرأي ، بل ليس للحكومة نفسها من دونكم أمر ولا نهي ، بل نقول
لهم لو كان للمصريين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة
الاسلامية وإنما يعملون بما أرشدتموهم إليه من العصبية الوطنية ، فإن وجد فيهم كثيرون
يعدون المسلم غير المصري فيهم دخيلا ويأبون الاشتراك معه في أي عمل ، ويفتخرون
بمعاملة الأجنبي غير المسلم

اذا ماذا يدون بهذا التعصب المصمثل، المتحفز لمواثبة الدول، المحرنبق لينباع، المجرمز ليمد الباع، المتربص ليغتال اثروة الأوروبية، المتوثب ليمحو آية المدنية؟

ألا انهم يعتون ان المسلمين حريصون على ان يكون حكامهم منهم وأشد ماينكرون من ذلك أن الاسلام قد جعل من حقوق الخليفة على المسلمين أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال المخالفين لهم في الدين، ويعتقدون أن السلطان عبد الحميد ماأحيا لقب الخلافة لنفسه وعني باقناع الشعوب الاسلامية بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليجتمع نفسه بهذه القوة المعنوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ماتحدث له من الشواغل والمراقيل في كل وقت وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهاءه وقد أعطي هذه السلطة الدينية المخيفة . هذا ما يعتقد الاوربيون في التعصب الاسلامي وهذا ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى اللورد كرومر أن السلطان قد ظهر فيها بمظهر الشدة والحزم أولا ورأى ثرثرة بعض جرائد المسلمين فيها بحقوق الخلافة والخضوع للخليفة واستنادها في بعض ماتكتب على مختار باشا الذي أنيطت به هذه المسألة خلافا للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد تجرأ بايعاز امبراطور ألمانيا المتهور على استعمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يعتقده وتبعه وزير الخارجية في ذلك إذ لامصدر له في المسائل المصرية سواه . فهل يفتأ الكثيرون يقولون ان اللورد قال مالايعتقد وكذلك الوزير؟ وهل تظن الجرائد بما أكثرت من الكتابة في التعصب انها فلت في الذروة والغارب، وأقامت الحجة على اللورد والوزير وسائر الاجانب؟

الحجة الناهضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي القرآن، الناطقة بتحريم العدوان، وبأن القتال الديني خاص بمن يقاتلوننا في الدين أي يقاتلوننا لأجل منعنا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته وإحياء شعائره. وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسير أكثرها في المنار وحسب المنصف

منها قوله تعالى (٢: ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) وقوله عز وجل (٦٠: ٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٭ ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لو فقه الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأذعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بها لكانت كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا به ـ الآية الأولى تأذن للمسلمين بقتال من يقاتلهم خاصة وتحرم عليهم أن يكونوا هم المعتدين ومن فروع هذا التحريم ماجرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعباد والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا ممن يحارب. وأما الذمي والمعاهد والمستأمن فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز الفتك بمن تجب حمايته من عدوه ؟ أما الآيتان الاخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين لنا في الدين الذين نهانا عن موالاتهم في أول السورة وفي سور اخرى وبين غيرهم . قال في أول هذه السورة (٦٠: ١ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الاعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا النفي والاخراج يكونوا لهم اعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم ويبسطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكتفوا بعد الاخراج والنفي عن عداوتهم . بعد هذا قال سبحانه (٦ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ٭ ٧ لا ينهاكم الله) الى آخر الآيتين . فهو بعد إطماع المؤمنين في تحويل العداوة بينهم وبين أولئك الاعداء الى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لاجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخرجوهم من ديارهم او ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهيا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن ولايتهم ومحالفتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين للمسلمين.

هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم او أديب أمر بمعاملة اعدائه واعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكمل وجه؟ أليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال في دين جاء بهذا الكمال الاعلى انه خطر على البشر لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن كانوا مسالمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنج؟ بلى ولكن أكثر الافرنج يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال المسلمين وغوغائهم أو الذين يتنحلون السياسة ويجعلون الدين آلة لها وهم به جاهلون

اذا كان الاسـلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون ويسمونها تعصبا فاني لا أبرئ كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتال المخالفين في الدين وإن كانت الامة الاسلامية قد أجمعت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على غير المعتدي. وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استفتى شيخ الاسلام ابا السعود في إلزام نصارى الروملي بالاسلام أو ابادتهم لان بقاءهم متمتعين بحريتهم في الدين والملة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم لابد ان ينتهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم يفته ابو السعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة او أقول المجتهدين أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسعاف سياسـة السلطان في ذلك لاخذ به وأفتى وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة فكرة وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين فهي غرس الاوربيين الذين اثاروا تلك الحرب بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الغرس وينمونه بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن شر تعصبهم هذا

لا أدري أي الرأيين أضل ، وأية السياستين شر ، أرأي مسلم يظن ان اعتقاد الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تهييج المسلمين على النصارى هو شاء من عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان عدم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ عسى ان يخف ضغطهم عمن تحت سلطتهم من المسلمين ويقل تحاملهم على الدولة العثمانية ، ام رأي أوربي أو نصراني شرقي يتهم المسلمين بالتعصب وانتهاز الفرص للايقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة المثلى التي تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيبلغوا ما أرادوا من سيادة وكسب ، ألا يجوز ان تأتي كل من السياستين بنقيض ما يراد بها فيكون ايهام المسلمين للاوربيين بأنهم مستعدون للفتك بهم عند ما يحركهم ارادة السلطان جامعا لكلمة أوربا على ابتسار الثمرة قبل ارطابها ، أو جتذاث الشجرة قبل أن تستوي على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين المسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة المغربي منهم بالمشرقي ، والعربي بالعجمي ، ويؤلف منهم عصبية تجعل الظن يقينا ، والاماني مموبا ، ولو بعد حين ؟

أليس مما يذعن له كل منصف محب لخير البشر أن اماتة الفتن خير من ايقاظها ، وأن إزالة الاحن خير من اثارتها ، فمن أظلم ممن علم هذا فأعرض عنه واستبدل التفريق بالتأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن قوته الذاتية وحمله على معاداة حكومته الحقيقية ، أولئك المفرقون فريقان — هذا يقول لاوربا ان المسلمين متعصبون فخذيهم بالعذاب لعلهم يرجعون ، وهذا يشغل من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ويعلق أمانيهم بالدولة العثمانية ، وبحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من النصارى كافة كما يوجد في الجرائد الافرنجية والمتفرنجة من ينفر النصارى من المسلمين كافة بدعوى ان المسلمين متعصبون عليهم ، اذا الوقت الواقعة ، وكانت خافضة رافعة

أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل ان يجعل بمجرده من التعصب الديني الذي يخشى منه على غير المسلمين عامة وعلى الاوربيين خاصة لان الدولة دولتهم باعتراف انكلترا وسائر دول أوربا على أنهم لا يرضون تركه استقلالهم فيها ولاهي تطمع بذلك، ثم ان موضع العقبة من جزيرة العرب وكونه سيكون بابا للحرمين الشريفين بجعله محطا للسكة الحديدية الحجازية واعتقادهم الديني في الحرمين معروف فاذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الارض المقدسة بمنزلة المساجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معابده ومعاهده المقدسة تحت سلطة تخالف له في دينه؟ أوليس القائل بأن هذا من التعصب هو أشد الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثل « رمتني بدائها وانسلت » ؟

ان أكثر الذين يرمون المسلمين بالتعصب ينطقون بلسان السياسة والسياسة سريرة لا تعلم، ولغة لا تكاد تفهم، فهي ككتب الجفر لا يعلم ما تطبق أو تنطبق عليه الا بعد وقوعه واذا كانت السياسة تريد عملا يتوقف على رمي المسلمين بالتعصب فهي ترميهم به تمهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع أهلها في ذلك لانا لسنا من أهل الشورى في سياستهم فنقول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن فيه سواء اذ ربما كانوا في هذه الحال يشكون من التعصب ظاهرا ويبغون في الباطن ايجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ندع للمستقبل خطابهم فهو أقدر على اقناعهم وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومتبرمين منه فاننا نقول لهم بلسان الصدق كلمة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه:

اننا لا ننكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر مهما انحطوا ولا نراكم تعيبوننا وتعاقبوننا على كوننا من البشر، ان تريدون بتسمية هذا تعصبا الا اننا نتربص الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لنثور عليه وهؤلاء مسلمو روسيا حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يفعلوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم ولا تنسون ما فعل بعض نصارى البلقان من قبل وما يفعلون الآن في مكدونية، ان نحن الا بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونغار على حقيقتنا على اننا أصفى أهل الملل قلوبا وأسلم عاقبة ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه إن شئتم . وإن كنتم تبغون الاثرة فينا والافتيات علينا وتعدون عدم الرضى بذلك سرا وجهرا من التعصب فاعلموا انا متعصبون لان طبيعة البشر قد جبلت على النفرة من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها المتسلط عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وان كان متفقا معهم في الجنس واللغة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ اذاً لا علاج لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وبهذه المزايا ساد الاسلام اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد ونراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا التي تحكمها بَلْهَ بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب على انه كان يساوي أخس رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كعلي بن أبي طالب وانا متعصبون لاننا لا نرقص طربا لامتيازكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء ولا تخشى معارضا فجازى الله رؤساءنا الذين أذلونا بظلمهم وجهلهم واستبدادهم وأضعفوا حجتنا كما أضعفوا سلطتنا حتى صار بعض الاجانب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الاضافي ولولا ذلك الاذلال لما كان هذا الادلال)

وجملة القول — ان الاسلام اعدل الاديان وأرحمها بالمخالف فوصف الافرنج ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم انفعتمد له سياسة ومنهم المقلد للقسوس والسياسيين فيه — وان المسلمين اذا كانوا لا يسلمون من التعصب فهم أقل تعصبا الامم في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم — وان الافرنج والمتفرنجين هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى العارفين بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في الازهر — وان هذا التعصب لايخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم — وان السلطان نفسه لا يقدر على الامر بالنفير العام في غير هذه الحالة اذ لا يفتيه شيخ الاسلام ولا غيره من العلماء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لان هذا مخالف

لنص القرآن — وان وزير الانكليز قد عنى بالتعصب ماذكرنا تبعا للورد كرومر وهما يعتقدان أنه قد تهيج في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكلترا كان من العقل والسياسة — وانا نعتقد انه لم يكن هنالك خطر على الاوربيين — وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط احتماء مجردا من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المعهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكلترا قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم — وانها خسرت بهذه القسوة معظم ماربحته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بحكمها الا انها خسارة تزول وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها — وان المصريين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم للمخالف في الدين مودة

هذا وان المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلوم أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الذمي والمعاهد وهو من بيننا وبين دولته عهد سلمي كأهل أوربا الآن والمستأمن وهو من دخل من الحربيين بلادنا بأمين منا — وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين — يحرم الاعتداء عليهم وايذاؤهم بل تجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ، ومنتهى ماعندهم لاميار عليهم يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف والانبساط مع المخالف لعدم العادة . وأما العوام وهم الصنف الثالث فانهم كما قلنا يعتقدون ان السلطان اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لايخشى ضرره وجعله مثارا للفتن الا في الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام النصارى كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان كان فالمتعصب هو المعتدي والعوام يتبعون علماء الدين فاذا حدثت أمور يخشى معها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فاذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشرة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افعل من كثرة الشرط والجنود

وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الاوربية فأ كثرهم لا يمتازون عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع الاوربيين ، وسماعهم لاقوالهم في المسلمين ، فهم يميلون الى التعصب سياسة لا تدينا ولكن روح تساهل الاسلام غالب عليهم حتى لا يسلم منه المارق منهم ؛ واني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومتوسطيهم يقولون: انهم يتهموننا بالتعصب ياليته كان صحيحا : فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التعصب أقربنا من الدين ، وأدنانا منه أجهلنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيتهم لاسيما من ذاق حنظلها منا فمثار التعصب أوربا لا الاسلام نفسه واذا ظلت أوربا على أطماعها والافتيات علينا في شؤوننا فيوشك أن يجيء يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما نسأل الله أن يقي البشر شره والافان في استطاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويعقلون ، ويسرون ويألمون ، ولله في خلقه شؤون ، وهو يعلم مالا نعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بخيت ﴾

(٢—وصفه الفونغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قولنا بأنه وصفه بالمقدار الذي يتعلق به ما كان بصدده قال (كما في ص ٣٦) : وقد أخذنا وصفنا عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ و يعني بمطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفاقهما على ان الفونغراف آلة ناطقة!!

ألا هل من قارىء فيفهم ! الا هل من متفكر فيعجب ! ألا هل من عاقل منصف فيفقه كنه هذا المصنف ؟! انا انتقدنا عليه وصفه الفونغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعني ان الوصف غير مطابق للموصوف . فاذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لا في تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد علينا بأن المتطفل وصف وصفا آخر نتيجته انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف وانا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للاثقال فذكرا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للاثقال فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من ينتقد وصف المخطىء بأنه — أي المخطىء — موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله انه موافق للمتطفل في كون الفونغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بانه مخالف له في وصفها وانا مصيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المتطفل وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفونغراف آلة ناطقة الى ايرادها اذ لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال انه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اصرارا على دعوى الاصابة في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخطاء وما يقتضي انكاره ، وكيف يورد ما هو حجة عليه على انه حجة له ، هل يسلم العاقل المنصف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد النقول ، وقال ونقول وان لم تتصل ما يسمى دليلا بالمدلول ، وسيعلم القارىء مما يأتي ما يدل مع ما ههنا هنا على أنه كتب بغير فهم وان التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مظانها (أي من المواضع التي يظن انها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه النقول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفونغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقيم في الاناضول في الرومللي الشرقي بولاية سلانيك التنبيه على ان العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يمد صاحبه لمعرفة التفصيل عند الحاجة اليه فان المسائل

الشرعية تتعلق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فاذا كان الفقيه يجهل ذلك تعذر أو تعسر عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون الى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصنفه للاحتقار والازدراء . ولم نبين هـذا الغرض اعتمادا على اكتفاء اللبيب بالاشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يرمينا بقلة الادب معه كما علم القارئ من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكر وانما افترصنا خطأ أحد المشهورين من علماء الازهر بمعارضة الاصلاح وذم العلوم التي يسمونها المصرية لتنبيه جميع من على شاكلته الى الحاجة اليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . واننا والله لم نكتب تلك العبارة الوجيزة الا بعد ان سمعنا الناس في بعض سمارهم يضحكون من تينك المسألتين ويقولون في مؤلف الرسالتين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لاحاجة الى ذكر عبارته في وصف الفونغراف وعبارة المقتطف التي قال أنها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لان هذا لا يفيد قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونغراف صندوق وانه له مخارج كمخارج الحروف وشيء يشبه حنجرة الانسان وان الغرض من ادارة الزنبلك ادخال الهواء في الصندوق لأجل ان يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وان ذلك الصندوق في مجموع اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام » وان الفرق بينه وبين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق مستعدة وقابلة لان يتوارد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها المتكلم: وثانيهما ان الانسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا فانه لابدع في خطإه اذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ما سمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم واصراره على الخطأ بعد العلم به ومحاولته ايهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكمل في المسائل التي من شأن مثله ان يكون عارفا بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخيت في أول رسالة السكورتاه : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية يتضمن: كذا الخ فانتقدنا عليه ذلك وبينا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الروملي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوربا دخلت في امارة البلغار وان سلانيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، وعنينا لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يعد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نبهنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينة فقال مانصه وفيه عبرتان احداهما في العبارة والثانية في البراعة :

«ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجه ماذكر خطأ لايخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يعلمها ولكنه خطأ مطبعي وقد جارى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه مالفظه (محل الحادثة بلدة دراما بولاية سلانيك في روملي الشرقي) » اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا

أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لايخفى على من لايعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جرأه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايهام القارىء أن مثل هذه المسألة لاتخفى عليه والايهام دأبه وعادته وقد روي عنه أنه أخطأ فيما هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك أنه كان ينظر في قضية بالمحكمة الشرعية قبل عزله بزمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانية فسأله الشيخ بخيت عن بلده فقال خانيه فسأله أين خانية قال في كريت سأله ألست من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخيت كونه من أهل خانيه ومن أهل كريت معا وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بخيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بخيت وصدقه حسن بك صبري وكان

محاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بخيت قوله وعده غير معقول وكأنه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كريت اذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يعد عالما اختصاصيا بعلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خبير في مسألة تتعلق بالبلاد ومواقعها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لا تصدقه : فقال الشيخ بخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين !!.

أوردنا القصة بالمعنى كما بلغتنا ولم يفهم الحاضرون مراده بقوله هذا علم الشحاذين لانهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذون ولعله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدراويش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم مبتذلا لا غضاضة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الازهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الامن تعلمها في هذه السنين

ــ (ثانيا) قوله «وقد جاوى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله « على وجه ما ذكر » فانه ليس له وجه وجيه

ــ (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا « المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في روماللي الشرقي) فيجعلها طبع اهل الطبع خطأ منهم « المقيمين بالاناضول بالروماللي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية » فان مثل هذا الابدال والقلب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ماطبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم « وبيان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعدمه ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بعد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد غاب

على ظننا أنه لاسؤال ولاسائل اذ لايمكن ان يوجد سائل مقيما في أمكنة مختلفة فما هذه المراوغات والمغالطات

ثم قال «واما دعواه انه ممن يذم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة عاطلة» الى ان قال انا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . ونقول هل ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بامضاء (ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف العقل؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الازهر وعلمه بأن صاحب المؤيد لم ينسه فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم من الكمالات البشرية لغير أهل الازهر ومن النقائص لهم لانها تضعف عقولهم عن ادراك علوم الشرع، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الازهر في ذلك الوقت لامر ما وهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر؟؟

أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسده فجوابنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم منه بأن يحسد وانا ندعو الله ان لايبتلينا بمثل علمه وتأليفه وأن يعافيه هو من الابتلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ماذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لايتم الا بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول ان من له ذوق يدرك به مرامي أساليب الكلام لايفهم من قولنا ان الجغرافيا « اقتحمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لايتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان العبارة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيما لاعلاقة له بالبلاد والمواقع ، وانما يفهم صاحب الذوق انها من باب الكناية أو التعريض على ان الاجتهاد المطلق الذي يكون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لاسيما في هذا الزمان الذي صارت مسائل الحدود فيه بين الممالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق ويترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلم . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ بخيت وغيره من علماء الازهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار)

ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافرا من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاذ منها و بالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبر أفندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت ومؤلف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان ننقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثا الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكيات المضحكات ولا أحاشي جلة من اكابر علمائنا وكتابنا مما . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا مانص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلا يؤاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من أكابر الشعراء والفقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعملها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من أكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المحتار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضييق هاته الفئة كل هذا التضييق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الخطة التي أخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم باعتمادها على القياس وبمناسبة اوضاعها له حتى في الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إلجام العوام فترجح لي ان كلام الامام هنالك استهوى القوم فقاسوا عليه لكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى قياسهم هذا لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او نقلا وبيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد واليمين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم واستغووا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام للرد عليهم واليك بعض كلامه قال: وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقديس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف (٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال: وأما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحري بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليه فانه مما تتطاول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فعمموا الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم وبذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين استعمال القياس حيث لا محظور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فيا للغرابة

من الفهم والنظار الصحيحين

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتسامحون في القياس الا انهم يأبون كل لفظ قاسته العامة أو استعملته على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظا آخر هو في الاصل قياس أو مجاز من ذلك خابره في مسألة كذا أو تخابروا فانهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة ويعدلون عنها الى نابأه في مسألة كذا وتنابأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبإ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا أن الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون انها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكتف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله العامة مع انها (كعاقلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأنهم أو من عال الشيء فلانا أهمه ومفادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهمونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ما استهوى القوم من القواعد الموضوعة لتنزيه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألمعنا اليه . فيالله متى نعدل عن هذا التحرج الذي يقضي العقل والنقل بتركه

« ولا يسعني المقام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه — ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتناشده الناس من كل جهة — فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحا كانت لفظة — يتناشده — فيها شيء من العامية وعندي ان هذه العامية هي في منتهى الفصاحة وياليت الكاتب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فانها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيب حتى عن العامة »اه

(المنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالتثنية والجمع الصحيح وما هو غير قياسي وهو ما يعبرون عنه بالسماعي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن أبنية الأفعال سماعية لا يصح ان نأتي من كل مادة بكل بناء وإن سمع مثله من مادة أخرى فإذا علمنا أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير وتحير واستحار فقط اكتفينا بها ولم نزد عليها أحار احارة وحاير محايرة واحتار احتيارا وتحاير تحايرا وحير حيرة وتحير تحيرا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف للمنتقد الا أن يكون في المسألة خلاف في كونها مقيسة أو غير مقيسة فيذهب كل الى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمخترع والدخيل ما يستحسنه بلا قيد ولا شرط الا مراعاة أفهام القارئين. ولو جرى الناس على هذا الرأي في جميع الاقطار العربية لاصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب العراقي، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي، بل لصارت اللغة غير العربية المدونة في الكتب ولاحتجنا الى معجمات جديدة والى نحو وصرف وبيان أيضا لكل قطر

رأيت المتعصبين لهذا الرأي ثلاثة أصناف — الأول قوم قليلو البضاعة في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا انفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول) والثاني أناس يودون افساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر الالفاظ لتعظيم شأن المعاني وهم على سعة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف ولذلك يوجد في كتابته من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه في فنون العربية،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر افندي حتى ضيقوا ابواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يتحول في اللغة كلها عثل ما قال الامام الغزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلا يمتنع تثنيته وجمعه كلفظ عين فقد ورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عينين الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المنتقد احدا ممن يصفهم بالجمود يقول لا يجوز تثنية شيء من ألفاظ العربية ولا جمعه الا بنقل عن العرب ؟ اني اجزم جزما بأن رأي الغزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لا سيما البصريين منهم وأنه ينبغي لنا ان نسلك في اللغة مسلك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والتعريب والتجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجدد فيها الا ما نحتاج اليه ولا نجده في كتبها والا كانت الزيادة تكثرا يثقل علينا احتماله بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة احتار مثلا لا حاجة اليها لانه ورد بمعناها حار وتحير وكاتب هذه السطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطلق العنان فيه للافراد لما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك ويجعلون له نظاما وينشرون ما يرونه صوابا في الصحف ليعم الاستعمال ، ويؤمن الاختلال ، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاما جديدا بعد المشاورة والمذاكرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحيانا من الحاجة الى كلمة وقلما يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعمالي لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة(تطور الامم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضا على من ينتقدون الخطأ النحوي في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجحه بذلك . وسنذكر في الجزء الآتي شيئا مما خالف فيه القياس لتساهله

﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونه

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أحييك أيها المصلح المخلص النصوح الغيور منشئ مجلة المنار الغراء الاستاذ السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، وبوأ من الحفظ حرزه ، تحية تعرب عما في الضمير من الشوق الى سدتك العليا ، وحضرتك الشما ، ومقاماتك الاسنى ، ممن قدرك حق قدرك ، وادرك فيما تؤمله من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين وعملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من همج رعاع مع كل ريح يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن — والمنة لله — لم يثبط ذلك عزائمهم فماوهنوا لما أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض سعيهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات، والتشبث بأهداب العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجاوز حده اتباع لغير سبيل المؤمنين

ولولا ان من الله على الامة التونسية بزعيمها الفاضل العالم المصلح الاستاذ . . . لم تبرح في أدوية الضلال تهيم حتى تخرجت من جامعنا (الزيتونة) نشأة هذب الاستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة الارسان تركض في ميادين الحرية واني لمقصر في أداء ما يجب من شكره على ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن استقصائها، ويكل اليراع اذا كلف باحصائها، وحسبي ما أثقل بهعاتقي من منة التعريف بذلك الاستاذ الامام قدس الله روحه فلست والحمد لله من قوم زعموا ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . بل أقول « والنجم اذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من الفضل ، لم

بذوق مذاقك من الفضل ، ولعمر الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك الغراء في ترجمة هذا الفقيد علم مصيبة رزئه على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء . . . لا برح منارك يبعث من أشعته ما يهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطفئ منها ما يغيظه من مساعيك المشكورة ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الاصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا و بين ناشيء جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا النبيه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب انه قد عهد الينا بأن نكتم اسمه دون اسم استاذه المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندري أنسي ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جهل الجاهلين ، ولا يبالي عذل العاذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حال المسلمين في حضرموت والاصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرموت الى السيد حسن بن شهاب في سنغافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرموت يدعو بها الى الخير) فرأينا ان ننشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :

كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماك اقدامه ، والروح الى وسيم طلعته شيقة ، والعبرة لما منيت به من البين مترقرقة ، والقلب مطبوع على الود له وامقة ، وقد اكتظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق : ولم ازل اكاتمه وانا منه في عناء حتى احتج علي بقول أبي الطيب * والذشكوى عاشق ما تلنا * و بقول الآخر * فصرح بمن تهوى ودعني من الكنى * فحينئذ فضضت ختمه ، و فضت كمه ، و بعثت هذه البطاقة منهية اليكم ما لدي من الشوق المبرح ، والبين المطوح ، فاني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة ، وتخيلت منادمالكم الرائقة ، استخفني الطرب ، وهزتني اريحية الادب ، ولولا ان جناحي كسير ، لأوشكت ان أطير ، لاقضي حق قرابته التي لاتجحد ، ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد

ان يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادباء يقصر دونها عند الكريم قرابة الارحام

ومما يزيدني كلفا ، ويحشو حشاي شغفا ، عدم أنيس أتسلى به ، واتنزه بملحه وأدبه ، لاأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويتعب الروح مقامه ، ويدك السمع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف تخطى اذا جئت في استفهامها بمن ، وعلى كل حال فالحر حيثما كان مصاب ببليه، كالمصحف في حانة خمار أو بيت بغيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبيكم أثنيتم فيه على الايام ، وشكوتم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،

واذا تأملت البلاد رأيتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقد وقفت على رسالتك التي رقمتها ، وبوشي البديع نمنمتها ، فوجدتها بارعة المبنى ، رائعة المعنى ،

اذا سمع الناس ألفاظها خلقن لها في القلوب الحسد

غانية غنية عن الاطراء والمدح ، معرضة عما رميا به الناقصون من القدح ولا بد للحسناء من ذام ، وانما ينشأ ذم المسك من الزكام

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولقد نثلت الكنانة ، ونفضت الجعبة ، ولكن شكوت الى غير ماجدة ، وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسناء لعنين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا ، ومنتهم أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يزدهم دعاؤك الا فرارا ، ثم لوغبرك قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتعارجوا اشنشنة عرفوها عن أبي زيد ، لنثرت ظاهرا بطائل من القول ، ولكن ماشأن أولئك الا الاحالة

على الاماني الخائبة ، والمخرقة بالقصص والاباطيل الكاذبة ، وقد استنمر بأرضنا بغاثهم ، وكثر لافتراشهم تراثهم ، فالله للناس من خداعهم ومكرهم ، فقد ضاق الحزام عن الطبيين .

اما ماطلبته من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القتاد ، كيف وقد أدرجوه في لفائف الاغراض ، وبرقعوا محياه بنقاب المداهنة ، وجعلوه ذريعة لاستجلاب الأبيض والاحمر ، هيهات هيهات فذاك أعز من مخ البعوض فلا تبح صوتك بنداء الجماد ، ولا تضع نفخك في رماد ، فانما شمت خلبا ، ورأيت سرابا ، واستمطرت جهاما ، فارجع البصر ، لاتغرنك الشيات والصور ، انما كل من ترى بهر ، ودونك فالتمس انصحك أناسا غيرهم ، اما هم فما أمهروا نصائحك الا بالاعراض ، ولا قرضوها الا بلسان المقراض ، وبالجملة فالمعروف بينهم زمن ، وجدير بأن يتمثل له ببيت اخي خزاعة ، وقد اخلولق ان يدفن في الرمس ، ويتوارى في الطمس ، ويصير كأن لم يغن بالأمس ، غيراني لا اقنط من رحمة الله ولا أيأس ، وأرجى من الدهر ان يبتسم ويتنفس ،

فللنجم من بعد الرجوع استقامة والبدر من بعد المغيب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رسالة في تزييف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء واظهار السرور فيه ، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لاتقبلها الا سفيه ، وهي واصلتكم في طي هذا . فاظروها بعين الرضا الكليلة ، وما وجدتم من خطأ فاجعلوا الصواب بدله ، واعرضوها على السيد الجليل ، الشهم النبيل محمد بن عقيل ، وان رأيتم حذف شيء منها أو زيادة فلكم الرأي الأعلى والمأمول منكم طبعها ليحصل الانزجار بها أو ارسالها الى الاستاذ الحكيم منشي مجلة المنار لنشرها في مجلته وقد ارتضاها من رآها وما لها ضد الا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، جاهلا بأنه يفضي الى الهلاك ما حاطه ودهم والسلام ؟

عبد الرحمن بن عبيد الله
بن محسن السقاف

﴿ رسائل سنغافوره ﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافوره تدل على ان بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا تألم له النفس ويضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوئام، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿ رسالة احد أعضاء الجمعية الخيرية ﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه الينا أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فنشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا نافعا لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المؤيد يفوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافوره وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم أولادهم وغير ذلك مما يرقيهم ويرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزين) بقوله «ان مسلمي سنغافوره عموما وعربها خصوصا اشتهروا اشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسير على نهج الآداب وتعليم أولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقالتين» ثم أيد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه ويجب القيام به في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك أنها كانت عزمت على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاه الله خيرا) — وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافوره من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية — وأنها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في ائتلافهم — وأنها أنشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطلبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات — وانها تدير الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح وبفتح مدرسة كبيرة

هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العطاس لاظل له من الحقيقة والثاني نقل كلاما في تخطئة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة

نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفقها لخير مما عملت ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو اصلاح ذات البين ولكن كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أيجوز ان يهجرهما سائر أعضاء الجمعية لانتقادهما على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقيهم وعلى الجمعية نفسها تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأمراء المسلمين وأمثاله ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف (جزاه الله خيرا) لترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقه والاصول ؟ أين وسائل هذه العلوم من فنون العربية ؟ اين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي ينير العقل ؟ أين العلوم العصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل اعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم و يعودون الى الاعتصام، والتعاون على المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشريفة

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فرأيناها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويفند رأي الآخر عن اعتقاد أو تحيز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كنا ظالمين لقراء المنار . فان قال قائل انك أفتيت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها وبيان مايظهر بعد ذلك انه الحق نقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لاحسب الواقع الذي لم نطلع

عليه . ونكتفي بأن نقول لقراء المنار هناك اننا لا نرجح قول أحد في هذه المسألة فليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة في اذن واعية

ملخص هذه الرسالة ان شيخا ممعا مقت المنار لان تعاليمه يقلل من كسبه ويأكله بدينه جمع زعنفة لمقاومة محبيه وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم عقد اجتماعا دعا اليه بعض هؤلاء المحبين للمنار بعد ان أسمعهم من الطعن ما ظن انه أظفره بهم قام عالمهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان كنتم تحبون شأن المؤمنين فقد قال رب العالمين (انما كان قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك لا يؤمنون) الآية فهلموا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فالمحاكم الانكليزية مفتوحة الابواب واعفونا من السباب ؛ فبهتوا وعلموا انهم عاجزون عن حرب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم ننشرها بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فطعن بهؤلاء المعرضين وذمهم ونحن ندعو الله تعالى ان يلهمنا وإياهم الادب والصواب ، ويحسن لنا ولهم المرجع والمآب

باب التربية والتعليم

الكتوب السادس — التربية الدينية والفلسفية (*)

(من أراسم الى أميل)

قد عززت يا والهيم مقاصدي في تربيتك الدينية فاني أردت ان أخلي بينك وبين عقائدك مع علمي بمخالفتي في هذا مخالفة تامة لما تجري عليه الامور عادة ذلك ان الطفل لا يكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة الدنيا فيتكفل والداه بتقليده دينا محتجين فيه بعدم أهليته (وهو أمر بين البداهة) لأن يحكم بنفسه ويحق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليد بيته الى تحديد الدين

(*) تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر (راجع ٥ أميل في فهرس م ٨)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدين اذا فعلا ذلك لأنهما يعتبران أنفسهما نائبين عن الامة في القيام عن المولود قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني اقول ان كان من حق الامة ان تؤدي الى المولود دينا كان حقا عليها أيضا ان تختار له حرفة وعملا من أعمال الحكومة واذاً نصير في حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان نجعل ولادة المولود سببا لسلب حريته فان انقسام الوالدين في ضروب الوجدان واختلافهما في الافكار حتى في أيامنا هذه يجعل ولاية ما عليه مشكلة مرتبكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدين في الدين غالبا ان يكون الاب كافرا والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان المؤثران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزا فانا كثيرا ما نلاقي في الناس شبانا مشغولين بترقيع مراثهم بخرق من مذاهب المتدينين ، يخلطونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائرين ، مع بقاء استمساكهم بأوهام الواهمين ، وقد فشا في الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط

وأما أنت فانك والحمد لله لم تبتل بشيء من هذه المحن لأني وأمك لم نعتقد ان من حقنا ان نغتنم فرصة نوم عقلك فندعوك الى اتباع ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأيا في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزمك شيئا ولا ينبغي ان تحفل به . وأكرم اباك وامك ، ولكن لا تطع الا قلبك فأنت حر ومن حقك ان تسعى وراء معرفة الحق مستعينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة ولقد كان هذا السعي الى اليوم خارجا عن وسعك و بعيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو همك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقتنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

وقاحة احداث الكافرة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) و باسكال (٣) ولا يبنتز (٤) وهيجل (٥) ليست خليقة باتفاقهم وميلهم فالاجهلة الاغبياء منهم كما يطلطنون بها في هذه الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفة من كتاب الكون : « مالي ولاضاعة وقتي في حل مالا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسم أو تغايرها فحسبي الاشتغال بالعلم »

انا لا اشك في أن العلم الآن مشتغل باستكشاف عمل الديانات سالكا فيه طرقا اخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبيا ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون بلوغه من طريق الهداية الالهية واني لجازم بأنه قد سلك أقوم المناهج لبلوغ الحق وان كان من المتعسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقهنا حالة المعارف على ماهي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يفدنا في بعض ماقد بهمنا استقصاؤه من المسائل الا شيأ من المعرفة قليلا جدا فانا اذا استثنينا علم تركيب الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي الينا شيئا من معاني الانسان على مافيه من المذاهب المتعارضة والآراء المتناقضة وعلم طبقات الارض لأنه قد فتح امقلنا منافذ نلمح منها على بدء منشأ الحياة رأينا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

---

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص مايعرف به انه فيلسوف فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق وله سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كلير مونت فراند سنة ١٦٢٣ ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٤ اعتزل في بوررويال دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنتز هو عالم شهير ولد في لايبزج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العلل الاولى التي هي اهيج لشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني مجيب بأن هذه العلل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لأنها ليست من متناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أتظن ان ماحصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه وملكاته المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على مايجهله لينيم طمع عقله ويخمد شوق ادراكه؟ انا لا أعتقد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكانة له أما لشرف في طبعه أو لخسة فيه

ولو أنه كان يكفي للتخلص من المسائل العسيرة أن توصف بأنها معضلة لا حل لها لكان التفصي منها في غاية السهولة . كل حي يطلب النمو لجسمه ماعدا الانسان فانه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات العضوية بطلب الارتقاء بفكره الى ماوراء حاجاته المادية فطلبه الارتقاء الفكري موجود فيه سواء سمي خيالا أو غريزة دينية ولست أدري مطلقا ماعسى أن يعود على العاملين على إزالته من الفائدة بتكلف احتقاره والزراية عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزعه من النفوس البشرية فان تطلع الانسان الى ماوراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التي يتطلبها الفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تحير عقولنا أو تندعن ادراكنا فأما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مروعات الوساوس والاوهام والاعمال المنبعثة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شغلت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التعرض لها بل لا بد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين

ومن هذا نرى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يبعد عليهما كل البعد التنافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوافق

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية منقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان المغرقين في ايام ما منذ بالقوا من تحاطيهم للمظالم وتاجرتهم بالسرائر ومقارفتهم للفظائع مبلغا لجأ بالعقل في اشمئزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالقسيسون

م دعوة الالحاد للالحاديين .

ومن اللغو تجسيم امر الالحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مذعورا امام وجدان الانسان وأما الآثام المبينة والجرائم القوية المقيتة بأن تدافع نور الهداية والعرفان هي التي يجرأ أصحابها عند اقترافها على التستر برداء الدين فهم تلك الآثام هي التي تمتاز بذلك الامتياز الهائل وهو قلب شؤون الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يعترف بحسن ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عقائدهم تكسبها لى بعض ما يتقصدونه من ضروب السلطة والقوة . تسمع بعض المفكرين اذا رأوهم تقلب الشر على الخير يصيحون قائلين لأن لا يكون لنا آلهة خير من وجود آلهة ظالم (١) .

وذهب آخرون على المذاهب الدينية والحكمية أنها لم تبين للناس بيانا مقنعا شيأ من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار والاختيار وأنا أسلم لهم ذلك غير أني أقول ان كلا منها قد سما بفكر الانسان الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرائف الفنون وأحيا من الظرف والملح ما لولاه لظل محصورا في مجاهل العدم وكم نرى ممن يودون محو الدين المسيحي من تعليم الناشئين من لم يحسن التفكر فيما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا وأخلاقنا وعوائدنا فهم يقولون أنه رؤيا خبيثة رآها النوع الانساني في منامه وأنه بنشأته في طور التدلي والهمجية حبس روح الشعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك محل النظر والبحث ولكن هيهات أن يقنعوا واحدا من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدنيتنا الحاضرة إنشاء حسنا أو سيأ خلافا للقائلين ابطالها وأحثك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصوله لأن

(١) أجدر بمثل هؤلاء النظار ان يسموا عميا فانهم عموا عن سنن الله تعالى في الكون وجهلوا ان الشر الذي يضجون منه انما نتج من مخالفة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بظلام للعبيد » « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من هامش الترجمة

ما يخلص إليك من مطالعة الاناجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الاناجيل مثلا ان المسيح كان يأبى دائما امتثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزراية اليهود عليه ولومهم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يهتز لسماع بعض المواعظ الانجيلية فليس ذلك ببدع فان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صغارهم وسمو المستضعفين منهم ووجوب تكريم الطفل والحنو على المرأة الخاطئة وانك لا تجد في غير كتابه أكثر مما تجده فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحتقر ولا أكثر من ضروب الحرمان للمتكبرين المستأثرين الذين يفضلون انفسهم على غيرهم من المخلوقين وقد كان حبه للفقراء ولكونه نفسه فقيرا يتتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بقدره وأمثاله الرائعة ولا شك ان تمكن النصرانية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الخالية وتأييد مزايا الانساب وفرط التفاوت في الغنى لم يحصل الا ببلوغ رجالها في المكر حد الاعجاز فتلك الامم التي نسمي أنفسها مسيحية ونعتقد انها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت ما من أوقات وجوده لا تعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكمية وليس علي ان أعرض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يؤديك اليها بحثك اذا حسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلتي ولا وسيلة غيره لتنوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء الثقات المشهود لهم قد عهد اليهم تحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ويعلمون الناس كل شيء وهذا هو السبب في ان نصف المتعلمين من الناشئين يعتدون على ان يفكروا بمخ بعض افراد من الناس — ان صح لي التعبير على هذا النحو — على ان ثمة أمراً لن تتعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فعليك ان تطلب الحق في نفسك مستعينا في طلبه بجميع مالديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احتراسك وتيقظك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطىء في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لاتنس ان قوت العقل كقوت الجسم لايكسب الا بعرق الجبين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتداء

وفي ختام مكتوبي أقول لك من صميم قلبي اني وليك الحميم

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريزة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه مادفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين فالجارم بالدين وان وجدان الدين يزازل الالحاد لانه ذنب ضعيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يزلزالها هي التي تقترف على انها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقته القائلين لم تبين شيئا من نظام العالم وتنازع الخير والشر والاختيار والاضطراب وعذره انه لم يطلع على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على القائلين بترك دراسة الدين وفي استخراجه محاسن الاناجيل وتصريحه بأن النصارى غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة اميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها

آثار علمية أدبية

لامية أبي طالب في الشعب

لما أظهر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام عظم ذلك على قريش فتصدته ومن آمن به بالايذاء بل ائتمروا به وأزمعوا على قتله فمنعه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فنابذتهم قريش وأخرجوهم من مكة الى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان بمكة من المؤمنين ان يهاجروا الى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا يظلم عنده أحد ودخل هو وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الاسواق ومنعتهم الرزق وأجمعت على ان لا تناكحهم ولا تقبل منهم صلحاً ولا تأخذها بهم رأفة حتى يسلموه للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة وتمادوا على ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الارضة لحست صحيفة قريش الا ما كان اسما لله قال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله مايدخل عليك أحد ثم خرج الى قريش فقال يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط ان هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فلحست مافيها فان كان كما يقول فأفيقوا فوالله لا نسلمه حتى نموت وان كان يقول باطلا رفعناه اليكم فقالوا رضينا ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم الا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يامعشر قريش علام نحبس ونحصر وقد بان الامر وتبين انكم أهل الظلم والقطيعة

ثم دخل وأصحابه بين استار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة بليغة جداً لا يستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخزانة وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خليليَّ ما أذني لأول عاذل　　بصغواء في حق ولا عند باطل (١

خليلي ان الرأي ليس بشركة　　ولا نهنه عند الامور البلابل (٢

ولما رأيت القوم لا ود عندهم　　وقد قطعوا كل العرى والوسائل (٣

١) الصغواء كالحمراء وصف من الصغو وهو الميل يقال صغوت اليه واصغيت يقول ان اذنه ليست بذات صغو الى حديث أول عاذل أي لا تسمع قوله سماع قبول، واذا كان لرصانته وروِيته لا يقبل قول اللائم الاول — وهو الذي من شأنه ان يسترعي السمع ويستخف النفس للمفاجأة بما يأتي من القول — فهو أجدر بأن لا يصغو للعاذل الثاني ومن بعده

٢) النهنه كجعفر الثوب الرقيق يشف عما وراءه فاستعاره للرأي المنير الذي يظهر ما وراء الامور من العواقب . والبلابل كالزلازل الهموم والوساوس جمع بلبلة أو بلبال كزلزلة وزلزال . ولعله يعني بالرأي رأي قريش الذي يشرحه في الأبيات التالية يقول انه ليس بالرأي الجيد الذي أمره اشتراك العقلاء فيه ولا بالمنير الذي يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو يريد ان الرأي الصواب في نفسه لا يكون عند الشدائد مشتركا مقسما ولا رقيقاً يدرك الخصم مغبته ويجوز ان يريد بالنهنه الضعيف . والمراد ان الرأي عند ذلك يجب ان يستقل به العاقل ويكتمه او يُمضيه

٣) العرى بالضم جمع عروة وهي كل ما يتمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي كل ما يتقرب به يريد انهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي يمكن ان تقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

وقد صارحونا بالعداوة والاذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل(٤
وقد حالفوا قوما علينا أظنة يعضون غيظا خلفنا بالاناملِ (٥
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض عضب من تراث المقاول(٦
وأحضرت عند البيت رهطي واخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل(٧
قياما معا مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضي خلفه كل نافل(٨
أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل (٩
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ومن ملحق في الدين مالم نحاول(١٠
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل (١١

٤) صارحونا بالعداوة جاهرونا بها حتى صارت صريحة خالصة من شوائب التأويل . والمزايل المفارق المباين والعدو المزايل تصعب مصالحته وموادته ولداء الاعداء قد يذهب بالمداء

٥) التحالف التعاهد والتعاقد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضاعي لظنين وهو المتهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

٦) صبر نفسه حبسها والسمراء السمحة القناة أي اللدنة تسمح لحاملها بالهز والطعن والابيض العضب السيف القاطع والتراث الارث والمقاول جمع مقول كمنبر وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعار اذ لم يكن من آبائهم ملك .

٧) رهط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة يمانية كانت الكعبة تكسى بها

٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والنافل مؤدي النافلة وهي التطوع بالعبادة ويعني بحيث يقضي الخ مقام ابراهيم

٩) الملح بالشيء المواظب عليه وأصل معنى المادة الصوق

١٠) الكاشح العدو الباطن العداوة كأنه يطوي كشحه عليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أراده وهو تفسير بالأعم وقال في الاساس طلبه بحيلة وهو الصواب

١١) ثور وثبير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والنازل هو من يصعد فيه للتعبد زمنا ثم ينزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل (١٢

وبالحجر الاسود اذ يمسحونه ... اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (١٣

وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل (١٤

وأشواط بين المروتين الى الصفا ... وما فيهما من صورة وتمائل (١٥

ومن حج بيت الله من كل راكب ... ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (١٦

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقي الله عادل (١٧

يطاع بنا العدى وودوا لو اننا ... تسد بنا أبواب ترك وكابل (١٨

---

١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) فقوله حق البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله من بطن مكة

١٣) اكتنفوه أحاطوا به والاصائل جمع أصيلة لغة في الاصيل وهو ما بعد العصر الى الغروب وجمع أصيل آصال وفي قوله الاسود زحاف يعيب مثله المولدون

١٤) موطىء إبراهيم في الصخر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت العرب ان إبراهيم وطئ هناك حافياً فأثرت قدمه فيه والناعل لابس النعل. ورطبة حال من الصخر ولا يريدانها كانت رطبة بطبعها بل كرامة له

١٥) أشواط بين المروتين هي مرات السعي بينهما واحدها شوط وهو الجري الى الغاية ويطلق لغة على الغاية. والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التغليب وهما علمان بمكة يسعى بينهما تنسكاً وقوله الى الصفا معناه منتهية هذه الاشواط الى الصفا اذ به يختم السعي. وتمائل أصله تماثيل جمع تمثال حذف الياء ليستقيم الوزن

١٦) ليس فيه قول غريب

١٧) الاشارة راجعة الى ما عاذ به وهو رب الناس وتلك الاماكن المقدسة والاعمال الشريفة والعاملون الناسكون وهم الحجاج فهو يقول ليس بعد هذه الاشياء ما يعوذ ويلجأ اليه العائذ فهل يوجد معيذ عادل ومجير منصف يعيذني تعظيما لما عذت به

١٨) العدى بالكسر والضم اسم جمع لعدو. وفي رواية الاعداء وهو بالمد جمع عدو وقصر للوزن وفي الناج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا. والترك وكابل

***

كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل (٢٠

ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١

وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٢٢

وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل (٢٣

(بضم الباء) صنفان من العجم . كذا في الخزانة وفي القاموس «وكابل كآمل من ثغور طخارستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثغراً . والمراد بسد أبواب ترك وكابل بهم أن لا يقبلهم العجم أن قصدوا اليهم فضلا عن العرب وأن ينفوا اليها فلا يعودوا

١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا نتركها ولا نظعن لكن أمركم في بلابل وساوس وروي تلاتل وهو جمع تلتلة بمعنى الاضطراب

٢٠) يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره فقوله : نبزى محمداً : بني الفعل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير النفي كالذي قبله قاله في الخزانة . وذكر البيضاوي في تفسير «تفتؤ تذكر يوسف» ان القسم إذا لم يكن معه علامة للاثبات كان على النفي . واستشهد قبل ذلك على تقدير النفي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعــداً ولو قطعوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا نغلب ونقهر بمحمد والحال اننا لما نطاعن أمامه بالرماح ونناضل خصومه بالسهام

٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرّع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصريع الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألقاه على الأرض والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليلة وهن الأزواج

٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه عن بعير وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدتها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الاداوة والقربة . يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقعة كصلصلة الماء في المزادات والقرب .

٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والردع بالفتح اللطخ والأثر من الدم وركب ردعه

وإنا لعمر الله إن جد ما أرى　لتلتبسن أسيافنا بالأماثل (٢٤

***

بكفي فتى مثل الشهاب سميدع　أخي ثقة حامي الحقيقة باسل (٢٥
وما ترك قوم لا أبالك سيدا　يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٢٦
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه　ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٢٧

تخر لوجهه على دمه والأنكب المائل الى جهة والمتحامل اسم فاعل من تحامل عليه اذا ثقل عليه وجار. يعني وحتى يخر المقود على محمد مطعونا يركب ردعه بفعل فعل الأنكب اي ذي النكب وهو بالفتح داء يأخذ الإبل في مناكبها فتظلع وتمشي منحرفة

٢٤) جد الأمر اشتد وعظم. والتبس الشيء بالشيء اختلط به في ملابسته إياه والأماثل الاشراف يقسم انه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيها فان اسيافهم ستخالط رقاب أشرافها

٢٥) الشهاب شعلة النار والسميدع بفتح السين والدال المهملتين السيد الموطأ الأكناف أي الممهد الجوانب التي تأوي اليها العفاة والقصاد. والحقيقة ما يحق للرجل ان يحميه والباسل الشجاع الشديد. يعني صاحب الصفات النبي صلى الله عليه وسلم

٢٦) يحوط يرعى ويحمي الذمار ما يتذمر له اذا نيل ويقولون حامي الذمار وحامي الحقيقة لمن يمنع حرمه وقومه وكل ما يجب عليه ان يحميه. والذرب بفتح فكسر الفاحش البذيء اللسان وسكن الراء هنا للضرورة والمواكل من يكل أمره الى غيره على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من يكل أمره الى غيره عجزاً. أي كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتى الكامل ولا يتفانون في نصره.

٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت قبله وفسره هنا بالكريم في الخزانة قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكريم بالبياض فيقال له عندي يد بيضاء أي معروف وأورد هذا البيت: والغمام السحاب والثمال بالكسر الغياث والملجأ يقيت قومه ويطعمهم عند الحاجة والعصمة ما يعتصم به ويستمسك والأرامل جمع أرملة وهي من مات زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا تجد مالا. وقال ابن السكيت الأرامل المساكين رجالا ونساء وقيل إطلاق الأرمل على الرجل غير قياسي. وأصله من

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨

***

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل (٢٩

بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الاوائل (٣١

وكل صديق وابن أخت نعده لعمري وجدنا غبه غير طائل (٣٢

أرمل القوم إذا نفد زادهم وافتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يجد له ملجأ سواه كما يقال ترب فلان وأترب اذا افتقر وكما يقال فقر مدقع من الدقعاء وهي الأرض لانبات فيها والتراب. حمل قوله يستسقى الغمام بوجهه على الحقيقة وقالوا انها لما تتابعت على قريش السنون استسقى عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاما فسقوا رواه الطبراني وابن سعد. ولولا الرواية لكان المتبادر ان الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم مصدر الخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيراً ما سمعت العامة يقولون في ذي الوجه الحسن لاسيما إذا كان مهذبا أن رؤيته تكثر الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المعوز والصعلوك السيء الحال يطلب فضل ذوي المال. والفواضل النعم العظيمة تغدق على الناس واحدتها فاضلة

٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انهما ولدا توأمين وكان ولده أعداء بني هاشم في الجاهلية والاسلام. ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي قال في الخزانة وكان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب يوم بدر

٣٠) القسط العدل ويخس ينقص والعائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا الذين يعادوننا ويؤذوننا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعير ووصف هذا الميزان بأنه يشهد لنفسه بالقسط أي إن القسط نفسه يشهد له وان هذا الشاهد لا يميل ولا يجور. وما طلب أبو طالب جزاء القسط لاعدائه إلا وهو يعلم انهم ظالمون

٣١) الصميم الخالص من كل شيء والذؤابة الاشراف مستعارة من ذؤابة الشعر وهي الخصلة من شعر الرأس

٣٢) الغب بالكسر العاقبة أي خاب أملنا في هؤلاء فايس لنا فيهم غناء

سوى ان رهطامن كلاب بن مرة　　براء الينا من معقة خاذل (٣٣

ونعم ابن أخت القوم غير مكذب　　زهير حساما مفردا من حمائل (٣٤

أشم من الشم البهاليل ينتمي　　الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥

***

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد　　وأخوته دأب المحب المواصل (٣٦

فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها　　وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣٧

فمن مثله في الناس أي مؤمل　　اذا قاسه الحكام عند التفاضل (٣٨

---

٣٣) المعقة العقوق وبراء بالكسر جمع بريء ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الذليل والكثير تقول اني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه فعال

٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب . والحسام السيف القاطع والحمائل مايحمل به السيف جمع حمالة وهي العلاقة وقيل لا جمع له من لفظه والمفرد المجرد . وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه وولائه وحساماً منصوب على المدح

٣٥) الاشم ذو الشمم والسيد الكريم ذو الأنفة . وكانوا تمدحون بشمم الأنف وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه . والبهاليل جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضحاك وقال ابن عباد هو الحيي الكريم وحومة الشيء معظمه وجله

٣٦) كلفت بالتشديد والبناء للمفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحببته وأولعت به . وقوله وجداً معناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحزن وهو أعم لانه يشمل كل ماتجده في قلبك من التأثر الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه . ويعني بأخوة أحمد أولاده الذين ضمه اليهم بكفالته إياه وهم جعفر وعقيل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان العم أب فأولاده أخوة . وقوله دأب المحب المواصل يعني به انه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفعل المحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشكل مايلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

٣٨) قوله اي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم فاي هذه هي الدالة على الكمال

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلهاً ليس عنه بغافل (٣٩

فأيده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير ناصل (٤٠

فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا في القبائل (٤١

لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل (٤٢

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل (٤٣

فأصبح فينا أحمد في أرومة يقصر عنها سورة المتطاول (٤٤

والتفاضل التغالب في الفضل وبه يظهر الأفضل

٣٩) الطيش النزق والخفة وهو ضد الحلم وموالاة الآلة اتخاذه ولياً وناصراً

٤٠) قوله حقه غير ناصل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير يقال نصلت اللحية من الخضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناصل إذا خرج منه نصله أي حديدته

٤١) السبة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتجر من الجريرة وهي الجريمة والجناية

٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قد يأتي بمعنى فعل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه أبلغ من المجرد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب قريشاً بالهزل ليقابلوه بمثله أي انه ليس ممازحاً لهم ومتهازلا معهم في قوله وإنما يقول ذلك على سبيل الجد. وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

٤٣) قوله يعنى بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتما معتنياً واستعمل قليلا بالبناء للفاعل فقالوا عني كرضي والأباطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

٤٤) نون أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل. المتطاول في الاصل هو الذي يتحدد ويطيل قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول ان يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول الذي يمد قامته وينصبها ان يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشيء بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا سورة الخمر بمعنى حدتها وسورة المجد بمعنى ارتفاعه وأثره وعلامته وسورة السلطان بمعنى سطوته: والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء وكل هذه المعاني للضبطين تظهر هنا فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حدبت بنفسي دونه وحميته   ودافعت عنه بالذرى والكلاكل (٤٥)

﴿تقاريظ﴾

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندي الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري ببلدة (افارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) بلبنان . وهي تعريف ببلدة أفارة خاصة وببلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلادها من النسل العربي . اذ قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاه الدكتور محمود بك لبيب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . اما موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه وأما اسلوبه فيمثل لك اسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار ، والمصنفات في علوم الاسرار في مزجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بما يضعونه من الاصطلاحات الغيبية الملكوتية بل هو اغرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

« ان الحقيقة فردية لا تتجزأ ، وان الكون جوهر لا يتداعم ، هؤلاء لا يفتشون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هؤلاء لا يعرفون للكون في الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسمه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعه مركز السماء لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ما للمترفعين والمتدينين من رفعة وشرف وسطوة وحدة

٤٥) حدبت بنفسي دونه أي حنيت نفسي امامه كالاحدب لامنع عنه الاذى يقال حدب عليه وتحدب بمعنى عطف وتعطف وأصله ماذكرنا . والذرى أعالي الشيء جمع ذروة والكلاكل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو طالب في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى و نبيه و لكنه لم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل و لكن فضله في حماية الاسلام و من جاء به لا تدانيها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت العجز و الضعف فجزاه الله خير الجزاء

السمية والدنية، وسمه الطبيعة ان كنت ممن يصبح بأن «المادة لا تتجدد ولا تنعدم» وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح»، وصفه بالجرثمة (الميكروب) ان تجهورت في نظرك الذرات؟ وعرفها بالتخلق ان درست علوم النشوء وتابعت (داروين)، وسمها الصوت ان كان لك ميلا في تعرف النغمات الموسيقية وفنونها، وبادها صورا متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاجمل من الفنون والافنان، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح» وصفها بالقوة ان كنت ممن يستعين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجهورة «الميكروسكوبات» واصطلح عليها سياسة الاقتصاد الجامعة الانسانية ان وددت تسيير الامم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بين تخلق ونشأ فيه، وافقها «الكرية» ان درست معلومات هارفي ودون اتبعه، واقرأها الحرف في كلم القوميين. وسمها الصوت ان كان لك شوقا الى «سفينة الشيخ شهاب» او تحب استماع مناغات الطيور على اوكارها. أو تميل الى تفنن الضاربين على الاوتار والمطربين بأصواتهم الرخيمة وارسمها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت جبلتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير المصورة. وسيرها سفينة تجري في الفلك بأمر مدبر دفتها. ومبخر مائها ومحرق فلبها ان تطالبت العلم ولو في الصين واجرها سيارة بارادة قائدها وقوة جاذبتها ووافقها ان كنت تبغي حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت عاشت وفي أي مكان وزمان شئت. لا مباع بين التصويت والتسكيت لا رؤية بين الظلمات والنور. لا نمو بين الجوع والشبع. لا انتقال بين الحركة والسكون لا مفرق بين الابيض والاسود لا تجزئة بين الكل والفرد. لا هيولة بين الجوهر والعرض. لا شفاء بين المرض والمرض ولا تعليل بين البيت واللحد. ولا روح بين القلب والجسد. ولا شك بين القائم والعائم. لا صوم بين الشك والرؤية. لا دفأ بين الماء والنار. ولا تيمم بين البطلان والرجحان» اه المثال بنصه وضبطه

حسب القارئ هذا فقد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياته كلاما كهذا الكلام. ألفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والعصرية تشبه خرزا من

أنواع شتى وضع في علبة وخضخض حتى اختلط بعضه ببعض ثم استخرج فنظم نظما غير مألوف ولا معروف . فياليت شعري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابلوه بتصفيق الاستحسان ، أم بصفير الاستهجان ، ؟

﴿ الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من الفوائد الفلكية والتاريخية والادبية والسياسية والادارية والتجارية مالا يستغني عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومؤلفها سيدي محمد بن الخوجه من أفضل الكتاب في تونس وأوسعهم علما واطلاعا على الكتب العربية والافرنجية ومن فوائد القسم التاريخي في رزنامة هذا العام كلام مسهب لاحد علماء جامع الزيتونة الاعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة اللواء المصرية منسوبا الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه الأرمن بزعمهم ولم أرَ هذا العهد الا في الرزنامة ولم أسمع بذكره ايام نشرته جريدة اللواء ومنها تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الاخبار التلغرافية وتاريخ خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحمامات المعدنية بتونس . ومن فوائد القسم الادبي معجم لاسماء الاعلام الاسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس ومدة التمساح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها وكذلك القسم الاداري وفيهما كل ما تهم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم وصور كثيرة منها رسوم بعض المعاهد الحجازية الشريفة وقبر حواء أم البشر وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . وثمن النسخة من هذا الكتاب ١٥ فرنكا وهو يطلب من ادارة جريدة المنبر ومن محل الخشاب في القاهرة

(طوالع الملوك) مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر ٥٠ قرشا أميريا ، وكنا كتبنا تقريظا مطولا لهذه المجلة الغريبة في هذا العصر فضاق عنه الجزء الماضي ولما لم يرد الينا بعد الجزء الاول منها شيء وقد مضت أشهر اكتفينا بهذه الاشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لها تقريظا جميلا ولم ينشر ثم فقد وهي لاتزال تصدر بانتظام فنتمنى لها طول البقاء والرواج بالتوفيق للخدمة النافعة

(المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن الوصف والتعريف لشهرتهما بتحريرهما في المؤيد السنين الطوال وباشتغال الاول منهما بالصحافة مستقلا (وتقويم المؤيد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما مقيدين برأي غيرهما ومما يقوي الرجاء في نجاح المنبر رغبة كثير من الكاتبين في أن يكونوا من خطبائه . فنسأل الله تحقيق الامل مع التوفيق لخير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السوريين بجريدته ويستفيد من اقبالهم حتى تكون أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفكه في الكتابة يشوق القارئ لاسيما اذا كان سوريا فانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا ألطف من مزج الماء بالراح كما يمزج الهزل بالجد فيجمع للقارئ بين اللذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية أنفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمذهبية

باب الأخبار والآراء

﴿ زيارة الامير لطلاب العلم في مسجد المرسي ﴾

أظهر الامير لشيخ علماء الاسكندرية رغبته في زيارة مسجد أبي العباس المرسي لرؤية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ٢٤ ربيع الآخر فنظم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمر المعلمين بتلقين أفراد من كل فرقة مسائل يسمع الامير سماعها وزينت مصلحة الاوقاف المسجد والطرق اليه زينة جميلة وبلغت حاشية الامير (المعية)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما من كبراء الازهر رغبته في حضورهم هذا الاحتفال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسمعوا من الامير النصائح التي تتعلق بشؤونهم وقلد بيده الشيخ شاكراً الوسام المجيدي الثاني وهم ينظرون فبين لهم بالقول والفعل رضاه عن عمله في ادارة التعليم

لهج الناس تبعاً للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية ومما قيل وكتب ان الامير أعزه الله وأعز به العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسمونها الجديدة كتقويم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه أو خطابه ففرحنا بذلك وسررنا لأن هذه ضالتنا المنشودة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحظون بنص خطاب الامير للعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحظينا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيب كتب ما سمعه بعد الخروج وتحرى فيه الالفاظ بقدر الطاقة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت ميالة الى تبادل الآراء النافعة والسعي وراء الصالح العام

« انه كان في مبدأ الامر اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لا أرى الا الرؤساء الروحيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي انهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزمت على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وترتيب مرتبات تقوم بحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تتميما للمواد العلمية (العصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندريين غاية الوئام حتى داخلهم بعض الدسايس التي أوجبت زيادة النفرة فيما بينهم وقاسى فيها الشيخ شاكر بعض المقاساة كما قاسى في المدة الاولى من الحساد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا فعزمنا على معاملة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الحالة الاولى لولا اننا أملنا اصلاح الحال ومتابعة العمل النافع

«غير ان مازال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يحبون أن يستعملوا «الفسفسة» لانهم لاقدرة لهم على العمل لانه ليس كل متعمم شيخ فان بعض الناس يظهرون بمظهر العلماء ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضعنا له البرو جرامات حتى مشى على (الكسترة) وصار الاخلال به مضر جدا

«وانا أوصيت الشيخ شاكر ان يعامل كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدر على الأكثر أو الاقل. فيلزم كل واحد السكينة ويلزم الكبير يرحم الصغير والصغير يحترم الكبير وان يترك «الفسفسة» فاني ان شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الامل في ان تزيد الماهيات والمرتبات حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر بيني و بينه ودائما أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني سررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي أمل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول — وفي رواية قرأيه ان بعضهم قال — نعم نعم يا أفندينا نجاح باهر جدا امتحناهم فوجدنا الامر فوق المرام بهمة افندينا)

« الحمد لله لنا أمل قريب بظهور علماء من الاسكندرية ينفعون وطنهم واذا خطب أحدهم لا يخشى الانسان من سماع خطابته ولكن هذا لا يكون الا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والحسد كما انا مستعدون لسماع أي شكوى فأبوابنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لا أحب المجاهرة والغوغاء بين الناس (وهنا التفت الى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر متحدا مع الشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك. ثم اني أحب جدا لزوم السكينة وان لا يحصل شيء ابدا حتى اذا جئنا من السفر لا نسمع الا ما يسرنا » اه

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما قاله الامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفسفسة والوشاية فأمر كي اشا فكرشه (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول: أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صغار العقول من

المشايخ من الامير وفقه الله . وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الازهر وكون هـذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب ويرجو ولم ينس الناس هنا خطبته عند إلباس الكسوة لشيخ الازهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

انتدب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم ممن كان ذاكرهم الاستاذ الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجـه الذي ذكرناه في ترجمته الى تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحـد من وجهاء الاغنياء للاكتتاب فاكتتبوا في مجلس واحد بعشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا مديراً للجريدة وأعضاء لمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة » وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعتهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون نخشى ان تكون مقطما ثانيا ومن الناس من يجزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم ايثار مصلحة على مصلحتها ، وانهم يعلمون كما يعلم كل عاقل أن ليست مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصما لهـا والمحتلين أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمـة النافعة ان تهب الجرائد عند كل عمل منتقد للحكومة صائحـة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين ، وانهـم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامـدين متعمدين ، كما يعلمون أن من الخيانة للبلاد السكوت عن انتقاد ما يجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها بالدليل والبرهان ، مع أدب القلم واللسـان ، وتلك هي الطريقة المثلى ، في هـذه الخدمة الفضلى ، وسيرى أكثر الناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يعد هاركنا لمعيشته ولا لرفعته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في إخلاص هذه الجماعة أقوى من الرجاء في اخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية الجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يتولون كتابتها وتحريرها فاذا ظفر مجلس ادارتها بالكاتبين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والانتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشريعة والقوانين ممن لا تنبسط أيدي أصحاب الجرائد الاخرى الى استمال أمثالهم تسنى لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو واذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة رآها الناس دونها لانهم ينتظرون أن تكون أكثر اتقانا فهم يزنونها بهذا الميزان

حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام الداجن في جهة دنشواي التابعة لمركز شبين الكوم وكانوا ألموا بها في سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام واتفق ان اشتعلت النار في جرن (بيدر) بالقرب منهم فانبرى بعض الفلاحين لصدهم عن صيد حمامهم حرصا عليه وخوفا على أجرانهم ان تحترق من نار البنادق وفي أثناء المقاومة أصيبت احدى نساء الفلاحين بنار بنادق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المقاومة ملاكمة وضربا بالعصي والطوب فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضروبين بالسير الى المعسكر لطلب النجدة فسار في حر محرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات في الطريق . وأثبت التحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلموا أسلحتهم للفلاحين فزادهم ذلك الاخشونة وعدوانا وقد سلبوا من أحد الضباط ساعة وسلسلة مفاتيح وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المحتلين لأن العزيز يعد الاهانة الصغيرة كبيرة ومن يهن يسهل الهوان عليه فأجمعوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة المخصوصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيأة المحكمة في شبين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكما لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة من الفلاحين بالشنق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة ١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالحبس

مع الشغل سنة وعلى خمسة بخمسين جلدة فقط

وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبعضهم ينظر الى بعض والاهل والاقربون ينظرون وعسكر الاحتلال محيط بالمكان وكان الجلد في نظر الناس أشد من الشنق فكان لذلك أشد التأثير المزعج للناظرين ثم لجميع أهل القطر فهبت الجرائد للانتقاد والشكوى وكثر لغط الناس بظلم الانكليز وقال المتفلسفون منهم انما كان ذلك الجزاء السابق قبيل تمام التمكن في البلاد. ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبمقال ناظر خارجية انكلترا في التعصب وقد اشرنا اليه في مقالة التعصب من هذا الجزء حتى قصرت ألسنة الذين كانوا يثنون على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول

يقول بعض المنتقدين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي ويقول من ينتصر للانكليز في كل شيء بل هو قضائي عادل وعندي أن الأولين هم المنتصرون لان القوم اذا كانوا يعتقدون أن الحكم القضائي العادل الذي هو القصاص بالمساواة في مثل هذه الواقعة يجرئ الفلاحين على جيش الاحتلال لتعصبهم أو لخشونتهم وان هذا الجيش اذا لم يكن مما لا تطمح النفوس الى الجرأة عليه فانه لا يمكن للمحتلين ان يقيموا في البلاد وكانوا قد قصدوا في الحكم للارهاب وإقفال هذا الباب فان السياسة المتبعة في كل زمان تقول لهم أصبتم في التنكيل ببضعة رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل فهو القصاص المادي لمنع حدوث فتن ربما أدت الى قتل من لا يحصى من الرجال وافساد كثير من الاعمال. واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لا سياسي يقول لنا المنتقد أين القانون أو الشرع الذي بني عليه الحكم ومتى كان الرأي المجرد قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لشفائه أيام معدودات؟

فالاليق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ الأمن وتهذيب الفلاحين ليمنع العدوان الذي تأصل في البلاد بضعف الدين وقوة الجهل وزوال هيبة الحكومة وان لا يعود مثل هذا الخطأ في الفهم بين المحتلين والمصريين آمين

وفد الشريف الى اليمن والثورة

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لهما الى زعيم الثورة في اليمن ليقنعه بالخضوع للدولة العلية . والدولة لاتزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعاً والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خير من ذلك كله وأنى لنا بهما

الدولة ومؤتمر الاديان في اليابان

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبناه في جزء سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمر الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طلبت منه ذلك فلم يجب وقد كتب من الاستانة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب واني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحمد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

﴿ الى وكيل المنار الصديق في تونس ﴾

قد بسطنا رجاءنا لوكيل المنار الفاضل في الجزء الاخير من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن السنين التي تكرم بقبول الوكالة فيها فلم يحر جوابا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نعهد اليه بالوكالة وكفله القبول كتب الينا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وانه أرسل طائفة من النقود التي حاسبه عليها وانه لايلبث أن يكتب الينا بيانا بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا اليه نذكره فلم يرجع الينا قولا ولكن جاءتنا طائفة من النقود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقين الاديبين اننا أحوج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لان سنة " المنار التاسعة " قد انتهت بهذا الجزء ونحن لانعرف ممن سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بارسال ماعليهم الينا ولعلهم لايبلغون عشرة في المئة من مشتركي تونس ولهذا يتعذر علينا ان نطالب أحدا منهم بشيء مالم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل ، وما كان من أمر التحصيل ، فعسى أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليتسنى لنا عرفان ماهنالك من حقوق المنار ، ونستريح من ألم الانتظار ، ونشكو لهما الشكر الصميم ، وانما الاعمال بالخواتيم ،

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿مصر — رجب الحرام سنة ١٣٢٤ — أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦﴾

سيرة السلف الصالحين • في نصيحة السلاطين

﴿ تابع لما نقل عن الاحياء ﴾

« وحكي ان حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط ؟ قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لأصدقن وان ابتليت لأصبرن وان عوفيت لأشكرن . قال فما تقول فيَّ ؟ قال أقول انك من أعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول انه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه . قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحم وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا . قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر(أي راوي الحكاية) فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة فقال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني عشرة رحمه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العراق لبني أمية) دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامرا الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان ـ هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو اني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الامر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيتي ان أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت أصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»(١) ويقول اني ربما قبضت من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه

(١) رواه البغوي باسناد لين والشيخان وغيرهما بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله واني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين: فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدي اليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقارف (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عزوجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس أمير المؤمنين ابي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى الغفاريون وشكوا الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

---

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كمحسن وهو ما كان ابوه غير عربي ويقابله الهجين

فقال يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا اخبرتني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال انك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني أعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين اني لأنصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد

وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابطأ بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين انك لا تجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف لا أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت أخاف ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشا

رعيته حرم الله عليه الجنة»(١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء. يا أمير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها اليه. يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه. يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « ياعباس ياعم النبي نفس تحييها خير من امارة لاتحصيها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يغني عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال ياعباس و ياصفية

---

(١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي - ابن ابي الدنيا في مواعظ الخلفاء وابو نعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي (٣) رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم وابن عساكر

عمي النبي ويافاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيأ ان لي عملي ولكم عملكم» (١) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال الامراء أربعة فامير قوي ظلف (أي منع) نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه الرحمة وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة» فهو الهالك وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا :

وبعد أن أطال في وعظه بما حذفنا بعضه اختصارا قال

« يا أمير المؤمنين من أشد الشدة القيام لله بحقه ومن أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك أياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك

« وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة ليصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه مخرجو الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني . فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي انبأتك بالامور من أصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه و بين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت: فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي: قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ان الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك و بينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها عنهم و بعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحد الا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحجبوا عنك تجبي اليك الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخرنا فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه حتى تسقط منزلته و يصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه و بين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك

الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد واحرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا . ولقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه : مالك مالك ؟ فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف . ولقد كنت يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عيناك فقال أما اني لا ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن ابكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك »

وبعد ان اطال في موعظته وخوفه من الله وعذاب الآخرة بما حذفناه بعضه للاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا فقال يا امير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك ان يأتيك فيعاونك على اصلاح امرك ورعيتك . فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن احوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم اكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم اشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن اين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العرابية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الاصلاح الحقيقي وكان الفضل الاول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحا مدبرا اذ كان برياسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كالمسيطر على جميع أعمال الحكومة كما بينا في ترجمته من المجلد الثامن ، ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقادا كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته نقلا عن الجزء الثاني من تاريخ حياته (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ — ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثر تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكأنهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة أمر ذلك كله بثباتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيئتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذاكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاما كثيرا اذكره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولسنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريبا على الآذان وحشيا عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) إذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم وبعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطة أرفع من حطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للكاتب من المكانة عند الحكام والتصرف في الحقوق فاكتفوا بارسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها ولكننا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فقد تنبهت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء بتربية أبنائهم من الآن فصاعدا على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه أخر ولهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعدهم أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعلم في مكاتب الاطفال وتعطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الازمنة السابقة أزمنة جهل آبائهم لعلهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر ما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعدهم المقادير على النجاح وكانوا في انتظار توفيق الهي يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سيقت الينا نؤدي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنساوية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادىء الرياضيات والطبيعيات وله تقدم في اللغة الفرنساوية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتمدنة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاشي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغريبة أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه أن يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفتر همة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقربها الى الفهم كاحدوثات تتسلى بها النفس بل ألذمن ذلك إذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد فتنجذب نفوس الناس الى مستملحات العلم فبدل صرف أوقات الليل الطويل في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لاطائل تحتها أو في أماكن أخرى نتحاشى عن ذكرها يهرعون الى معهد العلم ليغذوا عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجليلة في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفنن منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمة وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويتلهفون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الاسف خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانب (وان كان ذلك غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الاكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أيقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف أنها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة تجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا أنها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماتشاء لهذا الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا الحد وان كان الاول قلنا الاولى ان لا نتكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستديما آخذا من البداية سهل الوسائل ميسر الاسباب

بلغة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل وتنبعث الغيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل ويجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوبخهم الذمة وتلمزهم ضمائرهم اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعللون بها اذ ذاك بل نرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم الليلي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارئ لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا لضرورة تمنعه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنايات والحقوق والحسابات ونحو ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس فى شأن المدرسة الليلية التى افتتحتها نظارة المعارف قريبا وربما كانت تلك الاقوال صحيحة لكن ان صح ما قالوا فعليهم بتقديم آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجيبهم الى مطلوبهم ان رآه موافقا وخاليا من الموانع والمحذورات والا أقنعهم بأن تعميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون الحق و يريحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضيع شتى يمنعنا من ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ – ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر بعضا منها في هذا العدد حفظا لمتفرقات الاقوال لعل شيئا منها يقارن صحة فيصادف قبولا وليكون ذلك دليلا على تنبيه الافكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا

نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالمعاني الرفيعة قاضيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاتهم لوظائفهم وقيامهم

بواجباتهم مبينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت ان في بعض المدارس قصورا فى التعليم وفي بعضها كمالا وزيادة فاستوجب موظفو الاولى التوبيخ والانذار وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة تعقلا وتبصرا لا حفظا ولقلقة وبين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحذ حذوها بوقوعه تحت مسؤلية الديوان

فانشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التنبيهات الاكيدة والتعليمات المفيدة وقالوا لو عمل بهذا المنشور لاطمأنت نفوس الكافة الى تربية ابنائهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الازمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماة زمارها فقد كانت النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفرير والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء الاهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع مراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب فى المدارس الاجنبية واغفالها فى مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سعادة ناظر المعارف الى كيفية التعليم وتشديده فى ان تكون على وجهها الحقيقي مما يعيد الآمال ويقويها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسؤالات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهى من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير فى جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من ايراده لا تنفك عنه الوساوس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتغلب منغصات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنعشه عند ما سمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحط من همته بل ربما أورث خللا في كيفية تأديته لوظائفه خصوصا اذا

رأى غير المجتهد مماثلا له فى الرزق وأوفر راتبا منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسموع ان ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستغراقها بل نود لو يزاد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الادراك واذا أدركوه فهل يوجد عندهم من القوة العملية والتدرب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لاجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل الغاية منه بمجرد نشره أو ان الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم؟ وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى اذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أزيل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خسارا على التلامذة المساكين. ولا نقصد بالامتحان الا السؤال في الفن الذي يعلمه فاذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدّ عارفا ثم طلب الالقاء والتدريس وكيفية التفهيم فرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفون بفنونهم قادرون على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وان كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علما ويعجز عن تمرين المتعلم عليها عملا والبعض يوجد خاليا من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يحب ان يجهد نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص مقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لاجراء هذا المنشور أشخاصا

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هـذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلا و يقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فان رأوا نقصا عرفوا سببه ومن أي الجهات منبعه وان كان اعوجاجاً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم و بينوا له الطريق مرة بعد أخرى فان اعتدل والا اعتزل و يكون أولئك الاشخاص تحت مسؤلية شديدة اذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فان ذلك يبعث الغيرة و ينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه و يسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ ؟ هل دققت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم و يرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكماله درسا آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنطبع هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية و بين من لا خلاق له بأن يكون أحمق أو دنيئا أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرة التلامذة لهم موجبة لتلوثهم بالرذائل وتكون كلماته في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتميت أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلا وقد ضاع الزمان وولى الشباب واما علما صناعيا مصحوبا بشرور تعود على صاحبها بالشقاء و ياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقبا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب و يبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في أنحاء البلاد لتفوض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالا ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملا بحصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلا ليست
أساليبها سهلة الأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم فى المدارس من اشتغال
التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وانه يلزم ايجاد طريقة جديدة في التأليف وازالة
كثير من الصعوبات التي عاقت كثيرا من الناس عن التعليم فهل حصلت انابة
بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر
في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سعة في الفكر والاطلاع على
الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي
تدريسها في أي الفنون حتى يتأتى اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال

من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره
الى الجهات البحرية قد رأى أمورا كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة
المعارف أشياء مهمة لابد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت
المذاكرة في تلك الآراء القويمة التي أبداها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى
البحث فى غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سؤالاتهم سردناها للاحاطة بها وانا نجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف
هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لاتغفل شيأ مما تعلمه نافعا ومفيدا
ومن اليقين انها لاتشرع فى شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد
أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لايرى فيه الا الأثر الظاهر ولا
يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الاوامر والنطق بالالفاظ العالية
بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة
العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الاكرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع
الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الحاذق وكيل المكاتب الاهلية
حضرة على بك فهمي وسنرى من أعمالهم مايرفع جميع هذه الاوهام ويفتح
للمعارف فى عصرنا هذا تاريخا جديدا فهذه هي الفرصة التى نرى فيها الحكومة
العالية مساعدة على نشر المعارف وتأييدها فعلينا ان لانضيعها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ – ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهارا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من أوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا و بصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا و يقرأ فيها درس باللغة الفرنساوية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير يبتدأ فيه من الهجاء الفرنساوي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة أما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم أخر نافعة من آداب وتاريخ أحوال الامم وتاريخ طبيعي و بعض مبادىء الرياضة (فيما سمعت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخوجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك أجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لا نتوسم فيها ذلك الا ببرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تضر في المقصود

ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسعى اليها و يهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسوطة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنساوية مثلا اذا لم تكن عنده مبادىء علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التفنن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادىء حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليليين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون منها بعض مبادىء العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لا نزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفحم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهانا فعليا لا جدليا يقنع الناظرين ويفحم المخاصمين ويذهب بتعللات المتعللين ومطالبا لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجيه الهمم الى التعلم وافراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يجيبون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم الى طلبهم ويكون لجريدة الوقائع المصرية شرف الاخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر وما فيه اهـ

(المنار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية العربية وسبب انشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد إلى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المنتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيد واستاذه الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلامة وله مقالات أبلغ منها عبارة لانها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجا منها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿آراء وأفكار﴾

للدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره

هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أبديه لعلماء المسلمين ، المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ، وإذا ما كنت مصيباً أيدوني ، ويشي من علومهم أمدوني ، فاني لست ممن يهوى الاقامة على الضلال ، ولا ممن يلتذ بجديث مع الجهال ، فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ، والاسراع إليه إذا بدالي بارق من بصيصة؛ وهاأناذا أشرع في إيضاح المقصود بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : —

لاخلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لانه منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ماقد حصل ؛ ومن ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضروريا في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة ولتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحيانا على حسب ماأداه اليه فهمه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله؟ ولم لم يضمن مافي الاحاديث من الواجبات كما ضمن مافي القرآن حتى نأمن عليه من التغيير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآنا والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب بالسنة ؟؟ فهذه بعض أسئلة ألقيها على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من القيء ؟) فأجاب عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أولم يصح فالعقل يشهد له ويوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ للمسلمين لايحيدون عنه . ولكن ويا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأمم فدفع بهم في ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحدهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً فما له من نور

ولع الناس في الأعصر الأولى بالروايات القولية ولوعاً وتفاخروا بكثرة جمعها جموعاً، حتى ملأت الأحاديث الآفاق، وكثر فيها التضارب والاختلافات . وصار من المستحيل أن يعمل الانسان بدينه بدون أن يقلد غيره ممن أفنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من ألد أعداء القرآن المجيد . تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لأحد الأئمة ووجب على المقلدين القول (بأن الكل على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين فحق عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه . أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد . وبذلك شفى الرمد بالاعماء . فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين، رموه بأنه من المارقين، وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل: ولولا عناية الله لأزهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الاحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف . وتحققوا أن أكثرها موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره . فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله ؟ وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تحصى لظنهم ان القرآن غير واف بالدين كله . والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) . واذا صحت مذاهبهم فأي تفريط أكبر من ترك القرآن لأكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك ؟

دين الله سهل ميسور، والتقليد فيه محظور، فلو كان العمل بما في الاحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة . في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث؛ ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع، والحسن والموقوف والمرفوع، والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعة الانصاف أني أكلف خطة لا تستطاع ؟

يحتج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكنا نحن القرآنيين نقول إن اطاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي : هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله ؟ فاذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبعاً بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول ؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمندوب ؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة ؟

نحن لا نجهل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لا أثر لها في الكتاب ، ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بعدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلا عليها من القرآن . فأبو حنيفة مثلا قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لانه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء . وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى انك تجدهم يستنبطون كل ماقالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه . وبعد ذلك يقولون بأن مازاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة . أليس ذلك أثراً من آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم ؟

إذا نظر ناظر في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة . ومقادير الزكاة ومايتعلق بها

لاشك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع . ولكن محل النزاع هو هل كل ماتواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الاسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأيي أنه لايجب . وربما كان مايفعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبيق لأوامر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيث أن غيرها من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب مايوافق أمورها وأحوالها كما سنبين ذلك في مسألة الزكاة

ولنبدأ الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة . قال الله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) الى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفنا العدو ، وأن صلاة الخوف للامام ركعتان فقط وللمؤتمين واحدة يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فاذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤتم وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة ، أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء ، وبعبارة أخرى ان الانسان يجب عليه ان يصلي ركعتين على الأقل وله ان يزيد عن ذلك ما شاء ان يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فان الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المسرفين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الافراط وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدلك من السنة على أن هاتين الركعتين لهما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي : —

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزءاً من إقامته بالمدينة . فان قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحدوث عهد المسلمين بالاسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن المعهود في طباع البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديدي الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطلبون المزيد . وكلما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكلما ازداد اضطهاد المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كلفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرهما . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الاول ، كان لمراعاة جانب المسلمين الحديثي العهد بالدين وهم إذ ذاك نفر قليل فلماذا

لايراعى جانب من دخل في الدين فيا بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلا على أن النبي ما كان يكتفي بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنهما أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ٠

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو ٠ ولو كان السفر قصيراً جداً ٠ ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب ٠ فلو كانت الزيادة واجبة لعد هذا تهاونا وخصوصاً لان القرآن لم يبح القصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً ان هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاء بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول فى قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ان هذا القيد فى الآية المذكورة آنفاً لامفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم ٠

(٣) كان عليه السلام لايجهر بالقراءة في الركعتين الاخيرتين وان جهر فى الاولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئا من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاولين

(٤) إننا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي فى أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب فى عدد السنن وفى المندوب والمستحب والرغيبة الى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلا أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة ٠ ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ماصلى وقتاً أقل من ركعتين ولا تقيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد ٠

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم الا مرة واحدة وإذا ترك سهوا بعضها أعاده وسجد للسهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا ٠ أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض النوافل واما المواظبة على جعل بعض الصلوات أربعاً أو ثلاثاً فهو لا يدل على وجوب ما فوق الركتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق واذا سلمت فكم من أشياء واظب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة انها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضمضة والاستنشاق وغير ذلك كثير جداً . وأما قرن الركعات بتسليمة واحدة فكم من أشياء قرنت بل مزجت بالفرائض وقال الأئمة انها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة ، ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركتين الأوليين والركعتين الأخيرتين اشارة منه الى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الاخيرتين وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما اعادة ما تركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لان السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلا ويجد أن قلبه اشتغل بشيء آخر اثناء ما هو فيه كان يعد ذلك تقصيراً أو ذنباً فيسجد سجدتي السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً للصفح عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً للنفس وان كان سهوها بالفكر في أمر شريف يليق بالأنبياء فان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس سجود السهو هنا خاصاً بترك الفرض بل اذا نسي الانسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فاذا نوى بأن يصلي مثلاً اربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله . قال عليه الصلاة والسلام (اذا قام أحدكم يصلي أتاه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فاذا وجد ذلك احدكم فليسجد سجدتين)

واما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحاتنا هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسميه نحن الان سنة او فرضاً او مندوباً او مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء رأوا النبي عليه السلام يفعله . وأما اجماع الخلف فلا نعبأ به والاستشهاد بحديث (لا تجتمع امتي على ضلالة) ان صح هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول ان المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فان من عرف ان الواجب عليه ركعتان على الاقل فصلى اربعاً تقليداً للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله اجراً ، وانما الغرض من هذا البحث هو تمحيص المسائل علمياً ليس الا . وهو يفيدنا ايضاً في مسائل اخرى من الوجهة العملية فوائد لا تحصى

﴿ مبحث الزكاة ﴾

نذكر أولا مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ما ورد في السنة المتواترة(١):

النصاب			ما يخرج من الزكاة
(١) من الذهب ٢٠ دينارا (أي ١٠ جنيهات تقريبا)			نصف دينار
(٢) » الفضة	«	٢٠٠ درهم	٥ دراهم
(٣) » الابل	«	٥ جمال	شاة واحدة
(٤) » البقر	«	٣٠ بقرة	عجل تبيع
(٥) » الغنم	«	٤٠ شاة	شاة واحدة

فالذي يكاد يجزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لابد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ دينارا كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال. ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظاهر لبعض الناس دون الآخرين. ومما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جدا أن مالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم لتساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جدا إن لم نقل إنه كان متساويا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الامر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرشا صاغا مصريا بالتقريب. وذلك في مبدأ الاسلام وهي قيمة زهيدة جدا ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافا كبيرا بحسب البلاد وبحسب الازمنة ومن ذلك نعلم أن ما بينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الامم في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقا لانه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحمله لجميع العالمين وتركت أمثال هذه التفاصيل فيه لتتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضعوا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها لتسير عليه . ولا يصح أن نجمد على ماوضع للعرب في ذلك الزمن جمودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنيهات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع الشرإذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ماذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن نقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضاً مصارفها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . ومافيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ماتفق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيأ عن تقبيل الحجر الاسود ردا على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضعها ابراهيم عليه السلام ليعرف به الركن الذي يبتدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها إبراهيم من جبل هناك يسمى أباقبيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أبا قبيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قبيس ابراهيم فجاء فحفر عنه فجعله في البيت) فهذه الرواية على مافيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على مأخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لانهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضروب العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله وانكسارا مع العلم بأن الحجر والارض لاقيمة لهما بالمرة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشيئين الحقيرين تعظيما لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوبه ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقا ولا لبئر زمزم ولا للشرب منها فلندع مايهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لايفاء موضوعنا حقه أن أتكلم على مسألتين أخريين لورود شيء كثير عنهما في السنة وعدم ورود شيء في الكتاب

(المسألة الاولى — قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ماشاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ماحصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأبيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فان وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث مامعناه «اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه»

(المسألة الثانية — رجم الزاني المحصن) حد الزنا في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الاحصان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي نجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لا نصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجبا لذكره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن إن الامام إذا وجد أن الامة قاسية غليظة القلوب منتشر فيها الفسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم لخشونتهم وشدتهم وخاف على الامة الضعف والانحلال والفساد جاز له والحالة هذه أن يقرر الرجم عقوبة للزنا وأن يعتبر من أقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . أو إن تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جاز للامام أن يقدر الرجم على غير المحصن أيضاً بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والخلاصة أن المسألة تركت ليتصرف فيها أولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا وردعها الجلد فبه وإن كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين أوجبوا تقتيلهم .

وكذلك ترك القرآن كثيراً من الحدود وأطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه أن القطع لا يجب لاول مرة بل يستتاب السارق فان تاب وأصلح وإلا قطعت يده .

فهذه أفكاري في هذه المواضيع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وأرجو ممن يعتقد أنني في ضلال أن يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة

إذا تقرر ذلك المذهب فما على المسلم الا أن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكر وان يستنتج جميع ما يجب عليه في دينه ودنياه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة

ومن اقتصر عليه علم سخافة من عاب الاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . فاللهم اهدنا بكتابك . وأفهمنا من أسرارك . وافتح أعيننا وأنر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الحائرين آمين . اه

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم ميرزا باقر الشهير الذي كان تنصر وصار داعية لمذهب البروتستنت ثم عني بدراسة مآثر مذاهب النصرانية ومذهب اليهود ثم عاد الى الاسلام باجتهاد جديد له ودعا اليه في انكلترا بغيرة وعزم شديد . وقد ذاكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك رفيقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لعرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما نعتقده فنحن ندعو علماء الازهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلسفة اليونانية او شذوذ الفرق الاسلامية التي انقرضت مذاهبها وانما تكون باقناع المتعلمين من أهله بحقية الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يعرض للمعتقدين المستمسكين ككاتب هذه المقالة فاني أعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤديا للفريضة وانما كان اقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

واني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين للتنزيل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يعده جميع المسلمين اليوم فرضا والكاتب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك . ولا اطيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لئلا تعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم العهد بالجواب عنها وسنفصل القول في الموضوع بعد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ويجب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لا في الامثلة التي أوردها والله الموفق

الرد على الشيخ بخيت

رغب الينا ثلاثة نفر أن نكف عن الرد على الشيخ بخيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أنفع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على ما دونه . والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتابا أثنى فيه على المنار وذكر من فائدته ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا نرتاب في اخلاص هذين الناصحين . والثالث مجهول أرسل الينا رقيما من الاسكندرية كله سباب وشتائم وحكم على قلبنا وسريرتنا ومما قاله ان الشيخ بخيتا اعترف في رسالته الثامنة بأنه أخطأ ولكنه أحسن أن يداري خطأه ويموهه فما كان يجوز بعد هذا ان نمر دالي

بيان فضيحته أو ما هذا معناه ولولا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الحيان السباب فنبذ أبا الجواب عن هذه الكلمة وان لم يستحق كاتبها جوابا فنقول لو أن الشيخ بخيتا اعترف بخطئه في قوله ان خليفة المسلمين يجوز ان يكون كافرا وبأن حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لان سنده لا يصح ومتنه لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكففنا عن الرد عليه وإن نبزنا بألقاب الجهل والحسد و . . . . . فاننا لسنا ممن ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذائنا ولم نقل في أحد منهم كلمة سوء انتصارا أو انتقاما وقد هضم أناس حقوقنا المعنوية وأكل آخرون مالنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد انتقدنا غير مرة على اصدقائنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة نرى كثيرين من أهل الازهر وغيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الاصلاح وخدمة العلم في زمان كثر فيه التهجم على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لا سيما اذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه وفي ذلك من الغش للامة ما فيه . وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض فى مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلا على العداوة الشخصية ولم يتعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وان كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بيننا وبين الشيخ بخيت عداوة لا سيما بعد نشر ما نشر فى المؤيد فاسرع الينا بعض مبغضيه يذكرون لنا من السيئات ما لا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكره فى المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتاتين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذى فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والداني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ بخيت وانا لا نحب ان نسمع عنه شيأ مكروها وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا آن يكون مما يؤيد حجتنا في المسائل العلمية والدينية التي نناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين

هذا وقد سبق الى فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بخيتا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بامضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه مبينين اننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على ان ذلك كان معروفا لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردا على ثابت بن منصور اشارة الى أن الشيخ بخيتا هو الكاتب لها لا أزال اذكرها وهي : لو ان الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرنفش الى الازهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به الى جهة باب الحديد أما كان يفوته الدرس: او ما هذا معناه فذكر خروجه من الخرنفش كان اشارة من الكاتب الى ان ثابت بن منصور هو الشيخ بخيت . وانا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الاميرية

كان المقصود من كتابي الى المؤيد ان أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي اخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ بخيت وليس فيه كلمة تشعر بانتقاد الشيخ بخيت وانظر ما كتبه هو الى المؤيد فاننا ننشره لما فيه من العبرة في اللفظ والفحوى ، وكثرة الادب وقلة الدعوى ، ولفائدة تذكر بعد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الاغر سعادتلو أفندم حضرتلري

وبعد فاني أرجو نشر ما يلي بجريدة المؤيد إظهارا للحقيقة ودحضا لما افتري به علينا ونشرتموه بها

قد رأيت بعددي ٤٩٥٦ و٤٩٥٧ من جريدة المؤيد ان صاحب مجلة المنار قد ادعى انني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقا تحت امضاء (ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف الى غيرها من دعاويه علينا وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم اني خبرته بأني كاتب الرسالة المذكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت العنكبوت على ذلك

وحيث أنه يجوز أن يكون المبغضين الينا قد افترى ذلك علينا ليشوه وجه الحقيقة الساطعة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره

ويمكن المؤيد أن يراجع الحقيقة ليعلم اني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه لم يسبق لي أني كاتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المفتريات . ولو أني كتبت أو أكتب الى جريدة لكتبت بامضائي وحاشا أن أكتب بامضاء مجهول مستعار فاني ممن يعتقد أن التجهيل جهالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وفقنا الله للصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه بيده العصمة وتمام المنة والنعمة

كتبه محمد بخيت المطيعي
الحنفي بالازهر

(المنار) كنت أتمنى لو يعلم الشيخ بخيت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض المفردات والاسلوب الذي اكتسبه من المحكمة ولكنهم لم يهتدوا الى متعلق «وحيث وحيث» في كلامه . ونقول اذا كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المبغضين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم بأننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرية

هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومجالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فان كان ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأييد له كالرد على هانوتو (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له . هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدنا الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية ، وأغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبر أفندي ضومط تساهلا في القياس وحبا في سعته لا جهلا ولا ضعفا في اللغة وفنونها وانّا نقول قبل ان نورد ما لا مندوحة لنا عن ايراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام جميع كتاب العصر الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في التحرير والتصحيح وانا أقرّ بأني كثيرا ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف الطبع وأكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامية أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل بما لم تعده به العرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأه كل يوم فيعلق منه باذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعتذر بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يعيد اليه النظر أو يقرأ منه سطرا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فانه يشغل صاحبه عن كل ما عداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه كلها توجهت الى النظر في صور الكلم ومحاولة تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اني لم أسلم من الغلط ولم أر أحدا من كتاب العصر سلم منه ولكن أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلطهم جدا حتى ان العالم النقاد ليقرأ لاحدهم عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهؤلاء قليلون في كتابنا اليوم وأكثرهم من لا تقرأ لاحدهم بضعة أسطر الا ويعثر ذهنك بغلطة ويرتبك فهمك عند جملة ولا أرى من الصواب اضاعة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطفلين ، هو الذي يحيي اللغة ويرقى بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومسائلها فاذا قام بهذا قوم وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدى بها العلوم ولكن جبر

أفندي لايحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارئ وإن مزج بالالفاظ العامية التي ليست من اللغة و بالاغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هوما ننتقده عليه ونقول انه يجب على كل كاتب أن يتبع أئمة اللغة وفنونها فيما قرروه فلا يقيس على السماعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهوما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل تصحيحه. ذلك ان التساهل وترك الامر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجرئ الجهلاء والضعفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويثني همة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التساهل مما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وانما نريد ايراد بعض ماوقع له من الخطأ وإن كان لايكاد يسلم منه أحد منا لنبين انه لاحاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وان في الصواب الذي لانزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ يراه هو صوابا فهو لم يأته عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بانه لايمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التساهل من غير حاجة اليه

أول ماخطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما أذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالاقتصاد لا يتعدى بعلى والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم تخل من توسع في افادة المعنى المراد هو مما يعهد في المواضعات بل لو قال (القصد في كد ذهن السامع) لتم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لاول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لاتكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسرها به فما لاخطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم أن اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذه مذهبا

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتقحم فيهما على الخراب : لا يقال في اللغة تقحم عليه كما يقال هجم عليه وانما قالوا تقحم الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتقحما أو تقحمها بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولا الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانيا الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلا في مجاراة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير معهود في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه لامكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضعه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولا لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واني أجزم بانه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التي لا تكاد تنطبق على قاعدة فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبخارى وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداؤه الكلام بالعطف كقوله « وأكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا تخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقد لافادة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزا وقد استعمل المناطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صفيف الاحرف » وكلمة صفيف لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عاميا ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما يغني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصريين يقولون جَمّيع ومنهم من يكتبها جماع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) «مقاسة» والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) يصوغ بالصاد

وأما الالفاظ التي صححها وتمحل لجعلها قياسية فلا حاجة الى استعمال تكاتفوا منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع الكتف للكتف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر : فيه نظر اذ لانسلم ان معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره الى ظهر الآخر والاظهر ان معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المعين والقوي الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد عليه في الاعانة سمي المعين ظهيرا . ويجوز ان يكون من المظاهرة بين الثوبين ونحوهما أي المطابقة بينهما لان المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حماية الظهر وهو معهود عندهم فمعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا النحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في التعاون . ومن ماشاك كتفا الى كتف لايفهم من مماشاته لك أنه يمنع عنك ويعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الآل أو العشيرة غير ظاهر فان العاقلة وصف لمحذوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدية عن القاتل من عشيرتها فاذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأنهم يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وأما المنفق هنا واحد وهو العائل والمنفق عليهم هم الجماعة أي العيال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل ان الكلمة محرفة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب العوام لم يكن بعيدا

هذا ما يأتي به التساهل وهو اذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فماذا نقول في كتابة جماهير المعاصرين الذين لانكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية على ان منه ما لا يفهم منه الغرض المجمل الا بمعونة القرائن . فاذا كان صديقنا يجعل المعيار في جيد الكتابة ورديئها فهم القارئ فعليه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالعربية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فاذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فان فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لامثال هؤلاء بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلا أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي» وانما أراد الكاتب أن يقول «أطول النساء شعرا» فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة — مفرداتها وجملها وأساليبها — الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها. واني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سماعي ولكنني لا أجيز لنفسي الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تنهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريبا

كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم

ألف الدكتور مرجليوث الانكليزي المستشرق كتابا بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعاظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وانه يجله ويؤدي له ما يستحقه من التعظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تقبيحه والطعن فيه. ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ما تربوا عليه ونُشِّئوا فيه من كراهة

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم تعسر عليه فضه فان هو فضه تعسر عليه محو أثره وان هو نزع ربقة التقليد، وأوى الى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية . تؤيد ذلك الشيء لمصلحة سياسية ، وهذا هو الامر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتغلب وشرههم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لايكاد يقع بها الا على مايمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسلخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا كل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقليل ماهم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم والعمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مرارا

(ومنها) ماتعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ماهو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الامر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع العلل والاسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لايتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة المهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لايخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلا من أعلم المستشرقين بالعربية وأدقهم فهما لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو «لاتخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا» اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا مااصطلح عليه المحدثون والفقهاء وانما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لامحيص

عنها لانها لاتحتمل التأويل ولا القال والقيل وأما الاحاديث القولية فان التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : إنما قتله من أخرجه : يعني عليا فقال علي اذاً ماقتل حمزة الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قويهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه مافهم هذا العالم المستشرق

وجملة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فمابالك بغير المنصف وغير المتقن . وستري فيما ننتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطائه في هذه السيرة هو اتحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهو من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم وانما نبدأ بخير قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ماقال في مقدمة الكتاب من أنه يعد النبي محمدا من أعاظم الرجال الخ

ومما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لاأن تمادى الحرب وتتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمها ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على مانقله في ص ٥٥ عن مايور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كان يوصف بالصدق والامانة وأحاسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

ومما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤكدا ان الكسوف والخسوف لايكونان لأجل امرئ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عدهما أمرا ذا بال وأنشأ لهما صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بيّن ذلك فى آيات من كتابه كقوله (٥٥: ٣ الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره. وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذلك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرة الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير فى الطبيعة كل يوم وليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوئها بمغيب الشفق. ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتغلب عليهم حيوانيتهم فيفترس بعضهم بعضا

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحار فى تعليله على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ماقاله فى ص ٦٣ ايضا وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار نعجز عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الحكمة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ فى معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان الله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص آلهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والانقطاع فى وسط السبيل

ومما حار في تعليله وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص٧٣) : يستفاد من تاريخ أشهر الرجال أن بدأهم بالاعمال العظيمة كان لاسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبدئه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيده اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطأة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فانه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وفاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير، على انه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : ونقول ان أمر النبوة لم يكن بمثل هذا التعمل والتدبر والعمل والتدبير اذلو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا انه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لاتخفى

وقال في (ص ٨٠) سؤالان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما تحققت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام «تيوبال كين» كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من يخترع الآلات البخارية : ونقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يكن استخدامها للرفع والدفع مثلا لم يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبرية ونحو ذلك وانما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبني فيه اللاحقون على ماوضع السابقون والنبي ادعى النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فتم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت بهدايته دولة قوية ومدنية راقية

وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كأحد أنبياء بني اسرائيل : ونقول ان هذا ينافي مازعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله

ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بد أنه كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعلل بذلك ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافيا لانفضاضهم من حوله وعدم بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتمثيل الذي لم تحرمه أوربا الا حديثا : ونقول انها وان حرمته في بلاده لان الامة قويت على السلطة فيها فهي تبيحه أحيانا في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسنذكر نموذجا من خطأه في تاريخ الحوادث وبيان تعليلها وأسبابها

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وبما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اسئلة من أحد علماء تونس عمت بها البلوى ﴾

(بيع الدين بالنقد والاوراق المالية)

(س ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصا في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه ببيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشتري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صوره الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولمن احتاج الى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء . وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به ان ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وانما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام الا أن تكون برضى المغبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع ان فيه ظلما لأحد المتبايعين وحكمه ان لا ينفذ الا اذا رضي المظلوم فاذا أراد فسخه جاز له ذلك . مثال ذلك بيع حمل الحيوان نهي عنه لأنه غرر فاذا اشتريت ما في بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختارا ولو لموافقة العرف فان الله تعالى لا يعاقبه على أكله . هذا ما كنت أعتقده في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولا لاحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . ولا شك ان من يبيع دينه لا يكون ظالما لاحد ولا آكلا ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظلما له لان الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضار به هذا وان الدين قد يكون ثمن عروض والامر فيه عند الفقهاء لا سيما اذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿ الاوراق المالية نقود ﴾

(س ٣٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقدا أو عرضا أو شيئا آخر غيرهما

(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهبا فمن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

في مصر مثلا كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهبا لان الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يعدون هذا الورق كوثيقة الدين

(المحلى بأحد النقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد النقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسما كبيرا من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الاجانب (لنا في التجارة وانتزاع ثروتنا اذا أبيح لهم ذلك ولم يبح لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهبا ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء ببيع الحلي بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين ما نصه:

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فان ما حرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فانه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالاثمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلية النساء وما أبيح من حلية السلاح وغيرها فالعاقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فانه سفه واضاعة للصنعة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كالنقد ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لان صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البته بل يبيعها بجنس آخر وفى هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون اليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه ببر وشعير وثياب . وتكليف الاستصناع لكل من احتاج اليه اما متعذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة الى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة الى بيعه وشرائه فلم يبق الاجواز بيعه كما تباع السلع فلو لم يجز بيعه بالدراهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص العام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فان لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدراهم والدنانير كقوله الدراهم بالدراهم والدنانير بالدنانير وفى الزكاة قوله « فى الرقة ربع العشر » والرقة هي الورق وهي الدراهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فان حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الربا في النقدين وايجابا للزكاة فيهما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداهما بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الربا في بعض صوره لا في كلها وفي هذا توفية الادلة حقها وليس فيه مخالفة للدليل بشيء منها

يوضحه ان الحلية المباحة صارت في الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الربا بينها و بين الأثمان كما لا يجري بين الأثمان و بين سائر السلع وان كانت من غير جنسها فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ولا يدخلها « إما ان تقضي واما ان تربي » (١) الا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب ان هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

---

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكلي الربا الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لاحدهم دين مؤجل على آخر فاذا جاء الاجل قال له ومعناها اما أن تعطيني الدين واما ان تزيد فيه لاجل الإنساء والتأخير في الاجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر

يوضحه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان النساء يلبسنها وكن يتصدقن بها في الاعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها المحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فانه سفه ومعلوم أن مثل الحلقة والخاتم والفتخة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا أتقى لله وأفقه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلموها الناس

يوضحه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي الا بغير جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم انما هو في الصرف

يوضحه أن تحريم ربا الفضل انما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم سداً للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل وكما أبيحت ذوات الاسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرير على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيح منه ما تدعو اليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها لأن الحاجة تدعو الى ذلك وتحريم التفاضل انما كان سداً للذريعة

فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس الا به أو بالحيل والحيل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك جعل الزيادة في مقابلة الصياغة المباحة المتقومة بالأثمان في الغصوب وغيرها واذا كان أرباب التحيل يجوزون بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلساً ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقة فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلا ورحمة وجلالة بإباحة هذا وتحريم ذاك وهل هذا الا عكس المعقول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل زيت وحرموا بيع الكسب بالسمسم وبيع النشا بالحنطة وبيع الخل بالزبيب ونحو ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا التحيل

عليه كل باب فتارة بالعينة وتارة بالمحلل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة بعشرة نقدا ليس الا ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بحتا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية . واذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ماشاء و بالله التوفيق

فان قيل الصفات لاتقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضه الجيدة بأكثر منها من الرديئة و بيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالاثمان و يستحق عليها الأجرة و بين الصفة التي هي مخلوقة لاأثر للعبد فيها ولا هي من صنعه(١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى نقض ماشرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والعاقل لايبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة(٢) التي جوز لهم المعاوضة عليها معه

يوضحه ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لافرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لايقول لصاحب هذه الصياغة بع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لاتعمل هذه الصناعة واتركها ولا تقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لاتبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هنا لفظ "بين" الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد ان يبيع شيئا من الأشياء بجنسه

فان قيل فهب ان هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير المطلوبة اذا بيعت بالسبائك متفاضلا وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب

قيل هذا سؤال وارد قوي وجوابه ان السكة لا تتقوم فيها الصياغة للمصلحة العامة المقصودة منها فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فان كان الضارب يضربها بأجرة فان القصد بها ان يكون معيار الناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سلعة واحتاجت الى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه واذ أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافا ويرد خمسين ثقالا بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئا وهذا بخلاف المصوغ والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحدا وأول من ضربها في الاسلام عبد الملك بن مروان وانما كانوا يتعاملون بضرب الكفار اه المراد منه

﴿الرخص للمسافر في السكك الحديدية﴾

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ان سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق انه لا يصل الا بعد خروج الوقت ولا سبيل له الى الصلاة في أثناء السفر أم لا بد من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لان الشارع لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه . على ان رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح باباحتها للمقيم فان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعليل ذلك «لئلا يحرج امته» فعلم أن ذلك رخصة مطلقة تؤتى عند الحاجة اليها

باب التربية والتعليم

المكتوب السابع من أميل الى أمه

في ابتداء العشق وغرور الشاب الغر بالمعشوقة

عن ن في ٢٨ سبتمبر سنة — ١٨٦

لقد كان قولك حقا أيتها الوالدة العزيزة فاني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكوى على كل حال ممن كنت أحبها لانها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتني الصدق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطا صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشريفاً كبيرا وأظن أن من كفران نعمتها ان أتهمها بخيانتي فانه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

على أني ان قلت لك أني كنت أفكر في أمرها دائما على هذا النحو كنت كاذبا فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كأني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيل له أنه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبلغها في الخيانة أو ليس الحسن الاتقابا لنفاق وأقول أنها لشد ماسخرت مني لسلامة نيتي وسرعة تصديقي .... واحس بقشعريرة الغيرة تدب في جسمي حتى تبلغ نخاع عظامي.

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هائما على وجهي كالمجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بصري في مسيري مشاهد جمة من سنابل الحنطة المدركة، والقنابر المغردة، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

وجدا وحبا والكفور والطواحين التي تنكشف للرائي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الاشجار وقد مزقتها يد الريح ، وخرير الماء المتدفق من ينابيعه المنتحبة تحت الخضرة والديكة المغتبطة المتطرسة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبد السماء ، واسراب العصافير ثائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لهزت نفسي وشرحت صدري فلم تلفتني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي انها تنتشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منعطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأراني انه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل طفلا على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرؤيتها أنها خدعت ثم هجرت وسألت نفسي سؤالا محنق هل تنقسم النساء في هذه الايام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن بجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة فكلما كانت تمر على نور مصباح كنت اخالني أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالتي بحيث اني كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عتمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء تكتنفه اطلال دارسة وفي ركن من هذا الفناء بئر سدت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفعت الغطاء بأحدى يديها العاريتين واتكأت بمرفقيها على فم البئر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة افلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذ ذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتتبع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي : أقل ما في الامر اني هاهنا لأمنعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رؤيتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنيهة كان جبينها الكئيب في اثنائها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهمهمت بكلمات مبهمة وهي تهز رأسها ثم هرولت داخلة أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابه عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنجية نفس من الموت كانت تؤمن بالحب ثم اضطرت الى الكفر به ولمنه

كأني بك تسالينني كيف ظهر لك انك ألعوبة لهوى امرأة طائشة اجيرة فاستأذنك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لاتليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تحرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتمبورغي (١) يقال انها تحبه لماله فليت شعري هل أبصر أحد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن هملت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبتي هو الكذب والمكر والغش» . هذا هو التمثال الذي بخرته ببخور أماني وجعلت له بين الآلهات العفيفات مكانا وكنت اتمنى لو دنت مني الكواكب فانتزعتها من نظامها ونظمت له منها أكاليلا . على انه لي أمرا يسليني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماه انه لا يزال من حقي اذا نظرت اليك غير خجل لان خطيئتي انما كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الخنا ولكن هذا لا يقلل من استحيائي لهفوتي فاغفري لولدك هفوته حتى يمكنه ان يغفرها لنفسه . اه

﴿ المكتوب الثامن من هيلانه الى اميل ﴾

عن لوندرة في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٦-

اعلم يا ولدي العزيز ان ما نقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشد وان ما نقترفه من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تألمت منه ضمائرنا بأن لنا

---

(١) ورتمبورغي نسبة الى ورتمبورغ احدى ولايات المانيا (٢) هملت هو أمير جوتلاند الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثار أبيه الذي قتله أخوه بالسم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاند شبه جزيرة بالدينمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما التعلم

لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامي ان أعيب سيرتك فيها لانك قد عبتها بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من النصائح قبل ختامها المحزن ليساوي ماوعظتك به تجربتك الذاتية . ان في أمور الكون لسدلا وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ لحيلة الانسان ان تزينها بالالوان المموهة وتغشيها بالاستار الحاجبة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا

على اني ان لم أقرّ لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق والحيرة كنت قد كتمتك بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تسفل لارتكاب دنيئة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب وجمحات العجب المفتون وأماني البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشدهم تعرضا لخاطر دسائسه وأما الشبان الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة لا تنخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخمور المتبلة للسكيرين

تراهم يبذلون من الهمة والنشاط في تحصيل الغبطة أكثر مما يلزم وهم مع هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتماطون لدسائسه اعتاضوا عن الحب بظله اعني الظرف والكياسة في معاشرة النساء وان خسة عواطفهم لتدل على خلوهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصفصاف الجوفاء التي تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد وانحطاط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق والانهماك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فاراً بنفسك عن هذه الردغة (١) فلا مقر لك فيها

اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما يتخيلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان يجعلوها مناطا لحبهم وهو قريب المنال حاضر بين أيديهم. ارى انك فوق حنقك على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه ذاكرتك تجدني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتذكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل ما يتعلق بها حتى ثنيات حلتها تمام الذكر وان مثالها الظاهر ليسري سريان الشعاع فوق كتابك اذا فتحته اتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تود لو تشاهد معها كل ما في الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغاريد وهي التي ينطبق عليها ما تتخيله من معنى الفضيلة وتود من اجلها لو تكون أفضل الفضلاء فتلك الذات هي التي تحبها فان لم تكن تأنس من نفسك شيئاً من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم يأن لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس و يبعث على طلب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه لمحبوبه كل ما يقتضيه لنفسه منه لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تربصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والا ندمت فيما بعد أن لوثت شفتيك بالكذب

وللشبان خطأ آخر في الحب وهو انهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع كالتي تروى في القصص ازدادت لذته وكثر الابتهاج به فليس الامر كما يتوهمون لان في الحب من العظمة الذاتية ما يغنيه عن زخارف الخيال. ان الفلاح البار اذا راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي تغزل أو تخيط بجانب المصطلى ثم يمسح رؤوس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا منهم باسمه و يذكر في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة الدردار الكبرى في المزرعة و يراها لاتزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

---

(١) الردغة الماء والطين والوحل الشديد

خيالا اضعافا كثيرة من حظي الاهة من الاهات الحب الجديدة

الشباب هو سن الاماني والاحلام وطور الخيالات والاوهام ثم ان كثرة المطالعة لا ثمرة لها في أغلب الاحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن القصص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان واشدها استقلالا فويل لمن لا يعشق ويتوله الا في الحلم لانه لا يلبث ان ينكشف وهمه اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس مقاما فان كل عمل تعمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة ما للأثرة من أنواع الميل الاعمى وبلوغ ما للانسان من الشرف يفيد المرأة التي ستحبها كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يعد منك في حقها كثيرا اذا كان يهمك ان تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك

حاشية : فاتني ان أخبرك بأن « لولا » تتعلم الطب من أجل أن تقبلها جمعية الطبيبات بلوندرة في عدادهن وكانا نحبك　اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل تربيته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقته وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه الحكمة في هذه البلاغة

آثار علمية أدبية

« التقريظ »

« فرقان القلوب »

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدى افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته « وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام . لينتفع به ان شاء الله الخاص والعام ، فبإقرائه ينتفع بالثواب المنتهي ، وبتعلمه

ينتفع في دينه المبتدي » ونقول ان موضوع الكتاب مما يفيد المبتدئين لأنه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أو بيانه للتلاميذ فماذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؟ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا . مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) «وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ومعنى ذلك الوجد ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الخاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطعة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يقفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الادلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبغى أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأييد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطعة وجعل نتيجتها الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده انما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بغفلة الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فاذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل ينتاشه منه ما بينها به المصنف ، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطرونشأه الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القالبية التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة :الشامة والباصرة والسامعة والطاعمة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير مدركة كيفيتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أفلا تبصرون) فاذا استدل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و.و — فهنالك لا بد ان يعظم مولاه ويقول أشهد ان لا آله الا الله » الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضا منه في نفسه وفي الموضوع الذي دس فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى عليه وسلم مد يده من قبره الشريف حتى خرجت الى المسجد فقبلها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ ابي الهدى غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلميها من رأي مؤلف هذا الكتاب ؟ نرى المتخرجين في مدارس الاستانة اكثرهم ماديون ونرى مدارس مصر قريبة منها ونرى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام قد تحجر من شدة الجمود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دونت بها في الكتب ثم نجد فينا من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فاذا هذا الخلاف العظيم

باب الأخبار والآراء

« الشورى في بلاد فارس »

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للاصلاح وان هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس يظنون ان العقبة الكؤود في طريق الاصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالملوك والامراء واعتقادهم كغيرهم ان الاصلاح انما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدسقراطية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الاصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصيرة ان القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس الى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية الا بالعلم الصحيح ولا علم الا بالاجتهاد فالمجتهد أقرب الى الهدى وان ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وان اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فانه لا يصد عن الاصلاح اذا عقل طلابه، يقولون لأن يجدنا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يجدنا ضعفاء فاسدين (كما بيناذلك في كتاب الحكمة الشرعية)

رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الاسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهنأه الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين واني أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي ان كتاب الله تعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز ان يسمى اسلاميا فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه و بقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يمحى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لا حكم من يسمي نفسه سنيًّا أو غير سني وهو مخالفه

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أ كبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نمو وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاية الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاختط بجانب داره في بلدة ديروط مسجدا جامعًا ومدرسة دينية لتعليم العلوم الازهرية وكتابًا تحضيريًا لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيهما تابعًا للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيرا ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله وانما نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكابر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيرا من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوبا عن الامير وحضره أيضا مدير أسيوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون . وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس لثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب

بدئ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاما وجيزا مفيدا ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلا ما معناه انه يرجو أن يكون هذا العمل ناشرا للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهدا لحياة الارواح وحياة الارض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الازهر خطبة قال انه يتكلم بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء . وموضوع الخطبة ملخص ماقيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنكتة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها . ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الاوفى وختم كلامه بالدعاء للسلطان وللخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد . وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين انه لا يرجى ان يعود الى مصر مجدها السابق الا اذا كثر العاملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والامير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا ميال الى الادبيات وأسمعني لنفسه شعرا حسنا يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى . وخطب محمد أفندي أحمد الصعيدي فتكلم عن تأثير العلم في مدنية اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

واطرائه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئا للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب فارتجل خطابا وعى كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت بقراءته فيه ما كنت ناسيا منه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشر هنا ملخص ذلك وهو

انا نحتفل اليوم بعمل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به

القيام بالمصالح العامة و بذل المال فى سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة وبه تسود الامم فى كل زمان ومكان

كثر الكلام في هذه الايام فى ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع شعوب الارض في كل شيء وكثر القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون فى أن ارتقاء الامة متوقف على وجود العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم .

انا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيم الحياة ما يكفي لانتاشنا واقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة .

قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا اني قلما ذاكرت الوطنيين فى مسألة الا ورأيت فهمهم فيها كفهمنا فالظاهر أنه لا فرق بيننا و بينكم الا فى شيء واحد وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان ما درس من تلك الاوقاف وذهبت معالمه وما عاد ملكا للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان بل جعله هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لاسيما في هــذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمــال فالبذل فيه يعد بمثابة الفتوح والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاســلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهــذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسـلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقــة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قــد وضع الذين يقومون بالاعمال النافعة للامم موضع الائمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقتدي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محيي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محيي الشيء بعد الموت كموجده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقي الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهــذا القول الوجيز في المشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقــد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه أنه كان ينبغي ان يكون مدرســة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلمــا ينتقــدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صوابا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لاحاجة اليه بالمرة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يليق

به فحسبه مايراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني ؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خبالا و بلادهم الا خرابا لأنهم لاهم لهم الا اللذات الحيوانية والحظوظ الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فانه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد

التعليم الديني اذا أدي على حقيقته ترتقي النفوس وتقل الجرائم والفواحش و يندر سلب الاموال ونهش الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمودة في الناس. قد يقال إن هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لا في ازالته من الوجود بالمرة. ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا . ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجتماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لاحاجة اليه كيف وهو وسيلة للرقي الى تعليم أعلى منه لا ترتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد. نحن في أشد الحاجة الى تعميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه . وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان. فغرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الدنيوي متيسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه

أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لاحاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر. فان احتفالا يجيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الامة ينظر اليه الناس بعين الرضا و بعد حضور هؤلاء شهادة فعلية بنفعه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . واذا كان المحتفل يوي باحتفاله الترغيب في مثل عمله فانه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء في الحق لاينافي الاخلاص في العمل

ثم ختمنا القول بحث الأغنياء على الاعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الامة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به و بقومه و بعد أن قتل صار ولده متعب أميرا مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أن استولى على اكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال له المدوه يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعب للحصار وضاقت عليه الدنيا لان بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بان يوسط ابن صباح شيخ الكويت في الصلح بينه و بين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما كان بينه و بين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وفادته وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن الرشيد حتى يتذاكر معه فيا ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندري على أي شيء تم ذلك الصلح ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فانها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفا لنجد فأقام في المدينة المنورة ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيحة مع العساكر المنظمة التي هناك (والشيحة قرية من قرى القصيم) وكان متعب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هوّن عليه شأنه . ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرة من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد . جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والعسكر في قصر بريده وقصر عنيزه ويكون هو الحاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اننا خاضعون لامر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لاغناء فيها الا اهلها فنحن لانرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشيء فلا نقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا ولا نشك في أنه يرحمنا ولا يكلفنا مايشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا . ووافقه الشيوخ على ذلك . وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء وافترقا مغضبين

ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثروا الاعتداء على العساكر بالاعتداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية العسكر من البدو وكان ابن سعود لايزال مغضبا مما قابله به المتصرف من العظمة والغطرسة ومن مدح خصمه في وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ماجئتم الا لحمايتنا فكيف تطلبون منا أن نحميكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لايقدر على الاقامة هناك مع مناوأته والتكبر عليه ألان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداها اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه بأنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يبقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر — شعبان سنة ١٣٢٤ — أوله ١٩ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

خطأ العقلاء

من مقالات الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالمرابيين كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ — ٤ أبريل سنة ١٨٨١

ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا أكثروا من دراسة الفنون الادبية ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جليلة وتنبعث في نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم عليها ولكونهم اكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والاخبار ومعاشرة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتمامها على مقتضى ماعلموه هو أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثا ان يكونوا على مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين ويظنون ان أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب والدفاتر ووضعت أصولا وقواعد لسير الامة بتمامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى أعلى درج في السعادة وتتبدل العادات وتتحول الاخلاق وليس بين غاية النقص والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي تحدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات وانهم وان كانوا أصابوا طرفاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته وارتفاع الهمة وانبعاث الغيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيما من حيث انهم لم يقارنوا بين ماحصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يختبروا قابلية الاذهان واستعدادات الطباع للانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو أنهم درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لعلموا ان الامم في أحوالها العمومية كالاشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الامة مثلا الامجموع أفرادها وليس حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا مجموع أحوال هاته الافراد

فعلى من يريد كمال امة بتمامها ان يقيس ذلك بكمال كل فرد منها ويسلك في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها لتكميل الواحد. هل يسهل على صاحب الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة المطالعات؟ كلا بل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال ذلك محتاج الى ان يحصر أعماله ويقيدها بقيود من الترغيب والترهيب وان يراقب حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصعب على الاسهل مثلا أو أهمل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاتعاب سدى واستحال صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرجولية هل يمكنه ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلا ان الذي تمكن في العقل أزمانا لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بعبارة واحدة ولكن بعبارات مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المنال والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخر برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر بنفسه. تلك هي الحالة المشهودة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يباشر ولا يخالط في خلال تمله الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم ينجع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والعادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صغره أو كبره مع انه يسهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنه أوصافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الامم تختلف عناصرها وتتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الامة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحسينات فيها لا تبعد منها بالمرة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد تخلوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كلفوا من العمل ما لم يعهدوه أو خولوا من السلطة ما لم يعهدوه رأيتهم يتخبطون في السير لخفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرهم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتعس منها بحكم الاستعداد القاضي عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الامة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لا نستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثــلا حال كونها على ما نعهد من الخشونة فانه لو فوض أمر المصالح الى رأي الاهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة لايرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهــم أن ينتخبوا مائة نائب مثلا لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أونسيباً أوقريباً فربما ينتخبون آلافاً مؤلفة ثم لاينتهي الانتخاب الى المرغوب أصلا لوقوف كل واحد عند انتخابه الاول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً منها ثم يقع الهرج بين الرؤساء وهكذا حال الامم التي تعودت على ان يكون زمامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون ان يكون لها دخل في روية مصالحها لايمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والا فسدت فاذا أردنا ابلاغ الافغان مثلا الى درجة أمريكا فلا بد من قرون تبث فيها العلوم وتهذب العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الافكار الكلية حتى ينشأ في البــلاد مايسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لامريكا

وياعجبا هل الشخص الذي توارث العوائد عن آبائه وأجداده ومرن عليها من مهده الى كهولته وتعود تفويض مصلحته الى ارادة غيره يصح ان يطلب منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى اليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم يفكر فيها ان هذا لخطأ ظاهر

ولكون أرباب الافكار منا يرومون ان تكون بلادنا وهي هي كبلاد أوربا وهي هي لاينجحون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح ويضرون البلاد بجعل المشروعات فيها على غــير أساس صحيح فــلا يمر زمن قريب الا وقد بطل المشروع ورجع الامر الى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم على حالهم القديم وكان لهم امكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير البلاد فلا يسعى الا في اتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه ان كان نالناً حقاً بدون اتعاب فكر ولا اجهاد نفس وفي الــكلام بقيــة أذكرها فيما بعد هذا العدد

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقدمها ونقلها من حالة الهمجية (على ما يزعم) الى حالة التمدن التي عليها أبناء الامم المتمدنة وجعلوا الوسيلة الى ذلك ان تنقل عادات أولئك الامم المتمدنين وأفكارهم وأطوارهم الى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لعاداتهم وأخذنا الآن بافكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الاطوار كاف في أن نكون مثلهم وان استلامنا لتلك العادات وتلقينا لتلك الافكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الاسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الامم الى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتمدوا مثلها أو قريباً منها لترقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن ان تكون بداية مع ان ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا اليه الا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة و يبعدون عنه أخرى كما يرشدنا اليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الاهالي وغيرت أخلاقهم ونبهت الضرورات أفكارهم وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم

ان بداية التقدم الأوربي في الحقيقة كان في نفوس الاهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الامم الشرقية أجيالا وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم اذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم اتساعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كان الغنى والعز مستوكرا أقطارهم فاخذ أهالي أوربا عند ذلك في تقليدهم لكن لافي البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات اليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوهما من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقر في النفوس وثبت في العقول و بنوا عليه ماشاءوا ولو تأملنا تاريخ سير التقدم الاوربي لرأينا

أسباب التقدم يجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب ونفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويج وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تعقد لذلك المحالفات والمعاهدات وتتألف له الجمعيات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرزا في أغلب العقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك التقيدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغير جميع العوائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم و يتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والأهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلفتهم العقلاء اليها لكن لا بتحريك غيرتهم الى العمل اختيارا أو ألجائهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتمدنة و يشهدوا عاداتها وأحوالها ويهتم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم و يتفكرون فيما لا يعقل فشادوا بيننا أبنية وزينوها بما لم نكن نعهده من أنواع الزينة وجلبوا الينا من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مخبره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يتزينون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن وتشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبتنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا نتشبه بهم لكن فيما رأيناه وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب منا دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتجويد وضعها واتقان ترتيبها وتزيين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المآكل والمشارب وآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلب ماهو أغلى ثمنا وأدخل في المنظر وأجلب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاولة ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفروشات وتأنقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد سلكنا مسالك المتمدنين في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر لملابسنا ومساكننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدنون قد اشتركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال المتمدن من طلبه للتمتع باللذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستعداد (أي بأن تكون أوزة) فحبست نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشق منها ماانشق وتمزق منها ما تمزق فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نظنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الترف والنعيم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الغنى والثروة والراحة المستتبعة للذة الحقيقية والنعيم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجوه اللذائذ والآلام والتنشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الامم المتمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا أبواب اللذات مفتحة قبل ان يجدوا عقلا يقدر لهم مايلزم منها وما لايلزم

كل ذلك نشأ من جلب تلك العوائد الترفهية الى بلادنا وطلب التحلي بها بدون ان نحوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا وليتنا قبل ان نشيد بيوتنا بالارتفاع الشاهق والترتيب المحكم ونزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على بساطتها وشيدنا في عقولنا الهمم الرفيعة والحمية التي لاتمتد اليها الايدي وأحكمنا طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ علينا ماوجدنا وتجذب الينا مافقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من رحمة بالضعفاء ورفق بالملهوفين وغيرة على البلاد وأنفة عن الصغار

لعمر الله لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان العالم بأسره ينظر الينا نظر الراهب الخائف أو يرمقنا بلحظ المعظم المبجل وكانت معيشتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو ان الزاعمين فينا حب الترقي والتقدم ساروا بنا من البدايات وحجبونا عن النهايات حتى لانراها الا من أنفسنا فنطلبها لالانها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر ونتيجته وكانوا يعلموننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لافي زوائدها فكنا بذلك نصل الى ماوصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي نالوا فيه ما نالوا لكن فات الوقت ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الامل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين لا يعلمون للخلقة غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما خلقت لهم يستعملونها كيفما يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية وشرقية) فارغموا أنف الطبيعة ومحوا أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس عباده لفهم منافعهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصينا بين كل شخص ومنافعه

فاستأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطفها وكانت حياته معقودة بغضب ذلك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمريض بلغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضرة بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يداه حل للآمر عليه وليس لتصرف ذلك الآمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصعد بها تاريخ هذه البلاد اجيالا كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فنيت الارادة ومات الاختيار وطفئ نور الفكر بالمرة

وكان من جملة التقييدات المنيفة التي وضعها أولئك المتسلطون الحجر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطة على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفحش بالنساء أو شرب للمسكرات وما شاكل هذا فان وجدوا شيأ من ذلك ساقوا من يجدونه الى حيث يستوفي عقابا أليما وكذلك وضعوا في الافواه لجاماً من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقة أو طعن في حاكم وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمعنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالعيان

فتلك كانت حالة تعيسة يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتمدنة وطالعوا أحوالها ورأوا ما عليه أهلوها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتمدنة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بإرادته و يتكلم فيما هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا في ذلك شرطاً (ماأنفسه من شرط) وهو أن تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن المحبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية ونادوا بها على الالسنة الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لاجناح على من ارتكب أي جريمة وتطبع باي خلق حسنا كان أو سيئا وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضي منه مسلوباً أياً كان فلم يجعلوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقوها على ما كانت عليه وجعلوا تلك الحرية غطاء على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقلدوا الامم المتمدنة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم انهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم أن البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار وتهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يبلغه الاوربيون في بلادهم الباردة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك للعقول والابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من اللهو واللعب وتنافسوا في المحظورة عند النساء الباغيات واتسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرق والشوارع وتعدى ذلك المرض المعدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يبتذين وافتضحت بذلك بيوت شريفة وكلما طلبت لذلك منعاً أو رمت له دفعاً قال المولع هذه حرية فضاع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات يتسابقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) ويصرفون فيها مالا يقدر من النقود (وسأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي — هذه نتائج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال انا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشربا بل ألفاظ حفظها من معاشريه لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى التهوس ورمى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يوافقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها نوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعياذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهؤلاء من الجهل بمكان لا يعلوهم فيه حيوان فضلا عن انسان

فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاؤنا لم تدع لها أثرا يحمد وان كان الأوروبيون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائما لمثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على تصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبيعه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر وتغله بطوق الذل والعار ويا ليته بقي تحت سيادة القانون بسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على الانفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترتفع الكبسة بذاتها ويذهب الناس أحرارا بطبعهم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فتلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون ويقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تؤتى الافكار وبأي الوسائل يوفى العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن يحتاج الا لتخفيف يسير في شناعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حدّاً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وياليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة في الازمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانونا بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكاتهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان تنتخب منها عددا معيناً ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من العارفين الي القرى والمدن ليفهموا أولئك مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزالوا على المراقبة ازمانا فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتنمو فيهم القوة وتحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولا مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لايفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دفات الكتب وصدور بعض من النبهاء لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا بمقتضاها ان هذا لشيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لابد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والعادات رغما عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لاحكام بقعتنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبدا

وانا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لو انتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويما ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) أيما لا يكتفى بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات فى القرى والمدن لتفهام القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صغار المأمورين عن الاجراآت المضرة بالحكومة والاهالي معا ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورها وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط

ومركز النظر فى جميع ذلك نبهاء البلاد وذوو الشأن فيها فعليهم ان كانوا صادقين فى الوطنية ان يبذلوا الجهد فى طلب ذلك والقيام بما يلزم والا فانهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب فى العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ — ٤ مايو سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتياد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الامرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفعل أو الترك والترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كماليا كان من الامور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرافا

أما الطلب فهو أحد الامرين الذي يحمل النفس عناءين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أرباب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الامرين المتضايفين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الاول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء مايعود منه على الطالب أوغيره من المنافع والتنقيب عن الوسائل التي توصل الى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الاعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الاعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله انما يكون بعد ان نعرف نسبة الطلب الى غيره من المطالب ليترجح عما سواه بخاصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه الترجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء الاول وليس بعده الا الشروع في العناء الثاني عناء الاعمال البدنية

أما فوائد الاعمال فهي وان كانت جزئياتها غير قابلة للدوام والاستمرار اذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فنتائجه كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الاوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته الى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكماليات فهو محتاج الى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الاعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس ادمانه العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمرا من لوازم وجود ذاته فيحتاج الى صفة زائدة تقضي عليه ان يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافيا لهذا الاقتضاء اذ ربما تحققت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل والا لم نسمع بذكر التهاون والكسل والاهمال وما شاكلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الاولى درجة الاضطرار البحت فهو بنفسه كاف لادمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالادمان أي المتممة لعلته هي التمرن والاعتياد

و بعبارة أوفق بالغرض: ان مالا تدعو اليه الحاجة أصلا في زمن من الازمان قد تدعو اليه في زمن آخر لا لسد الاضطرار البحت بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكماليات والمحسنات وقد تدعو اليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطرار البحت فلا يجد الانسان عنه فرارا فيتكلفه مقهورا مقسورا يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الاعمال التي لم يتكلفها يوما من الايام لولا حكم الصروف والحادثات التي تقلبه على بساط القهر تقلب المصفود

في يدي الطفل فلايزال يحس بالالم ويدمن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً الى ان يزول الألم بالكتابة ولا يجد الا عملا بدون ألم فاذا مضت برهة بعد الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الألم الاول استحال الى ضده (على حكم تلاقي الطرفين) ويجد منه باعثا طبيعيا اليه وهكذا يزداد الميل ويشتد العشق حتى لايميل به الكسل يوما ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود من التمرن والاعتياد

أما كون الشيء ربما يكون ضروريا في وقت دون وقت فالامر فيه وان كان على ما أظن لايحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لايقف عند حد محدود فيما يتعلق بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب بعده من قبيل التمدن أو الحضارة أو الترف في المعيشة أوغير ذلك بل يكفيه مايسد الرمق من القوت ويقيه الحر أو البرد من اللباس ويكنه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما تأنق في هذه الضروريات بعض التأنق ورأى أنها تقبل التحسين شيأ فشيأ أخذ على نفسه أن لايقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل ماتتأدى اليه فكرته فجد واجتهد واستطلع بقوته النظر بخواص العناصر فحسبها عند ما اكتشف منها معدات تساعده على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبوابا للتجارة والزراعة والصناعة ووصل الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل يتحمل أثقالا على أثقال كلما وصل منه الى درجة ظنها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريبا فيتخذ نتائج تقاليدها الغريبة زينة شأن كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز

قال الشاعر

سبحان من خص القليل بعزه ... والناس مستغنون عن أجناسه

وأذل أنفاس الهواء وكل ذي ... نفس لمحتاج الى أنفاسه

فاذا توطنت نفسه الى هذه الغرائب زمنا استزاد منها حتى يبلغ بها حده

الكثرة فيستعملها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخص بها وقتا دون وقت الى ان تصير من قبيل الأمور المعتادة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال و يتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بعقامة المنيف و يحط بمقداره الشريف ولا يتذكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقتات ببسائط النبات و يستتر بأوراق الاشجار و يأوي الكهوف والأغوار فيان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر تقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ماوصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لابد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ماأكفره) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول و يبهر النواظر من صناعاتها الغريبة وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بعين الذاهل المندهش وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنقبض نوعا من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقلب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تتظاهر به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ماوصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجد بحكم الاضطرار حتى تصل الى ماوصلت اليه أو تكاد غير ان تلك أيضا بعد ان تذوق لذة التقدم وتنسيها سكرة التيه طعم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضا بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تركب متن الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الامم حتى تنتظم الامم جميعا في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا انتهزت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالنماء في الاموال والانفس والثمرات و بأن مجاورها يخشون بأسها و يرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعيــة البشرية من هــذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصــدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التقلبات والتنقلات يحكي حال الجمعيــة الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخــلاق فيتنافسون و يتحاسدون على التقدم والتطهير و يغلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء و يعذبون بعوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخاليب التكلف ومشاق التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا و ينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهيد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في بوادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتياد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجرى الطبيعي فيلتئمون بعد التفرق و يرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت

و ياليت شعري ماهو النازل الذي حل بالانسان فغير معالمه الطبيعية و بدل أخلاقه السلمية وحل رابطته النوعية والا فعهدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسلسل اجداليا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة التامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد و بطنها عادات وأخلاق متحدة الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة — التي منها وهو أكبرها تعميم المواصلات وتأكيد الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف — الى هذا السر المكنون و بشرتنا المحافظة العامــة على دعائم الســلام والراحــة العموميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة العموميــة موجهة الى النقطــة الاولى

وكلما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيرا خفيا في الجم الغفير من عقلاء الناس فمالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتعصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمعية البشرية بعد إلا كسكان منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويجدون من بركات الارض مايكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والعناد اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل بقبيل نازل توجه الكل الى انقاذه مما ألمّ به وساروا جميعا على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة ومرنه على السباحة ثم لا ترى فيهم اذ ذاك مايحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالا جارية على منهج السهولة منهج التمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

الدين كل ماجاء به الرسول

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار

أطلعت على المقال المندرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)

فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الخارقة التي لم يسبق لها مثال اذ قرر حضرته هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلا ثبتت جذوره في قلوب جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصا يمكن النزاع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه)

ولعمري لو لم يكن الرسول مبينا لأحكام الله التي لم تفصل في التنزيل ككيفية الصلاة من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعا لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما يبينه أو يشرعه واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثا وباطلا فقل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى »

قل لي بانصاف لولم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أكان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع المخصوص و يسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبدا ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجمل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله و بذلك يكون الدين أو القرآن (كالأستك) صالحا لكل زمان ولا يكون جامدا متحجرا كما يقول البعض

ان قول الله عز وجل « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله

وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيه واجبة على متبعيه ولا يشتبه عليه أنها نزلت لسبب اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أكان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فتكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ! قل لي أي المعنيين أرجح عندك لا أظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لأوردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بامور دنياكم فاذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « مامن نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون و يفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لاعجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لاتفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما مايقوله من ان النبي كان واظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لاتقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لاصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أربعمائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقيم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أولئك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضا مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ مايقول و يفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصا شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملا الا و يستشهد عليه بجملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دونوها في الكتب كما دونوا القرآن وحرروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الاحكام حتى صار اشتباهها بأحاديث الكذابين محال (كذا)

وما كنت أظن ولا يخطر ببالي ان حضرة الفاضل صاحب المنار يذاكر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها و بأمره يعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يحدث مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري اذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسده بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهريين وغيرهم من العلماء أتطلب دليلا منهم على ان أقوال الكاتب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محل للاستفهام والسؤال كلا

هذا وأرجوكم ياحضرة الرشيد المرشد سد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبدا في هذا الموضوع وفقنا الله واياكم وجميع المسلمين للاهتداء بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين

أحمد منصور الباز

نقيب أشراف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما خص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه . وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى يذكر بها الكاتب ما قاله الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وانما حذفناها لأنه لم يلتزم فيها ما يجب في المناظرة ولأنها ليس فيها شيء من القوة اذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الاركان الخمسة وليس هذا نفيا لاختلاف الامة . ولو كنت أجيز لنفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطقت بأن الامة ستفترق و بخلاف الفقهاء والمتكلمين و بأن الرجل لم يقل انهم اختلفوا في كل أصل وفرع .

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا اياه فله وجه ومن أسباب ذلك انه لم يتفق له أن ذاكرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لا مندوحة عنه واني أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولاعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يخطر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجمال والابهام الى حيز التفصلة والجلاء حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولا لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء المصر فيه فنشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشذوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي

وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الازهر وأذكياء المجاورين ان أهل الازهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأنهم ظنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لا نرد على أحد ولكننا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لا نذكر فيه أحدا من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفعل . ونحن لا نشترط على من يكتب الا نزاهة العبارة وسلامتها من الطعن والتهكم عملا بأدب القرآن الحكيم (وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)

تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الاستانة

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمد في أمته» لا نستحسن نشر مثلها في شدته وان كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المنار وهو مسألتان احداهما طريقة تعليم الدين للاحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه «الحميدي الأنور»

ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الاستانة كان قد رفع تقريراً الى المابين يلفت فيه السلطان الى فقرة « ونخلع ونترك من يفجرك» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الدعاء أو حذفه هو برمته من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطانته في أمر هذا التقرير فاشار عليه بالاغضاء عنه و بين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الدعاء برمته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه اعادة صلاته . وقال الكاتب «ان هذا الخبر نمي الى سفط الفاتح (سوخته‌لر) فسخطوا و بربروا ، وقمّوا وكفّروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالته بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الخمر جهراً على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطفئاً لجمرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفثء حدّتهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر ببال سيما والارتياب في الخبر مدعاة لنسيانه لولا كراسة تركية صغيرة تسمى (الفباي عثماني) طبعت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدىء تعلمه لاجل حذق القراءة . تصفحت تلك الكراسة فوجدت فيها جميع الادعية المأثورة حتى «ربّ يسر ولا تعسر» لكني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والاتراك في جملتهم . (وذكر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استعاض مؤلف الكراسة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفندمز حضرتلري مقدّس خليفه سيدر . بزم سوكيلى بادشاهمزدر الله تعالى يه پيغمبر عزه بادشاهمزه اطاعت أيدرز أمر لريني طوتار نهيلرندن اجتناب أيلرز» ومعنى ذلك «الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفته المقدّس ومليكنا المحبوب — نطيع الله ونبينا وسلطاننا ونتمسك بما أمروا به ونجتنب ما نهوا عنه»

«فساورني عند قراءة ما تقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا العصر « عصر الترقي» يعلمون أبناءهم التوجه الى «ثلاثة» بحيث يشركونهم في خصائص

الالوهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم ممن اتخذله ثلاثة أقانيم . و ياليتهم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الاولين بألقاب التبجيل وصفات التقديس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث ! !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصودروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم و بين مايشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزايل المكتب ويفلت أمثال الكراسة المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عتبة فلك مرتبة» وفي وصف المقصور «ذات قدسي سمات» « ذات فرشته سمات » أي الذات المقدسة الشمائل أو التي شمائلها كشمائل الملائكة .

واذا أراد أن يمتع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلاملك) رأى (كما رأيت بعيني) عمامة شيخ الاسلام تهوي الى بين قدمي جلالته وهو يشكر له و يدعو .

واذا أمّ المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوّقة بالذهب يغرد بصوت يستثير الطرب ، و يقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيّد دين حبيبه بدوام سلطة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه ببقاء سلالة آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه بعدالة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بنى نصرة الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» اه

اضحك أيها القارئ، أضحك الله سنك كأني بك وقد أوتيت في هذه الخطبة وحسبتها من أوضاع كاتب السطور أو نتاجه لكني أحلف لك بكل ما تكتفي الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في يني چشمه. و بعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع. وقرئت أيضاً في جوامع أخر وأجيز واضعها بشيء لبره ومسها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا.

لم يعن الشارع بجعل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحذ عزائمهم وتوجيه هممهم نحو لم شعثهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم. وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والتعظيم وارتكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعر أكذبه» — ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع وموافقة أصول الانغام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الامم.

أن شئتَ أيها القارئ الاستئناس لما نقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

« ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فأما أصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهذب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالغازي وهو لم يوجف على العدو بخيل ولا ركاب. ولكن مطلق الدعاء لهم بالصلاح لا بأس به.

« وقد اتفق ان الملك الظاهر بيبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال — مع كونه تركيا — مالهذا الخطيب يقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون. هذا مع كال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خاص الا بعد الجهد الشديد. واتفق مثل هذا البعض أمراء مصر في زماننا (يعني محمد بك الألفي أحد أمراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في ارسال ابنه ابراهيم والتاريخ يعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكان مغرورا بدولته مستبدا برأيه فأطنب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته ونفيه عن مصر الى بعض القرى.

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء ان يلتمسوا سخط الله برضا الناس فأن ذلك موجب لسخط الله والمقت الابدي نسأل الله العفو » اه

من أمعن نظره فيما قلناه ونقلناه يأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان ساداتها وكبراءها في العصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية ابنائها واستدرجوها في الاستكانة والاستخذاء حتى نزعت منها روح الحرية وفقدت النعرة والحمية وحل محل ذلك الضعف والخمول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية الحقيقة .» الخ

﴿رأي واقتراح في مقالة التعصب لعالم فاضل﴾

الى منار الاسلام، والهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام

قرأت في المنار الرفيع المقالة المسهبة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان (التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ماسبقها في موضوعها فوجدتها فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصعة، في تبرئة دين الله الاسلام وأهله مما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت نحلهم، أو تباعدت مللهم، وأنه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تترك في القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو محرر وكشفت النقاب عن سر المسألة التي تخبط فيها ذوو السياسة والكتاب

فألبسوا الامر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه

فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل تلك المواقف الحرجة اليوم، وياحبذا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ماعليه المسلمون في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الاغراض، وحقائق الامراض، وماهم من مغارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاختصار أقول ان المسلمين ليغبطون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التى لا يسع كل منصف عدل من الفريقين الا الاذعان لما جاء فيها ان لم يكن ظاهرا فباطنا وأنا أشهد الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها لغرض ذاتي أوعرضي وانها مرآة مافي قلوب المسلمين المخلصين الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل

أحد قراء المنار

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء بمصر: ماقول عالم الأمة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا السيد محمد رشيد رضا لازال كعبة للسائلين في رجل اشترى لولده أملاكا من أناس أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده فلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكاله أم لا وهل تعد إساءة بأخذها منه

عقوقا يعاقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدليل الشافي لازلتم نجما للمهتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وان اسماءاولا يعدون ذلك من العقوق الذي هو الايذاء الشديد عرفا والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد وانا نذكر أحسن ماقاله الفقهاء في ذلك ثم نتبعه النصيحة النافعة ان شاء الله تعالى . قال شيخ الاسلام السراج البلقيني في فتاواه كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

« مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج الى بسط الكلام عليها والى تفاريعها لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق الوالدين إذ الاحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود اذ الناس اغراضهم تحملهم على أن يجعلوا ماليس بعرف عرفا لاسيما اذا كان قصدهم تنقيص شخص أو اذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو أنه مثلا لو كان له على ابيه حق شرعي فاختار ان يرفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فهل يكون عقوقا أم لا (أجاب) هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الاكابر إنه يعسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتاح العليم أن يكون حسنا فأقول: العقوق لأحد الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من جملة الصغائر فينتقل بالنسبة الى أحد الوالدين الى الكبائر أو أن يخالف أمره أو نهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه مالم يتهم الوالد في ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس بفرض على الولد أو في غيبة طويلة فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقيعة في العرض لها وقع . وبيان هذا الضابط أن قولنا ان يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما مثاله لو شتم غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب الى الكبيرة فانه يكون المحرم المذكور اذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي مالو أخذ فلسا أو شيئا يسيرا من مال أحد والديه فانه لا يكون كبيرة وان كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراما لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ مالا كثيرا بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين.

«وخرج بقولنا «مالو فعله مع غير والديه كان محرماً» ما اذا طالب الوالدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فانه من النفائس. وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ماهو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لايجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطالب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتقد المنع وأقدم عليه كان كما لو طالب حبس من لايجوز حبسه من الأجانب لاعسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لايجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء.

«وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة

«وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان فى حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر»

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا. وقد بحث ابن حجر بعد إيراده هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذيا ليس بالهين عرفا وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملأ فلا يقوم له ولا يعبأ به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذ تأذياً عظيماً» . وقال الغزالي في الاحياء «وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وأن يسألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي

أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل ايذاء عقوقاً وانما العقوق هو الايذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بآداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امتثالا لأمر أحد والديه وان مخالفتهما في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتهما في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البر المحمول أن يؤثر سرورهما على سروره عند التعارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليمي الفطرة .

وههنا مسألة مهمة لابد من الالمام بها في هذا المقام لايضاح الحق في الواقعة المسئول عنها وهي ان كثيرا من الوالدين يستبدون في أولادهم استبدادا أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهم حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافيا للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لهما حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل ما يريدان وأن لا يكون له معهما ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علما وأجود رأيا وأكبر فضلا فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حداثته . يقع هذا من الأم قليلا ومن الأب كثيرا لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يغلب عليه الشعور بعزة سيادة الوالدية وعزة الغنى والرفعة جميعا ويلذ له أن يرى ولده مفتقرا اليه عاجزا عن الاستقلال بنفسه وذلك منتهى الجهل وفساد الفطرة وغاية الاسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من العجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يرثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم وبر بوتهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأنصار لان عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم. ومن التربية على الاستقلال ان يعطي الغني ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بثمرته تحت نظر الوالد وارشاده ولذلك فوائد كثيرة لامحل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل مايملكه ويمسك لنفسه مالا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لتمنوا موتي ليتمتعوا بما في يدي أما الآن فهم يحبونني ويتمنون ان تطول حياتي: وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا المحمد أغنى أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعقلهم وقد قسم جميع مايملك بيده وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الادارة والاستقلال، ويربيهم على العز والاستقلال،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ماقاله الأحنف بن قيس لمعاوية وناهيك بعقل الأحنف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال: ياأبا بحر ماتقول في الولد؟ قال ياأمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وان غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك،»

هذا وانما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل علي أن أفتي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفتى الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سببا في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد لعله يتم فضله على ولده بتسليمه مااشتراه له من قبل ليكون قرة عين له ومحبا لطول بقائه ومماتا على بره وشكره. وأنصح للولد أن يبالغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ماتقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال «رحم الله والداً أعان ولده على بره» فان هذا الحديث من الادعية التي ترشد الى الحكمة السامية وان كان في سنده

مقال . ورواه الفوقاني من رواية الشعبي مرسلا كما في شرح الاحياء والله الموفق

﴿السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان﴾

(س٣٢ من أمين أفندي محمد الشباسي في سواكن) انا مستخدمي حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج محتجة بأن الشرع الشريف لا يجيز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين اما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحصن فروجهن واما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساؤنا أم هن يعملن بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية الزام زوجته بالسفر معه فماذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفاكم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وان الانسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهبتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضاء النساء بالسفر مع أزواجهم هو فساد التربية وقلة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عسرا . نعم انها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفر أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا نبحث عن أحكامها في باب الفتوى لان غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والاحسان وان ما يسمع عنها أو يرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي بريئة منه

﴿رمي المسلم بالكفر﴾

(س٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي بسنغافوره

ما قول سادتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني ياخنزير ياكلب: ثم عقب بعد السب بقوله ماقدرك الا الضرب بالنعال وتكرر منه القول عمدا بحضور الجم الغفير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافرا مرتدا والعياذ بالله أم لا فان قلتم بكفره وردته لحديث «من قال لمسلم ياكافر فقد باء بها» فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلتم بعدم كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان جواب الثاني للبادئ مستندا للحديث « من قال لمسلم ياكافر فقد باء بها » الى آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو لله ورسوله ولا نصراني ولا يهودي: الى آخره أفتونا مأجورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نبزبه الا الاهانة وهو لا يكفر بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بلفظ « أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت اليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم: «هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه » ثم ذكرها وهي خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت نقيصته عليه يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين • ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به الى الكفر على حد قولهم المعاصي بريد الى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإما لأنه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام • أقول والذي حققه الغزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند العارفين أنه انما يكفر بذلك اذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الاسلام كفر وهو لا يقصد هذا الا اذا كان يعتقد بطلان دين الاسلام

باب التربية والتعليم

﴿ المكتوب التاسع من «اميل» الى أبيه ﴾

الاستقلال في العلم • فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية • الاعتماد على العقل دون الخطابة • حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦

غادرت مدينة بن ونقلت كتبي (وهي كل ما أملكه تقريبا) الى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبتها مطلقا أن ينتقلوا من احداها الى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات • على أن هذا التنقل يمكن الطلبة من الاختلاف الى دروس أنبغ الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية •

إني اخالني تعلمت كثيرا من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملته لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده اليه سريرته

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسورا أي ان كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له. ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختارا بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استحالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نواميس طبيعية

واذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن الحكومة مثلا لا تحيد عنها الامم حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافا للأولين أن الانسان نشأ متوحشا أي أنه كان قردا متقن الخلقة فمر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكانته في البرية بعد ان خلق نفسه — ان صح التعبير على هذا النحو — وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بدايا أوضاع لم تلبث أن باعدتها بتأثير الترقي الذي لا راد له فكما أن الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية.

واذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤوليها كانت كلها موحاة من الله فاذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية. وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أني مع بحثي في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسريرتي هذه هي السبيل التي صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضا وبعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطرا في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئا وأنه يجب علي أن

أتدرع بالاقدام وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات اقتناعي وأما البراهين الخطابية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أني أدرك بها ما لاحد له من العوالم فقد تبين لي انها شبيهة بتلك الاصداف التي يتناقلها الاطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين انهم يسمعون فيها اصطخاب البحر

على أني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالمًا فكل ما ينتهي اليه طمعي ينحصر في فهم حاجات العصر الذي أعيش فيه والاخذ بناصر الحق وهيهات ان أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فاني وان ولدت في بلاد أجنبية أجد فرنسا حيثما نظرت فانها تبدو لي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقابًا لرجل من رجالها على تغطرسه وتجبره. هذا الوطن الذي مارأيته في حياتي هو في نسبته الي أمي الثانية فلا يذكر الا ويقشعر جلدي لذكره ولا ينتقص إلا ويتبيغ دمي كله انتقامًا له وليس الذي يبهرني منه هو غزواته ووقائعه الحربية وانما هو تاريخ مكافحاته ووثباته الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكريه الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب بكتابه الذين يهيجون القلوب وهم لنور العلم يبثون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما في نفسي من الامل في خدمته يومًا ما تجدني مغتبطًا ومعتزًا بالانتساب اليك. اه

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجمها وحسن حروفها واننا نعتمد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها. وهو يطلب من طابعه في تلك المكتبة فجزاه الله خيرًا

آثار علمية أدبية

﴿ قصيدة حفني بك ناصف في قنا ﴾

حفني بك ناصف شهير بعلمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضيا في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في القسم بعرض المدح واظهار السخط بمظهر الرضا قال مخاطبا المستشار القضائي أو لناظر الحقانية

رقيتني حسا ومعنى　　فاصنعك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي　　من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة　　فيها غدوت أعز شأنا
أرد المشارع سابقا　　والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملو　　ك وكنت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به　　قدماك قلت حللت حصنا
جبل المقطم حوله　　متعطف كالنون حسنا
هيهات ان يصل العدو　　له ويدرك ما تمنى
أرأيت يوما مثله　　في القطر تحصينا وأمنا
النبت في غيطانه　　متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه　　في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والـ　　جميز كالبيض المحنى
والدوم فيه دائم　　يفني الزمان وليس يفنى
فخاره لهج الانا　　م بمدحه يسرى ويغنى

يكفي لترويج الاوا ني ان يقال(قنا) فقني
قالوا شخصت الى (قنا) يامرحبا بقنا و (أسنا)
قالوا سكنت السفح قا ت وحبذا بالسفح سكني
قالوا قنا حرٌّ فقلـ ت وهل يرد الحر قِنا
سرُّ الحياة حرارة لولاه ما طير تغنى
كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن تثنى
والحي بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
تتدفق الانهار من حر وتزجي الريح مزنا
ها قد أمنت البرد وا برداء والقلب اطمأنا
ووقيت أمراض الرطو بة واسترق الريح وهنا
ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
وأنام غير مدثر شيأ اذا ماالليل جنا
قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفا وثمنا
فالشمس تكفل راحتي فكأنها أمي وأختى
فاذا بدت لي حاجة في الغسل ألقى الماء سخنا
أو رمت طبخا أو علا ج الخبز ألقى الجو فرنا
سكنى القرى تدع السفيـه موكلا بالمال مضنى
أي الملاهي فيه يصـرف ماله ومتى وانى
كل امريء تلقاه من بعد الظهيرة مستكنا
ويرى الغريب السمر أيسـر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه لبنا ويلقى السمن سمنا
عش في الثرى رأسا ولا تسكن مع الاذناب مدنا
واربأ بنفسك أن ترى مسترئا في العيش جبنا
ودع الجزيرة والمها والجسر والظبي الاغنا
واسل الاغاني والغوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهيرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن احداهما منقولة عن الاخرى لانهما متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعتها . وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي الفاسي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لاتسلم من تحريف لايقف في طريق الاستفادة منها

طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر مايؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورقائق الاشعار وأن يبسط كثيرا من المسائل المهمة أو المشكلة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحديث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون . طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا وثمنها خمسون قرشا ويطلب من محل الحاج محمد الساسي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمذاني ﴾

مقامات البديع أشهر من نار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوبا فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدبين وأسلوب

الحريري ليس بعربي فهو لا يحتذى في الكتاب وان كان قد بلغ الغاية في اتقان الصنعة أو إتقان التكلف كما كان يقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الرافعي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعان على ذلك بشرح الاستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . وثمن النسخة منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمعت﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ما سمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فاذا هي لا تصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه واطلاعه فالغالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق عنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا ان منهم فذين ألمعيين عاملين على احيائها لأوشكت اللغة ان تقع فيما نخاف . وقال انه يعني بهذين الفذين الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمداً المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراهما بالألقاب . ونحن لا ننكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويبين ما فيها من الدخيل والغلط والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم العمدة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا نوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر احيائها في هذين العاملين فان في مصر وسوريا وغيرهما من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لاحياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو أرشد الاستاذ وغيره الى الخروج بالامة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل الاستاذ ومساعديه في المطبوعات والازهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي يطبع الآن

الديانة الاسلامية . للمكاتب الاميرية

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الأميرية (وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتاتيب . وقد نظرت في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والأحاديث والحكايات الأدبية وقصص الأنبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملا متفرقة فرأيت ماينتقد في كثير من الابواب . رأيته في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك مانهى عنه . وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين . و يعرّف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لايشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما منتقدان من وجوه أخرى فلايعذر فيهما كما لا يعذر بالاكتفاء في قسم الالهيات من العقائد بعدّ الصفات العشرين ونحو ذلك . وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذه من القصص المتداولة فعسى أن يعنى بتنقيح الكتاب عند طبعه مرة أخرى

ديوان الرافعي

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافعي من شعراء العصر المشهورين وله على حداثة سنه ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو سيسمي ما نثر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها بعبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بعبارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يهتد الى مراده . وسنبين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقريظ ما قبله فعرض الموصوف على القارئ أبلغ في التعريف من عرض وصفه . وثمن هـذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد وثمن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشا وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الاذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارىء تصوير الوفاء بأجمل صوره، وأكمل مظاهره، والصداقة في أبهى مرائيها، وأبدع مجاليها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيلبب منذ تعارفا الى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة المحتالين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الافكار الضارة ما لا تخلو القصص من مثله كذكر الخيانة والفسق والحيل . القصة أفرنجية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيد النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها وثمن الاجزاء الثلاثة عشرون قرشا

﴿ كرة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهرية) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها اسكندر دوماس الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهمي وقد بين بها المؤلف شيئا من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم وثمنها خمسة قروش

﴿ عذراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حقي وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العامية وثمن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من
المكاتب الشهيرة

﴿ الدين والادب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقزان (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان الباورودي) العالم الشهير بغيرته وبخدمته للاسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتتح كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما نفعل ويذكر فيه شيأ من الشمائل الشريفة ومباحث التربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة فنسأله تعالى أن ينجح عمله و يديم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير تحريرها أحمد (أفندي) شاكر» صدر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكتابة والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم نجد وقتا يتح لنا قراءة شيء منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها فنتمنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشئها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة والدة عباس باشا الاول» صدر العدد الاول منها في أول اكتوبر (١٣ شعبان) ولم يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لأعتابه . فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزعج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤون الاصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق التعليم في الجامع الاعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابته في ذلك أزعجت القوم الى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الامة ويكشف ماغشيها من الغمة

باب الاخبار والآراء

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون الى قسمين فنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضا أو أصابوا ذنبا ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم، وأنابوا الى ربهم ، ومسلمون جنسيون أو جغرافيون وهم أصناف نخص بالذكر منهم الذين لايعرفون حقيقة الاسلام ولا يذعنون لما عرفوه منه فهم لايصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يجتنبون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي ولكنهم يتعصبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل لايدخرون في ذلك وسعاً لاسيما اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة عند الحكام . وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن السامعون أو القارئون لكلامه أنه من أقوى الناس إيمانا وأصدقهم اسلاما وهؤلاء جديرون بأن يسموا بالمسلمين السياسيين واليهم نوجه الكلام فنقول :

اذا كنتم لاتتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لابد من المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفترون أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية والشعائر الملية . ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر مايزول من

مقوّمات الأمم وحوافظ وجودها فاذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام فتفطرون في رمضان جهراً تدخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فماذا أبقيتم من المقومات لهذه الجنسية السياسية . ان كنتم تظنون أن وضع (الفقي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فاننا نقطع بأن هذا الظن من الاثم ، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم ، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو مؤد الى غايتكم السياسية ، فان رأيتم بعد التفكر — ولا بد أن تروا — أنه غير مؤد الى هذه الغاية فارجعوا عنه ، الى ما يتبين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسيتهم الدينية ملوكهم وأمراءهم ولكن الملوك والامراء لا يتركون الشعائر الملية المعلومة من الدين بالضرورة جهاراً بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال بليالي المولد والمعراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان يسر فطره ويرائي بالصيام . فهذه المجاهرة بالفطر في نهار رمضان ممن لهم مكانة في الامة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الأمة لا جنسية لها في غير دينها فاذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب ، وهل تمهلها الأمم القوية لتجد هذه الرابطة — اذا أمكن — في زمن بعيد ؟؟؟

أما الذين لا يصومون من الغوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤن واذا قرؤا لا يفهمون واذا فهموا لا يعتبرون « أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »

لا تقل ان المنار ما زال ينكر كون الاسلام جنسية و يقول ان اتخاذه جنسية لا ينجي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية و يأمر المسلمين سياسة أن يزاولوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن : ان تقل هذا أجبك ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة معا وانما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شعائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهرا و باطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهرا و باطناً كان بهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة و يجرئهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصرا عليه واياه نعظ بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنتفي به فتنته ان يحافظ على الشعائر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرة - وهذا قسم ثالث.

و بقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بعقائده و يتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشعائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاستطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر و يدعون أن من الدليل على صحة اسلامهم غيرتهم على الدين وأهله و يقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهر ومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه. هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحدا يوقن بعقائد الدين و يتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشعائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لاعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بعقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لعملوا به. أما هذه الغيرة التي يدعونها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواه بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يغار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يغار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أومن الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الا الرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شعائرها ومقوماتها الملية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشعائر الظاهرة دون الباطنة كآداب النفس والغيرة الصحيحة التي تبعث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الامة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المتدين منهم وغير

المتدين في حنق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا أثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاتهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيامهم وان لم يعدهم للتقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الامة و بين الترقي في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أيدي سبا فنالت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولو طالت حياته لرجي — وقد عرف قدره — ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء والعامة

لا خلاف بين العقلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أحوج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يغني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء متفقون على أن ترك العامة والنساء الدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوربا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حملوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفطن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهتك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شراً عليها من كل ما يعده المتحذلقون شراً اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليعنوا بتربيتها وتعليمها و يلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الاستاذ الامام الذي كان عازما على انشائها في الشتاء الماضي بل كان يتمخض في الخفاء ونعد له عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الغمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هنالك سعيا يرجى وينتظر

أرسل الينا هذا الاريحي الفاضل — كما أرسل الى جميع الصحف العربية — رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وانه «بادر الى الاكتتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بجنس أو دين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه. وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعد له عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرحنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير وتجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الازهر ومشيخته﴾

كثر الخوض منذ سنة في الازهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمحاباة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدراهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المغاضبة والمناصبة ومما اشيع أن المفتي شكا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال وانه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيلا للازهر تمهيدا لجعله أصيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه نافعا من الكلام عن الازهر في الجزء الآتي

﴿تنبيه﴾

ضاق هذا الجزء عن تتمة التفسير وعن الرد على الشيخ بخيت وعلى الدكتور صروف جليوث

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر — رمضان سنة ١٣٢٤ — أوله الجمعة ١٩ اكتوبر (ايلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

(نشرت في العدد الثالث من العروة الوثقى بالعنوان الآتي) (١)

سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مدبريها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بأن لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل

وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشقت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منعقداً وانفصمت عرى التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي الملتحمين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المنار ونعيد نشرها الآن لما فيها من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخيله الناظر اليه صحوا وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بآمال اولئك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة البهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر الحق في خيال احدهم او استفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفا او يعيد لها مجدا عده هوسا وهذيانا اصيب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية وحسب أنه لو أجاب داعي الذمة لعاد عليه بالوبال وأورده موارد الهلكة او لصار من اقرب الاسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالا من اليأس فتغل يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما اتى اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيما على ما أورثوه لاعقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حدا يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيرا من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء ؟ بلى وا أسفا ما أصعب الداء وما اعز الدواء . وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق الا لأن كلا عكف على شأنه . . . استغفر الله ، لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه اتصالا به ولكنه صرف الشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما التفت كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زمانا غير قصير الى ماليس من مباليها ؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في سلوك سواه خصوصا بعد ما استدبر المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة من المطلوب ؟ كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبتهج بأحلامه وفي اذنه وقر وفي ملامسه خدر ؟ هل من صيحة تقرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تتباعد أنحاؤها وتتنادى أطرافها وتتباين عاداتها وطباعها؟ هل من نبأة تجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعدما ترى كم جهل وران غين وخبل للمقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعر؟ أيم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير . هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والعوارض التى طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيمها في طور من أطوار العمر ثم لا تظهر الا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها .

كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل وافرة العدد؟ لهذا يندر في أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين . وكان المتطبب القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اعتلالها ووجوه العلة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المنزلتين فان أخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء . فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجرأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في أداء هذا الامر العظيم علما أو عملا . نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش في ظل وغائف ليسوا من حقوقها في شيء

ظن أقوام في هذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل انهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الا انجاح الامم مع التنزه عن الاغراض فبعد ماعم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكاتبون لا نجد لها قارئا ولئن وجدت القاريء فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل مايجده على غير مايراد منه لضيق في التصور أوميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافاً . على ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع مافيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقك امر يرزء

و يظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلادها الى مادون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوربا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتى عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد مايظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ماتكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجني ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائبا عن سلطته في تنفيذ ماأراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف وداوئه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تفني ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات واقناهم على الامكان لولا مايكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سبيلا لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . على أنا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيأ فشيأ فها يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان مايصيبه البعض منها يصبوه الكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجبا كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت و بأي ماء سقيت و بأي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهرا من القول لانبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوّم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم. لعل الاقرب ان نافلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ماينعكس اليوم من الاوهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طباعها الا فسادا .

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام الا من الكبير و بالعكس غير ناظرين الا الى صور ماتعلموه ولا مفكرين في استعداد من يعرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيدها على ما بها أضعافا وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقلة وحملة . فهؤلاء الصادقون الا من وقعه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتعيض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحللة يشتتون هيئة الجمع و يبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المغرورون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الاخيرا ان كانوا مخلصين او يسمون بذلك الخصاص (الخرق فى باب ونحوه) حتى تعود ابوابا او يباعدون ما بين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم الاصدقاء وعنوان المصلحين ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال و بئس المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد و بعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا اليهم مايحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل مايسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن البلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم . هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور؟ هل نالوا بها من المنعة مايدفع عنهم غارة الأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا يميل عزائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شاكلتها كما كان في كثير من الامم؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفيهقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها و يصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لاتعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني والمساكن و بدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فنسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمد أثره فأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ماتستدعيه تلك العلوم

الجديدة والـكمالات الجديدة لأن مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الالأن تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها ...

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المنتحلين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشمم أونزوع الى معالي الهمم انصبوا عليه وأرغموا من أنفه حتى يمحى أثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطانهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .

أقول ولا أخشى لوما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضا لأية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد ؟ أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات ؟ أي قصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخامدة ؟ أي نفخة تبعث هذه

الأرواح في أجسادها ، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها ؟ الاقطار فسيحة الجوانب ، بعيدة المناكب : المواصلات عسرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي ، الرؤوس مطرقة الى ماتحت القدم أو منفضة الى مافوق السماء ، ليس للابصار جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأسماع إصغاء ولا للنفوس رغبات وللاهواء تحكم وللوساوس سلطان ..... ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير ؟ ماذا يحاولون ولا خطار محدقة بهم ؟ بأي سبب يتمسكون ورسل المنايا على أبوابهم ؟

لا أطيل عليك بحثا ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهض همم آحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهريا وحدوث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أتى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجابا بين الامة وبين الحق الذي تشعر بندائه أحيانا بين جوانحها ... فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران

الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤنهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني .... ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا نحساً، ولا يكسبها الا تعساً، هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الاصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشئ للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية؟ ان عجبت فان عجبي من عجبك أشد. هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات وأتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها ....

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة انما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا وبعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسوافلها ثم بعد ما مضى زمان من نشأتها أصابها من الانحطاط ما أصابها. فبيان أسباب الخلل فيها وعلاته نفرد له فصلا مستقلا في عدد آخر ان شاء الله وهو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين ، في نصيحة السلاطين ﴾

(تابع لما في الجزء السابع وما قبله)

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم — من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله أنه مابقي من اخواني وأخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال ياعباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رآني قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد

فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شئ مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم — من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما ياهارون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غداً اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيآت غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام »

قال عباد فألقى الي الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لاحاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأبي من كان على باب الخليفة ثم استوءذن لي فلما دخلت عليه و بصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه و يدعو بالويل والحزن و يقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللملك يزول عني سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تحدر من عينيه و يقرأ و يشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فأنه عليه يحاسب و به يجازى والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به اذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار: قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فيجري عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني قال فأسبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة المأمون)

وعن أحمد بن ابراهيم المقري قال كان أبو الحسن النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج اليه، وكان اذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار «لطف». فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان؟ قال وايش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر المعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تعطيني ذلك المدرى فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدرى في يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكرا في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني فقلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أي الحاكم المولى من الخليفة وهو كالمحافظ في مصر (٣) المحتسب هو من يزيل المنكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بغض الي التغيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المتضد ماحاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المتضد ثم رجع الى بغداد

فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم و رضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضاعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين ٠ ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ماتقرأ في المقال الآتي ولكننا نقول ان الزمان لايخلو من العلماء المخلصين وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والعياذ بالله تعالى

﴿ الجامع الازهر – مشيخته وادارته ﴾

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه : ما كانت مشيخة الازهر في زمن من الأزمان عرضة التغيير والتبديل من الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات في بضع سنين – عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الامير للشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض اراداته وولى مكانه السيد عليا الببلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الاستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الادارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الامير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم الحكومة من الازهر شيئان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عزمت الحكومة على انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الازهر مع حرصه على اصلاحه وأجبنا عن ذلك بالاشارة الى الشغب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فان بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الامير كانوا يحرضون مدرسي الازهر على الشكوى من شيخ الازهر ومجلس الادارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذه من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الأكثرين أن الغرض من ذلك أن يستقيل شيخ الازهر والمفتي « رحمهما الله » وأن الامير هو الذي يريد ذلك . وأكد ذلك ما نشر لذلك العهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرهما من الجرائد التي تخدم « المية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب الجوائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الازهر وصفه بأوصاف فهم الناس منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشربيني الذي كان بعض بطانة الامير يحاولون اقناعه

بقبول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقيل منها لما اتخذ لذلك من الاسباب الملحقة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشربيني شيخاً للازهر واحتفل بالباسه الخلعة بحضرة الامير ألقى الامير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيداً لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما يهم الامير وحكومته من الازهر أن يكون في أمان وهدو و بعد عن الشغب والقلاقل وأن يظل مدرسة دينية كما كان وربما كانوا يظنون أن سكون الازهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخهم عن الامير واخلاصهم له هو مما يتجه جعل الشربيني شيخاً للازهر لانه في مقدمة العلماء الازهريين الذين يرون وجوب بقاء الازهر على حاله التي كان عليها في زمن تعلمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة العلوم والفنون فيه ولكن جاء الامر على نقيض ما كان يظن أولئك الظانون فاستاء محبو الاصلاح من أهل الازهر لترك الاستاذ الامام لادارته كما استاء عقلاء المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة العتيقة فقد رأيناهم على عهد الشيخ الشربيني اشتد استياء من ادارة الازهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا الى ذلك في العدد الماضي وكثر في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى من حال الازهر والطعن في علمائه حتى ان بعض الافندية كتب في بعض الجرائد اليومية يقول في بيان جهل علماء الازهر بالدين وفقد الثقة بهم ما معناه ان الناس لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرابيش وفي ذلك هضم لغير الازهريين من حملة العمائم كاساتذة المدارس الاميرية وغيرهم

هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها الينا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتذرنا به عن علماء الازهر تعقيبا على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية وهي التي أظهر فيها استياءه واستياء مسلمي الهند من ترك الاستاذ الامام للازهر وطعن فيها بعلمائه طعنا شديداً فلم ننشرها في ذلك الوقت لمانع زال فنحن ننشرها الان وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - واياه نعبد واياه نستعين

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دمتم بالعز والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لااله الا هو وأصلي على نبيه النبي الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الهاميم . وبعد فانا قد سررنا وتنشطنا بحسن صنيعكم الينا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء الازهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة الغراء التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سرني أيضا ما قد استتبعتم ذلك بانتقادكم الحافل البديع عقيب هذه الرسالة تحامون فيه عن علماء الازهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي ارتآها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو ان تعفوا عني مما قد تجاسرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما أحسب مما ليطمئن به بال احد او ان يفند به ما قد رآه اكثر أهل النظر في هؤلاء العلماء من انهم لا يحبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والتطريق في المدارس والكليات ولا واحد عندي يقلع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب فقد علمت ياسيدي ان تعسف علماء الأزهر وتعصبهم للعلوم الخلقة البالية وخلافهم للاصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد شحنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم لا يجوزون العدول بيسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس في الجامع الازهر ويتحرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم العالية الافرنجية وما هي فيه من المنهاج الجديد في أرض أوروبا أفحسبت ياسيدي ان الذين لا يزالون يقرؤون ويتلون الجرائد المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الغراء ليلا ونهارا أفتراهم يقلعون عن رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفدتم بنفسكم بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وان اصلاح طريقة التعلم خروج عن صراط السلف المستقيم أفترى أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشيء عن قلوبهم مما كان عندهم من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة وحاشاهم عن ذلك

فأما أنتم فلعمري لم تألوا جهدا في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأتيتم في بيان ذلك بحجتين وكلتاهما تنتقد عليهما وننظر في وزنهما ورجعهما على مناهج أصحاب النظر أما الحجة الاولى فقولكم ان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية وغيرها الخ وأما الاخرى فقولكم ولا يطعنون بدين أكابر امرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر واوروبا الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعا ولا يحامي أو يذب عنهم بشيء فقد عرفتم ما هو من دينهم علماء هذا العصر انهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي الشيرازي وهو من معاريف الشعراء ومشاهير أهل النظم — قال :

ترك دنيا بمردم آموزند خويشتن سيم وغله اندوزند

يعني بذلك انهم يعلمون الناس ويحضونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم بأنفسهم يكنزون الفضة ويحتكرون الطعام لانفسهم(*) ومن دينهم أيضا ان لا يطعنوا بشيء على الامراء والولاة كيلا يحرموا من صلاتهم ولا ييأسوا من استجلاب خيرهم ومبراتهم بل وانا تراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشنعون بشيء على افاعيلهم ويشاركونهم في الاحداث الفظيعة التي يأتون بها في الدين فتراهم لا ينكرون عليها بل يعاضدونهم بموافقتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي ء فمشايخ الازهر يعرفون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتعظيما ثم انهم يشاركون العامة في هذه الاعياد

(*) قال الشاعر العربي (وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لها ثعل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهي عنها أئمتهم في الفقه ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا للازهر قائلا انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن » وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة « وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفا للسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجها في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون »

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والف ظلم لعلماء الازهر ان يقال فيهم انهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وانهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين » الى آخره

وقد سلف منا مرارا انا قد رأينا في الجوائب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين يجله كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله ويعدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة » فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول لمدير الجوائب ما ملك ألفاظه « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الائمة الاربعة رضوان الله عليهم ..... وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له » ولما راجعه المدير واستحفاه بالسؤال قائلا « هل حدث يا مولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطلوبة منه فتبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين وتطفئ نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره » وتجاهر في آخر كلامه متظاهرا قائلا « ان الازهر انما وجد لحفظ الدين ونشر علومه ليس الا وليتركوه كما هو حصن الدين وان أرادوا به اصلاحاً فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهر على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فلتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وانا نرى هؤلاء العلماء قد ثار وا وشغبوا الناس وأثار وا في اصلاح الازهر بما اضطر الخديوي الى اخماد الفتنة وخاطب شيخ الجامع الازهر قائلا « ان الجامع الازهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية..

ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الازهر والازهريين دائما » ولما كان يقال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائدا في الازهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماؤه وطلبته ألا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيغ العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والاوهام أو الايهام بالاقوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الازهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده و يبث فيها مايريد من الاقوال والآراء المغايرة للدين ولمصلحة الازهر والازهريين »(١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال و يعرفها حق المعرفة ثم يرتاب في أن هؤلاء العلماء ا كثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ويحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة لنور الاسلام ولعمري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الازهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة و بركة للمسلمين مركزا للنكبة وموطنا للمذلة ومعقلا للمسترقة وموضعا للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التي تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المقلدة من العلماء علوما دينية ولا تجد فيها الا تلقين نبذ من المسائل التي تشمئز منها العقول وتمج قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستنير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالاجنبي هنا صاحب المنار

يتسع بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بذمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همتهم في ان يحمل الناس على مناهج يعتقدون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تنفعهم بشيء اما في الدنيا أو في الدين هذا شيء من حالهم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومناهج تدريسهم ونظم الامور فيه فامره اشهر من ان يذكر وابين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدراباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلتكم المنار وبعد ذلك فهل تحسبون انا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضعهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تآليفهم وكتبهم واسفارهم وزبرهم التي كانوا يملونها لنشر تلك العلوم ويخاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنست نارا في وادي هذه الفنون آتيكم منها بخبر أو قبس لعلكم تصطلون » أوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطي على عمر الابهري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرؤنه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الابهري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بعيون الفاظه

اولم يعثر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا أكيداً في كثير من الآيات وكتب في

آخر ذلك ماتلك عيون الفاظه . ه وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى . . . ه او لم يدر هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه افاضل عصمة الله في التصريح شرح التشريح — لشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو عنين في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حق التفسير لاسراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبر به مفصلا الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيش القرشي التيمي في بعض مقاطيع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن النقالة فليرجع اليه

هذا وانه لن يذهب عنا الاسف والكمد الذي نجده في انفسنا من جهة قضية الخديوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا العصر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرابه الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيغ عن الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفطرة حذو القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعليمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قهر الذل وغاية الهوان والصغار التي ألقوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبح به منظره وساءت بذلك هيئته وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارتقاء في معارج العز والاعتلاء فأما نحن فلسنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفئة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ومجلبة له

عن عقر داره ومحله وقراره ،

او ليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء ويتصارخ لها الاولياء بالعويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكمت على المسلمين سحائب الذل والهوان ، وجللتهم غياهب العدم من كل جانب ومكان ، اي نقطة في الوجود من نقاط الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الاكباد وتجود لها المحاجر والاماق بانهار الدماء السائلات ، وتنسكب لها ثاني الامطار من المقل الناثرات ، خرجت الممالك من ايمانهم ، واضمحلت الدول التي بقيت في ايديهم كانهم لاحراك بهم وصاروا في العالم كانهم الهبة تداولها ايدي الاجانب وتتلاعب بها اكف الاباعد ، بماخرجوا عن املاك الاقارب لايحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصنعة بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستقبحون شكلها ومنظرها ويستفظعون محلها ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقير وجلب كل ماعون يسير من أرض أوربا يستجلبون الفرش والسرج للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا ينتفعون من ذلك شيئا بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا صولة ، وما بقي عندهم امرة ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا يبلغون الى الف مليون نفس في العالم فهم بعد ليسوا في قطر من اقطار الدنيا ممن يفتخر هنالك بوجودهم ولا ممن يتفاخر بهم على لسان وليهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوهم اذا كان يرمق الى عددهم وافرادهم . فماذا يكون من السبب الاصيل في ذلك وبيد من رهنت ذمة هذه الامور والذي احسب ان جل السبب في ذلك ليس الا نفارهم عن العلوم الحديثة وتعاميهم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء الذين يذرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الذل والصغار ومن ثم تراهم يرعون عن التعاليم النافعة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الا من جهة توغلهم في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الى تناغيهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك اوربا وانظر الى هذه الامة الحقيرة التي يقال لها أمة جابان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تنيف على عدة سنين ولا تمد الا على انامل الآدميين ارتقاء مبهرا ابهرت الانظار، وخطفت لها النواظر والابصار، فليس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقرها الامم المتمدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادهشت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فماذا الذي قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم؟ ماذلك الا من اجل تناغيها في العلوم والحكم والازهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقائها ومتوالها وانما الاسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي أورثتهم الارتفاع واورثتنا الانحطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستحيون مما هم فيه ولكان كل واحد منهم مثلكم ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا ولكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الارض برحبها وينور العالم الاسلامي بسعته كلها بمشعلة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العلام

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبذ من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفاس والحيض يعنون بها التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكمال الربح في الاخلاق والمدنية وعلمانا الاصول التي بها نهتدي الى تحصيل تلك العوائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

بأمرها . ولو كان علماء الازهر مشاركين في آرائهم لمثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون بنظر الامعان في امضا آتكم البديعة الرشيقة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدنيوية والعوائد الملية والقومية وهو الذي اتخذ العلم واتمقل عين الايمان والدين ونفسهما في الاصل ولولم يكن الازهريون يظنون ظنا باطلا ان العلوم الدينية بأمرها منحصرة في الفقه ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يعتد ولا يعبأ بها وأ كثر هذه المطالب ليست بجديرة للعمل في هذه الاعصر والدهور ولو عرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر وتضييع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حجي وهم يزعمون ان الولوع بها مما يشيد بناء الدين المروي الطلبة الازهريون كما هم اليوم في غايتهم من الذل والهوان ونهايتهم من الصغار والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية لكانت كلية كيمبردج وآكسفورد نحسد الازهر وتغبطها غبطة ما كان يجحدها احد ولتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه الاعصر والازمان

هذا رأيي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على اخبارها والمام بتواريخها واني لقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني ان العلماء هم العلة الاصيلة لكل هذا الصغار والهوان وتمام تلك النكبة والخذلان وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومسئولون من لدنه فليستعدوا للجواب فهم الاصل الاصيل لجل هذه المفاسد وكل تلك الشنائع وانت يا اخي لا تستطيع وان جهدت كل جهدك للمحاماة عن علماء الازهر أن تغسل هذا العار عنهم وتدفع هذه التهمة والنقيصة منهم فانك لا تستطيع ان تكذب الحس والعيان ولا ان تدفع الوقائع التي حدثت في الدهور والازمان افهذه الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها مليون بل اضعاف مليون طالبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة أفيحق ان يكون نهج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صعاليك الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالذلة وعشاءهم بالمسكنة ويبيتون وهم مخذولون بالمسغبة أو يجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج

منها أناس يرتفع بهم منار الدين ويتقد به نار الاسلام و يعلو قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون الى مراتب الصعود والارتقاء ويزيدهم عزة و بهاء و يهيئ لهم ذرائع الاصطفاء والاعتلاء. وانما يحزننا أولا انا نجد المسلمين في أي مصر واية قطعة من قطاع الارض كانوا بأسرهم ذاهلين عن استجلاب العلوم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير مكترثين بها وثانيا انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ومراتب الاكتساب متسعة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيع فيه الاعمار و يضاع فيها الفضة والنضار، و يصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل العاطل العتيق الذي لاينبعث المسلمون به للنهضة و ينسلب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم الخاوية و يبغض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلحوا على أن يسموه تعليما دينيا وعلى أن يسموا الرجل العارف بمسائل شتى من الطلاق والرقية والنفاس والحيض رجلا عالما ولا غير

هذا واني لست مسهب مقالي في هذا الشان ولا مطنب في شكايتي من علماء الزمان نظرا الى ما حوت مجلتكم الباهرة الغراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤنهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها و بمعزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فان الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وفقدان نفعها للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء. وانما بثي وحزني على ذلك من جهة ان الازهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الاعصر والاعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المفاسد الملية والمدنية في الاسلام ولا غير ولو قبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده و بادروها بالقبول لكنا نأمل منه خروج المسلمين من غيابة الذل والنكبة وترقب صعودهم الى أعلى قنن الفوز والسعادة ولكن عليكم بعد ان لاتيأسوا من روح الله وتجدوا كل الجد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين ،

وكتب يوم الخميس ٢٥ خلون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفي الوفي

(محسن الملك)

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ بخيت — تابع لما في الجزء السادس

المسائل الدينية

﴿ المسألة الأولى متن الحديث ﴾ نص حديث جابر عند ابن ماجه أورده الشيخ بخيت محرفاً فأشرنا الى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الاشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي «الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارته عند روايه (ابن ماجه) وهي «إلا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله بسلطان معناه بسلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالاشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ماقلناه وان كان حقاً رجع الى الكتب التي من شأنها ان تذكر هذا الحديث وكتب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانصه (ص ٣٢)

« ونقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الومبض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزوناه في الرسالة اليه وقد ذكره في كنز العمال مطولا ونسبه للبيهقي وفيه ألفاظ لا توجد في البرق وجاء في آخره : ألا لا تؤمن امرأة رجلا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في منتقى الاخبار باللفظ الذي ذكره المعترض ولعله قصوره قصر الرواية عليه » اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة ان الحديث ذكر في المهذب وشرح الاقناع قال «وذكره ابن ماجه في سننه مطولا » وذكر آخره عنه وفيه « الا أن يقهره بسلطان » ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أوردوه في كتبهم واستنبط من ذلك أن « كل من احتج به في موضع اقتصر منه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنعه أحد ولا ضرر في اختلاف الالفاظ مع اتحاد المعنى

ألا ترى ان ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومنتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراض على الناس يعمي ويصم نعوذ بالله من ذلك » اه

أقول قد أخطأ الشيخ بخيت في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لافي الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وليست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه مالم يروه ولا يخرجه من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عزا حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر من عبارته في رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانصه : « ومما يدل على انه لا يشترط السلطان الذي يقلد القضاة ويأذن بالجمعة ان يكون مسلما بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال » وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال في ابتداء كلام هكذا:

« ولذا قال في النهاية وغيرها ويجوز التقلد من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر في الملتقط والاسلام ليس شرط فيه أي في السلطان الذي يقلد اه كلامها »

ثم ابتدأ كلاما جديدا هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض : فهل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟ ؟ كلا بل هو يغالط أو يكتب مالا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها ويوثق بها فاحتجاجه بنقله لحديث ابن ماجه لاقيمة له . ولعل اقتصاره على نقل الحديث عنه أدل على قلة الاطلاع — ولا نقول على الجهل بالحديث وكتبه — من اقتصارنا على عبارة منتقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المعروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كنز العمال نسب حديثه المطول الى البيهقي يفهم منه انه لم

يعزه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب أنه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا تقول ان الشيخ بخيتا لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه»

(خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تحصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواة له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كما في كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كما في السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البختري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي انا يزيد ابن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتي أو بعدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له ألا ولا حج له الا ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اه قول البيهقي

أقول ومنه نعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث وبين جرح راويه ليعلم أنه لا يحتج به . ومن نص متن البيهقي الموافق لنص متن ابن ماجه في قوله « الا أن يقهره بسلطان » تعلم أن ما في كنز العمال من النقل عنهما محرف

وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وانما حديثه خاص بفرضية الجمعة ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يعد طريقا ليقوى به الحديث فما هذا الغش والتلبيس

﴿ المسألة الثالثة — سند الحديث ﴾

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في تلك العجالة في كون الحديث منكرا أو موضوعا لقول البخاري في راويه التيمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم انا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني ان الحديث منكر أو موضوع كما اجترأ عليه المعترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس متن الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم نتبعه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قيل في رجاله واحدا واحدا ثم قال (ص ٣٨)

« ومما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لا طعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد العدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله العدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وان علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحمادان وخلق وكفى بذلك توثيقا وتعديلا وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب ومسلم في صحيحه وان قرن معه غيره وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فغاية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المطعون فيه . وضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الا اذا عارضه ما هو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فان المنكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو مالم يروه أصحاب السنن والمسانيد والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كمسند أحمد ومعجم الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اه »

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لمتأخري المحدثين واعتمد قول التقريب بالتفصيل فيه كالشاذ قال « وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بخيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم الحديث ولا بوجه الالمام وانما يراجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان يوافق غرضه واما انه يحرّف الكلم عن مواضعه ويدلس و . . . عامدا عالما والاول هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما ترى من أنواع الخطأ وهي

« ١ » جعل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن نمير عدلا لا طعن فيه وقد قال الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقه غير ابن حبان وقد نسب بعضهم ابن حبان الى التساهل في التعديل وقالوا انه واسع الخطو في باب التوثيق يوثق كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للسيوطي وفتح المغيث للسخاوي تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يجعل الحسن صحيحا وانه كان يوثق من لم يطعن فيه أحد . ولم يعتد الذهبي قول أبي حاتم فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب حديثه وينظر فيه » أي يكتب لاجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه ثقة كمحمد ابن عبد الله بن نمير الذي روى عنه الشيخان ؟؟

« ٢ » قوله ان الطعن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقري المؤرخ صاحب نفح الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتعديل وقوله هذا لا يعتد به فان الجرح المفسر مقدم على التعديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بخيت عن الشوكاني

وعن ابن لباب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قال فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لايدري الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قال وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فاذا أجللناه عن الكذب فهل نجله عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن لباب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لايدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بخيت من مسألة الفرارة والجواب الذي نقله عن المقري فيها ليس بشيء . فان الذين يقولون بالاجازة لايعدون من أجيز بقراءة من الكتب (أي جولق) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويا لها ضابطا لما فيها بحيث يحتج بمتابعته في تقوية منكر الحديث . فليت شعري هل فهم الشيخ بخيت هذا فأغمض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقا مردود بأن رواية من ذكر عنه لاتدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لايحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عيينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كان يحيى القطان يتقي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ماقيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتعجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج برواياتهم وكأن الشيخ بخيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن محوت العامة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فانهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لاتقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا الجرح مراتب ليس

فيها شيء من قبيل ألقاب السباب الا لفظ الكذب هو يذكره الجمهور للضرورة ومنهم من يتنزه عنه كالبخاري وقلما يصرحون بفسق الفاسق وكل ما قلنا عنهم من ألفاظ الجرح في رواة هذا الحديث معناه ان المجروح ليس عدلا اذ الجرح يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيده شيئا في تقوية سنده وجعله مما يحتج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن عمير منهم وحسبهم أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال فيه ذلك لا تحل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت ان من لا تحل الرواية عنه ثقة عدل يحتج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد

(٦) قوله انهم لم يتفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان يشترط في الاعتداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن متن الحديث منكر : لا يفيده بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله إن ضعف الرواة لحديث لا يسقط الاحتجاج به ولن يصح فان كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتج به على القول بأنه بمعنى الشاذ وهو ما نعتمده وان كان غير معتمد في نفسه وأما المعتمد من أقوال كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في كون الراوي قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه ثقة والمنكر بكون راويه ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وأما توهم من توهم ان الشاذ والمنكر واحد من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وأما قلنا في تلك المجالة ان الحديث منكر أو موضوع بناء على انفراد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتداد بمتابعة عبد الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد نصوا على أن التميمي هذا

لا يتابع واذا تفرد منكر الحديث أومن يضعه بحديث كان متن الحديث منكرا أو موضوعا. فاذا أثبت الشيخ بخيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذاك خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟

آية من آيات دقة الشيخ بخيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري مانصه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ماسنبينه فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الا لتام المعرفة تام الورع اه فقول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا المتن موضوع ولو كان موضوعا مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المتن واهيا قال الحافظ عبد الحي الفاسي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستئناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضعيفين يغلبان قويا »اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروالا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطة لعدالته مانعة من الاحتجاج بحديثه . ومن دقيق علمه انه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا اذ جعل الاول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه يستحي منها واذا علم ان تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المعلم اذ لا أظن انه يخفى عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لاتحل الرواية عنه أو هذه أشد واما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القارئ من هو الحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي الذى يقتبس الشيخ بخيت من علمه بالحديث و يحتج بقوله ورأيه ؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذى مر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسلة رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ بخيت حافظا ليحتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث

وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ بخيتا ادعى انه لم يطعن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروي من عدة طرق يقوي بعضها بعضا وان الاعلام رووه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتميمي عليه معتبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

اصول الاسلام

﴿ الكتاب ، السنة ، الاجماع ، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي

الى الدكتور النطاسي محمد توفيق أفندي صدقي

بعد انه نحمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجتبى ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا مقالتك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشدت من العلماء من يساجلك القول ويبادلك الحجة حتى ينتهي البحث الى الحق الذى لاشبهة فيه فاذا كنت مصيبا تابعك وأيدك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظرك ان شاء الله تعالى بما لاترى فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى نبلغ منزلة الحق الذى ننشده جميعا فاما تهدّيا الى وفاق، والا فقد بلغ أحدنا من مناظره عذراً، وكثيرا ما ابتدأت

المناظرة بالمهاترة وانتهت بتلاحٍ، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نسأل الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء

اعلم وفقنا الله واياك ان أصول الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك تتخذه وحده التكأة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنافح عن نفسك فيما ذهبت بها

واما السنة فلاننا نثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبيين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم يبسط لها بالبيان، ومثله . (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لاكتفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التعليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شيء آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وطاعة الله لاشك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان ثمت داع للتكرار، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحل الرسول والتحرج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو اشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ماجاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بأن كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، انما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بامره بعد ان قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً)و بتخويف المخالفين لامره والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لامر الكتاب الصريح

وقد استدللت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شئ) وعلى تسليم ان المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فان أردت ان القرآن لم يفرط في شئ من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع ان نوافقك على هذا احتراما لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فان القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الا يسيرا ، وان أردت ان الكتاب لم يفرط في شئ من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فان القرآن لم الفرط في شئ من كليات الشريعة وأنت خبير بان ذكرها مجملة ليس كافيا في استنباط المجتهد مايقوم به العبادة و يحرر المعاملة ، على انا نقول ان القرآن لم يفرط في شئ من كليات الشريعة وجزئياتها فان مالم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة، واما باتباع مابينه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و نها من الله قطعاً ﴾

لايحسبك تخالف في ان الرسول معصوم ، وان كل مايجري على لسانه أو أو يبدو من عمله انما هو بالوحي السماوي أو الالهام الآلهي الصادق ، وما كان الرسول أن يشرع شرعا يتعبد الناس به من عند نفسه(وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى)فامر الرسول لايختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم، فلا مجال ثمت لسؤال بأنه — هل يفرض علينا الرسول فرضا لم يفرضه الكتاب فان الكتاب والرسول لايفرضان شيئاً(ليس لك من الامر شئ)وانما الذي يفرض هو الله الحكيم ومظهر هذا الفرض اما ان يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتهما الأمرا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)الآية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة الينا في نقل حكم الله العظيم قرآنا كان أو غير قرآن ، والقول «نعوذ بالله» بعدم حجية الرسول قول بالاولى بعدم حجية الكتاب فاننا لم نأخذ الكتاب الا منه ، ولم نلقفه الا عنه ، وهو أمين الله على وحيه ، وبعيثه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب — لاشك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقه الذي اتصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدإ الى الآن منعقد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانها أصل من أصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا كالقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها - كتابها وسنتها - لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق اللزوم لما علمت من انها كفالة لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولامعنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكاليف وعليها تدور الاحكام

والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قيض للكتاب العدد الجم من ثقاة الحفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لعرفه الآلاف من القارئين ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بعملهم هذا الفرض أحسن الأداء

فمنهم من استنفد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الغراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصاريف هذه اللغات في النطق بهـا رفعا ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقطعا وافرادا وجمعا الى غـير ذلك من وجوه تصاريفها الافرادية والتركيب ، ومنهم من قصر عمره — وهو طويل — على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوي في أخذ فلان عن فلان حتى استقر الثابت المعمول به من الحـديث الشريف فلا محل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حـديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء الينا بطريق التواتر القطعي ؟ واذا كان نقـلة الكتاب العزيز هم العدول الضباط الحفاظ الامناء فان نقلة الحديث ورواته ان لم يكونوا هم باعيانهم فانهم لا يقلون عنهم في العدالة والحفظ والضبط والثقة والامانة فمن طعن في صحة السنة فقد طعن في صحة الكتاب أيضاً

وقد علل صحة الكتاب وفساد سـند السنة بتعاليل نرى من الحتم علينا الالمام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون متن القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمر منه (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنـه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، ولتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

ونقول — (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بالاحاديث

من نقله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فإن هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان ، على انك ان عددت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها — بحسب الشخص — كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان . بل ولعد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم

(٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن العمدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن تواطؤهم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى عصرنا هذا ، على اننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام ، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ما سطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ؛ بل نحن لم نقطع بحصول الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في صحة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلو طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام ، فاننا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نحظ برؤية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الاثر قلنا لا نسلم ان هذا موجب القطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد يقينا لصحة العزو ، فعلمت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقلت الينا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ مأثورها كان على الصدور لا السطور

(٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس في تأكيد صحة أسانيد السنة ، اذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من التلاعب والفساد ماقد حصل» اترمي بذلك السنة الصحيحة المعتد بها، والمعتمد عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها بما أجمعت الامة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طعنت فيما القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نعول منه على شيء

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه العالمين شيء بالكتابة سوى القرآن» في هذه المقدمة — أو شبه المقدمة — نظر ، على انا لو تنزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة السلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا تستطيع ان تثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا، ويعلمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة، ولا اعتد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة،نعم يقال انه كان يكتفي بمحفوظهم من الكتاب ، ونقول انه كان كذلك يكتفي بمحفوظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مقروءة، ورسائل مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايذان بصحة بعثة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام، وكل مافيها لا يجاوز الالماع الى الغرض الذي سرحهم اليه ، وأما كونه لم يترك أثرا من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يترتب عليه شيء مما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فيم كان يتعلم الناس كيفيات الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟ .

ترى انا بعد هذا في غنى من التماس العلل لكتابة القرآن دون السنة فنحن في ذلك من أصل العلة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها ولكنا

نناقشك في هذا الرد

قلت «فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله» ونقول ان اعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلا ، فلا مانع اذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من ان تنبه الى المصاب بخروج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على ان عدم التباس القرآن بغيره انما يتحقق في حق العربي الخبير بأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولكنه غير متحقق أصلا في جانب غيره أعجميا كان أو من هؤلاء المستعربين

على اننا نرجع الى أصل الموضوع فنقول ان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب انما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنا كان أو سنة وقد قال تخصيصا لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه الا منك ، فان المقرر المعروف ان فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا ان روايته تابعة لفهمه ، واذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبلغ الافهام فاحر بها ان لا تساق أصلا . وكيف يجول الفكر و يضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولا ؟ واذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه اذا غاب عن الراوي لفظه فجائز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده

ان المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه ، وغزر علمه . لا بد وان تعترضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا مفصحا عما يكون

بُلغةَ المهتدي وكفاية الطالب . كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افرادا مختلفة الحدود على سبيل البدل لغــة كالقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فانه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطهر) وهنا لا يسعه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التعسف بالترجيح بلا مرجح ، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثنتان وعــدتها حيضتان) فانه يدل على ان عدة المرأة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكأن يرى المجتهد أيضا من لفظ الـكتاب ما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأي دعاء وأي نماء أريد في الـكتاب ؟ لابد من تعيين المراد بشيء آخر وقــد عينه النبي وبينه بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فالمستنبط من الـكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسعه تبيين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير ، فكيف بمـا لم ينص به في الـكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهــذا تعلم ان الاستنباط من الـكتاب وحده . والتعبد به في كل أحكام الدين مستحيل

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وأنها بهذا الوصف نقلت الينا نقلا متواترا لا شبهة فيــه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (ما رواه جماعة لا يتوهم تواطؤهم على الـكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كالعيان علما ضروريا فهو كالـكتاب في صحة متنه ، وصدق عزوه ، بحيث يكفر منكره قطعا لانه جحود المستيقن بأنه من الله — ومنها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الاصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (ما رواه العدول الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . واذا كان القاتل يقاد منه بسفك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدول الثقاة الاوفياء من صحابة رسول الله وتابعيهم. بل لو شئت لأوردنا لك ماقال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد بل لأوردنا ماقال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى، متعبد بها فما كان عبادة ومعتقد محكمها فيا كان معاملة فهي لاتناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ماورد من الاحاديث الصحيحة المعمول بها في شرع الله القويم. لأن منشأ هذا التضارب المدعى لايخلو اما ان يكون من الاصل أو النقل أما من الاصل فمستحيل لأنك ولا شك تعترف معنا بوجوب الصدق والفطنة والعصمة لجميع الانبياء وليس بشيء من هذه الواجبات ان يحدث النبي في شرع الله بالمتضارب المتناقض بل هذا والعياذ بالله تعالى كذب لايجوز لمسلم أن يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجة وقلنا ان نقلة السنة هم العدول الثقاة الخ. وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة الى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى الى حفظها وصيانتها. ولعلك لم يفتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الاخيار العاملين الذين تصرمت أعمارهم في هذا السبيل اذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والاكثر متنقلا بين الاقطار والاصقاع تنقل البدر بين منازله التماسا لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقاة الامناء، ولو انه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد رواته نفض يديه منه، وانقلب الى أهله خاويا من ذلك الحديث وفاضه. واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي واضرابهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المعتد به، والمعول عليه، وقولك بعد «ان المجتهدين حققوا ان أكثر الاحاديث موضوعات» هو حجة لنا أيضا لان تمييزهم للموضوع والضعيف تمييز — ولو بطريق اللزوم — لغيره وهو الصحيح. قلت «المجتهدون» وهم اما الصحابة الذين تلقوا الاحاديث بآذانهم عن فمه الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لايختلف الى صحيح وموضوع وضعيف لان هذه الفروق انما هي راجعة الى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكريم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح مقطوع المتن كالقرآن واما غير هؤلاء ممن لم يتلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت التواتر أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المعتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للحرج على الاقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكلفا فيما اذا كانت الاحكام غير مقطوعة المتون - كما في الاخبار الآحادية - الا بالبحث والتنقيب للعمل بالاقرب الى يقينه وهو الارجح في ظنه والاخبار الآحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام الاحاديث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب العمل بها كما لا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه الى دلالتها ظنية - وان كانت مقطوعة المتن - كل مجتهد يحملها على الوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولا باجتماع النقيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائر بينهم ، وتعيينه في جانب واحد دون الباقين تعسف ، بل المراد ان كل مجتهد يبحث عن الحق بما في وسعه حتى اهتدى الى النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال أنها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج ببلوغه من عهدة التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بأنهم جميعا على الحق من هذا الوجه

وليس ثمت تعارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لا للكتاب ولا لبعضها البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجمل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما يخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمؤول فيه حتى يطابق النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الذاهبين الى انه لا شيء من السنة بناسخ للكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلا ، فلا تعارض هناك مطلقا

من السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو الغاء حكم بآخر كما في آيتي العدة ، والتعارض ببقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يرد من الاحاديث مخالفا بعضه لظاهر بعض أي انه يتأول في أحدهما حتى يطابق الآخر أو يكون بعضه ناسخا البعض اذا تعارضا ولم يمكن التطابق . فاختلاف المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالته على الحكم ظنية وهذا يستوي فيه الاستنباط من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد منهم حديثا لم يصح عند الآخر — مع طول البحث وفرط الجهد — أولم يصل الى علمه أصلا . وقد يكون أحدهما ناسخا أو مطلقا ، والثاني منسوخا أو مقيدا مثلا ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا لزم الحرج وهو مدفوع على ان هذا ليس خاصا بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضا كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه) فغير صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان يكون معناه اذا حدثت حديثا فخالف الكتاب فردوه فان الرسول معصوم باتفاق عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس الكتاب حفظا ، وأعظمهم لآياته تدبرا ، وأكثرهم لها ذكرا ، فتعين المعنى اذا صح الخبر « اذا روي لكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه على كتاب الله فاذا خالف فردوه فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه، وسواء صح هذا الخبر أولم يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام، وأيضا لو كان الامر كما رأيت من ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة الا ما دافقه منها نصا (طبعا) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو بمجموعه متواتر لا شبهة فيه عبثا تصان عنه أفعال العقلاء، فضلا عن الانبياء، مادام هو بينة الذي نص عليه صريح الكتاب، ولكان الاليق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث بحديث مطلقا حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبره لو كان — أي الوضوء من القيء — واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولو بما أثبت ظاهره بالمعنى الذي فهمته ماأسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ماعيينا بتفسيره على مايوافق اجماع المسلمين على أنه قدوردت السنة الصحيحة الصريحة في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه أنه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه من العلم والدين والثقة مكانه — اني امرأة أصل الشعر فهل يحل ذلك لي فقال لايحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لوقرأت كتاب الله لوجدته فيه فقالت اني قرأت مابين الدفتين فلم أجده قال ألم تقرأي (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) (* وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعا والمغرب ثلاثا وكون نصاب الضأن أربعين والبقر ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي خالفت اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

— أثبت القياس فكفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر للقياس بطريق الاولى ،على اننا نثبتهما جميعا

(المنار) لهذه المقالة تتمة عنوانها (العقل والدين) ويليها بقية الرد وقد نشرنا عبارته برمتها على طولها النزاهتها واستيفائها المقصد

---

*) نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب التربية والتعليم

المكتوب العاشر (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠

لا حق لك يا عزيزي واميل في أن تكون بلا رأي سياسي فاعا رجل يعيش في قوم ويظهر معتزلا لا يمارض بينهم من المصالح غافلا عما يتقاسم عقولهم من المذاهب فهو غاية في الحقارة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل المتوحشون يشتغلون بمصالح قبائلهم بغيرة وحمية

نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الازمان الغابرة أنهم مرسلون من عند الله لسياستهم وتدبير شؤونهم وكان على الرعايا على هذا الغرض قد قصر على الطاعة المطلقة لأوامرهم فكانوا ملكا لولاتهم وخاصتهم كالك الارض ولاحق للارض في أمر على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد المهذبة بعدي العلم من أنصار هذا الحق الالهي الذي زعمه الملوك الا النزر اليسير وقد قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ثم دل التاريخ على أن السلاطين كانوا يسقطون من عروشهم ولم تكن عناية الله تأخذ سلاحها انصرهم وانه كان من الميسور للامم كل اليسر أن يستغنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

(١) ما ادعاه الكاتب من تأكيد الملوك لرعاياهم انهم مرسلون من عند الله أمر ثابت في التاريخ بل قد بلغ الغلو بهذه الدعوى ببعضهم ان ادعى الألوهية والصحيح المعروف لذوي العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبيد استخلفهم الله في الارض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فان أحسنوا الخلافة سعدوا وسعدت رعاياهم وان أساؤها شقوا وشقوا بهم «يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المعصوم الذي لم يكد يبقي للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لايزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاد اي حكومة من الحكومات تستقرحتى تدعي أنها حلت محل المحكومين في أفكارهم وعزائمهم

ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم و بلوغهم فيه حد الجبن أن يعظوا شبانها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : « يابني ان لك أن تقتني وتتزوج وتجعل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حقك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ويوزعوا المثوبات والعقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفاس منخرية التي تحرق أموال المعاندين للنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فالاحزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلمها واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط أن تقصره عليها الا « لا فائدة للمرء من الاشتغال بمصالح غيره » والعاقل من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها » (١)

وأما الامم الحرة فالامور فيها تجري على ما يخالف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يبعدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة في خلقه وأنه تنزه ان يحتاج في النصرة الى الاستعانة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي « لا تدخل بين العصا ولحائها »

السياسية ضررا بالمعيشة البيتية بل هم يجلون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجدان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت إن جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التحمس ومنها من هي غاية في الجهل ومنها من هي متنطعة في التأنق فقد نسي أن الوسيلة الى ترقية أخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولا مراء في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية لن تنزل من السماء وأنه من الحمق والجنون أن تنتظرها أمة من حكامها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضى الحكام حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحيانا حذقا منهم في تصريفها وحزما ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يجمعون تصريف شكيمتها الى أيديهم . ليست الحرية بجميع أنواعها مما يعطى ويوهب بل هي مما يغنم بالجهاد والمكافحة فشدة كفاح العقول والعزائم وجملة اخلاص المخلصين الخاملين وتصلب من لا يستخذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تكره غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه ورده الى أربابه وما يحصل من التغرير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرق دائم لا فناء له فان القاطع يبلى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقا أن أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للمعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لاننا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة المقيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست العصور التي تغتني وتؤلمني هي التي تسعى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي تخلد فيها الى الدعة من غير أن تنال حريتها

ان لداتي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتهي بجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظا وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من زلاتنا وتجاربنا

انا قد غلونا فيما رجوناه من تصاريف الزمان وكلما سألت نفسي عن سبب مصائبنا خلتني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بعدًا عن الايمان يؤمن بالمعجزة ذلك أنه يعتقد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق مؤقت الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة تلاشي بيوت حاكمة كانت تعتقد متانة دعائمها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين كانوا يدعون المستقبل لانفسهم ثم أنها لما انتصرت انتصارها العقيم القصير المدة كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصايرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار الرجال الذين القى اليهم الاتفاق زمام سياستها نعم ان شكل الحكومة واختيار الرجال الذين يصرفون زمامها ليس مما لا يعبأ به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي المنشئة لحريتها على اختلاف ضروبها . قد مضى زمن السحاب فلن يرى بعد الآن لا في شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى فعلينا أن نخلص أنفسنا من خداع الناس ونظارها من وثنية الاوهام لأن الامم لا تنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فوقية للطبيعة(١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا في نفسها تجد أن بختها هو عزيمتها .

أنت حدث ومقترب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن عقلك الجهل والاوهام والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الطغاة الغاشمين اذا فعلت ذلك كنت قد أديت في سعيك الى الحرية شيأ من العمل . التعلم اثمار بالشر لاستئصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرير أبناء الوطن من ملكة الاستدلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من زمان بعيد فاما أن يكون هذا هو ينبوع ما أصابنا من ضروب العجز واما أن أكون مخطئا خطأ فاحشا . لا حق لنا ان نعيب على الاتراك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

(١) انكار الكاتب تأثير السلطة الغيبية يعني الله جل شأنه في حرية الامم أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثه

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أننا تابعون لبخت يومنا خاضعون للمقدور سياستنا موقوف دون ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خمود الهمم وانحلال العزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده . اذا ظهر الشر والفساد في الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا بأن يتخيل في نفسه عالما آخر يأوي فيه معتقده ويشرف من أعاليه على أوردهره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر ملاحاة يكافحه ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فأنت تعرف كلمة جوفينال(١) فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدلي من خمود النفوس وأثرة التواكل وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك في الهلاك العام إما بسكونه وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشتد وتثبت في تيار الدمار فعلينا ان لم نأنس من نفوسنا كفاية في القوة أن نستحين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماتوا من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويعالجون عمى البصائر قبل أن يجنوا ثمار كدهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء مخضبين بدمائهم ومن حكم عليهم من العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المعنوية ولنتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من السجون المظلمة والمنافي وأنواع العذاب والنكال ما يشهد لنا بنزاهة مقصدنا نزاهة لا تدافع . ألا ان لواء الحرية يظل جميع المقاومين والمكروبين والمهضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا اللواء سيكون لنا الفوز والظفر وعلى هذا الاعتقاد أقبلك قبلة الوداع اه

---

(١) جوفينال كاتب لاتيني هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من الميلاد ومات في عهد الانتونيين بيت من بيوت الملأ في روما)

آثار علمية أدبية

﴿ حواء الجديدة — أو — ايفون مونار ﴾

ألف قولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف يغوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحتقرها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذر الفواجر أو كاد ووعد بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية . وقد كتب الي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه انه يرغب الوقوف على رأي (علمائنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبته بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت الي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل . واعتصمت بحبوة النزاهة والادب في التعبير . وأراني استعبرت لغير ما عبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفا عندي قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بغي شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يعز أن يوجد في بلادنا بغي لها من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض ما رويت عن « ايفون مونار » ويوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج لمكان التربية الدينية والادبية عندهم كما وصفت من تربيتها فاكثرهن — ان لم نقل كلهن — قوارير أقذار ، وقرارات وقاحة وصغار ، لا فائدة من تصغير جرائرهن ، وعطف القلوب عليهن ، الا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهن ممن يحزن اشمئزازهن ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لانشاء ملجاء يؤوي من يريد التوبة منهن ويغنيهن عن طلب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون للاعتذار عنهن والاستعطاف عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسباب، لتنفر المرّضات لمثل فعلهن أن يتدهورن في هاويتهن، ولك أن تصف من فساد الفاسقين وتشوه من سيرهم بما استطعت من إطناب، لتنفر عن مثل عملهم، وتحذر الفتاة الغرّ من تغريرهم، فتكون على بصيرة من عاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهتانهم وزورهم، وليس لك في رأيي أن تجعل ما تكتب منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من الجهة الأخرى

اذا انتقدت عليك تصغير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين مرة فانني أنتقد الاحتجاج على تصغيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات البعول سبعين مرة الآن ذنب المسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخدان بل لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخدان وهم يعلمون بخياناتهن لازواجهن يضر نشره في قصص يقرأها النساء من العذارى والايامى اذ لا تتصور التي تلين للفاسق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بغيا مسافحة وانما يغلب على ظنها أنها تصادف زوجا يستر فضيحتها بغفلته، أو قلة غيرته

قرأت ما كتبت ايفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها واعواز ما تروم فتمنيت لو تقرأ ذلك العذارى اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لاعراضهن باطلاق أهليهن العنان لهن مع كثرة ما يحول الفساق من مخادعتهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات البيوت واغضاء الناس عنهن فتمنيت لو لم تطلع عليه قارئة لاسيما اذا كانت عذراء

هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحسان لما عدا الامرين المنتقدين من ناحية ما تنفر من تأثيرهما وأرجو أن تتوخى فيما تكتب الغاية والفائدة أكثر مما تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدر بمن يعرض عمله لنقد الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم »

هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكياء المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالاسفار وقراءة الصحف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعليم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرنا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقدمناه على مطبوعات كثيرة أهديت الينا من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤيدا لما ندعو اليه منذ أنشيء المنار كبيان سوء طريقة التعليم في مثل الازهر وما اختير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ماهو من قبيل الرأي ومنه ماهو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجمالية تأييد ما كتب كثيرا لازالة الثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية ومدرسيها وهذا تمهيد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ونرجيء بيان ما أنكرنا منه وما ننتقد به عليه الى ان يتاح لنا مطالعته كله بالتدقيق وعسى ان يبادر بعض من اطلع عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس ويغشونهم وهم لا يشعرون

باب الاخبار والآراء

تعيين سعد باشا زغلول ناظراً للمعارف

رأى اللورد كرومر أن يعين هذا النابغة ناظراً للمعارف العمومية فصدر الامر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالعرفان واستقلال الفكر وقوة الارادة والاستقامة — وهي صفات الكمال في الرجال، وكان ينبغي أن يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعاً في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا الا النية التي اخترعوها له وانتقل بعضهم بسبب الثناء على الناظر الجديد الى القدح بسائر النظار تصريحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً انه لا خير في هذا التعيين الا اذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشار الانكليزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع ان يكون مسماه عبداً مأموراً وان لم يكن من دولة محتلة بقوتها في بلاد أبسلها ضعفها وجهلها. فدع كلام المسرفين، واشكر هذا العمل لادارة المحتلين؛ فالشكر مدعاة المزيد من الاحسان؛ عند كل إنسان، ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً الى ترقية حزب المرحوم الشيخ محمد عبده الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الاوربية اذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر المعارف، وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مريدي أستاذه وأستاذهم الامام جعله الله خير خلف له في محبة البلاد وخدمتها، واستقلاله وحكمته؛

الجامع الازهر — مشيخته وإدارته

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلغنا من استقالة شيخ الازهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلاً للأزهر تمهيداً لجعله أصيلا وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وعمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلا لمشيخة الازهر فعظم ذلك على أهل الازهر واستنكره كبراء الشيوخ واستكبروا أن يكونوا مرؤسين له على حداثته في السن والعلم وانتهى الامر الى الحكومة أو الى أولي الامر فخاطبوا الامير في ذلك وتقرر ان الشيخ شاكراً لا يكون شيخاً للازهر ولا وكيلا وقد سمي الآن نائباً وقد زاد الشغب والاضطراب في الازهر في أيام نيابته على امداد الامير اياه بنفوذه ويتوقع ان ينتهي هذا التلاعب في الازهر بجعله تحت مراقبة نظارة المعارف اذ لا قرار الا مع السلطة الثابتة المنتظمة. ولعلنا نتكلم عن اصلاحه في جزء آخر

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر — شوال سنة ١٣٢٤ — أوله الجمعة ١٩ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾

كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولا عنوانها «محاورات المصلح والمقلد» بينا فيها طريق الوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يتفرقوا فيه . ومما بيناه فيها ان الاحكام السياسية والقضائية والادارية — وهي ما يعبر عنها علماؤنا بالمعاملات — مدارها في الشريعة الاسلامية على قاعدة درء المفاسد وحفظ المصالح أوجلبها واستشهدنا على ذلك بترك سيدنا عمر وغيره من الصحابة اقامة الحدود أحيانا لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام نجم الدين الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيها الشيخ جمال الدين القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيها في المنار لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسملة)

اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء(١) لا يوجد بين العلماء غيرها(٢) أولها الكتاب، وثانيها السنة، وثالثها اجماع الامة ، ورابعها اجماع

---

(١) تقدمه بتعدادها كذلك وسوقها بالحرف العلامة القرافي في التنقيح في الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القرافي وليته لم يزدها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ماذكره ستة وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل والعمل بالظاهر أو الاظهر . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين والعمل بالاصل . ومعقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى والعمل بالشبهين . ودلالة الاقتران . ودلالة الالهام . ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . والاخذ بأيسر ماقيل . والاخذ بأكثر ماقيل وفقد الدليل بعد الفحص واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيخين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا . وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهابا الى أن الاصل في المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام . وهو للطوفي المصنف فالجملة خمسة وأربعون دليلا وسنذكر ماذق معناه منها فانتظر

أهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المرسلة (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتاسعها البراءة الاصلية (٦)

---

(١) قال في التنقيح: واجماع أهل المدينة عند مالك فيما طريقه التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما في علة الحكم: تنقيح

(٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فيترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم. مجامع

(٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بان الله تعالى انما بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فمهما وجدت مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان ان لاءمت أصلاً كليا أو جزئيا من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا. وقال الغزالي ان كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا. قال القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لأنهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا يعنى بالمصلحة المرسلة الا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن ابقاء ما كان على ما كان عليه لانعدام المغير قاله السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي: الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحال أو الاستقبال فهذا الظن عند مالك والمزني والصيرفي حجة خلافاً لغيرهم. لنا انه قضى بالطرف الراجح فيصح كأروش الجنايات واتباع الشهادات اه

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الاحكام خلافاً للمعتزلة والابهري وأبي الفرج منا. لنا ان ثبوت العدم في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته في الحال فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات(١) الحادي عشر الاستقراء(٢)الثاني عشر سد الذرائع (٣)الثالث عشر الاستدلال(٤)الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

---

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القرافي يقضى بها عندنا لما تقدم في الاستصحاب . ونقل عن المستصفى : العادة والعرف ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول . وفي الاشباه من كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » لكن قال العلائي لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وانما هو من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الاصول في باب ماتترك به الحقيقة تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر الاسلام أه كلام الاشباه (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا نقل عن حجة الاسلام ونحوه قول القرافي : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة النزاع على تلك الحالة كاستقرائنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدى على الراحلة فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدي على الراحلة (قال) وهذا الظن حجة عندنا وعند الفقهاء اه (٣) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد دفعاً له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة الى المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشتهر ان القول بسد الذرائع من خصائص مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القرافي انه مشترك بين المذاهب كالمصلحة المرسلة والعرف وستراه في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا اجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقتراني والاستثنائي وصور أخر (٥) قال السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم لدليل يعارض القياس الجلي ويعمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر العصمة (٢) السابع عشر اجماع أهل الكوفة (٣) الثامن عشر اجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة

من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسناً قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو العدول عما حكم به في نظائر مسئلة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس الخفي كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره العراقيون وقد اضطرب ائمة في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع في تحقيق كل مسئلة الى عرف من ذهب اليها . ولذا آثرنا النقل عنهم «١» وهو الاخذ باقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية الذمي انها مساوية لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذا بالاقل لكونه مجمعا عليه وما زاد منفي بالبراءة الاصلية وتقدم في حواشي رسالة ابن فورك زيادة على هذا فارجع اليها «٢» قال القرافي العصمة هي ان العلماء اختلفوا هل يجوز أن يقول الله تعالى لنبي او عالم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فقطع بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي انه ما حرم على نفسه الا ما جعل الله له ان يفعله فعل التحريم ولو أن الله تعالى هو المحرم لقال الا ما حرمنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفا في الاديان بالهوى والله تعالى لا يشرع الا المصالح لا اتباع الهوى واما قصة اسرائيل عليه السلام فلعله حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسئلة يجوز ان يقال لنبي او عالم احكم بما تشاء فهو صواب ويكون مدركا شرعيا ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣) قال القرافي اجماع اهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردها من الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذكور في أصول الفقه (١)

مع الامام المعصوم - المشترط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم من العلماء دخول الامام فيهم وان لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين للقزويني وبه يعلم ان الاجماع عندهم اعم من اجماع العترة ومن اجماع من بعدهم اذا كان فيهم المعصوم . فالمذكور هنا كغالب اصول اهل السنة رجم بالغيب عن مذهب الامامية في الاجماع واهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى نصوص كتبه فاحفظ ذلك «١» قد اشرنا الى شذرة من حدودها وخلاف من خالف فيها وقد بقي علينا الايفاء بالوعد السالف من الكشف عن الغامض من بقية الادلة الخمسة والعشرين فنقول اما حجية شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال به اكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والمتكلمين بمعنى أنه يجب العمل به اذا قصه تعالى في كتابه او اخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرآة وتفصيله في موافقات الشاطبي فارجع اليه . واما التحري فهو بذل المجهود لنيل المقصود من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الاحكام في الصلاة والزكاة والثياب والأواني كما في الخادمي على مجمع الحقائق . وأما العرف فقال السيد هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة لكنه أسرع الى الفهم وكذا العادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعادوا اليه مرة بعد أخرى اه واما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء قال الخادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اه وقد أشار لذلك البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة: قال الشارح : مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين ان الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وستأتي . ومن أمثلته بيع الاثمار على الاشجار عند وجود بعضها دون بعض فقد أجازه بعض =

= الحنفية للعرف كما في نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر في شرح البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز بيع الثمرة قبل بدوّ صلاحها مطلقا : وأما العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الخادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه . وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الخادمي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع الى حديث « دع ما يريبك الى مالا يريبك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة المنقولة فيها أو بالاجماع أو بعموم آية « ولا تنازعوا » واما مذهب كبار التابعين فهو مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي مرفوعة . وأما العمل بالاصل فمعناه العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . واما شهادة القلب فقد يحتج بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجعها الى حديث « استفت قلبك » وحديث « البر ما اطمأنت اليه النفس » وأما تحكيم الحال فمعناه الاستدلال بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجعها الى رفع الحرج . وأما العمل بالشبهين فذكره الخادمي في شرح التنقيح معطوفا على ما تقدم ولعله كالقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » والجمهور على أن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرهما قال الامام ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند الى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بارادته فهو ترجيح شرعي . وعلى هذا فمن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبغض ما يكرهه اذا لم يدر في الامر المعين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحا عنده كما لو أخبره من صدقه أغلب من كذبه بخبر . هذا عند انسداد وجوه الترجيح ترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا على الاطلاق أخطأوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاطلاق ولكن اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحا وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى فالهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار»(١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونفيا والمفاسد نفيا اذا الضرر هو المفسدة فاذا نفاها الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما وهذه الادلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما اما ان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الاقيسة الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ثم قرأ «ان في ذلك لآيات للمتوسمين» اه والتتمة سابقة .

ـ وأما رؤيا النبي عليه السلام فنقل عن الاستاذ أبي اسحق وغيره انها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الاخذ بالايسر فيقرب من الاخذ بأقل ماقيل ومستنده رفع الحرج . واما الاخذ بأكثر ماقيل فمستنده الاحتياط ليخرج من عهدة التكليف بيقين . وأما فقد الدليل بعد الفحص فمعناه الاستدلال على عدم الحكم بعدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . واما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جمع لحديث « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع القلي فهو فتوى بعض المجتهدين أوقضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعا ظنيا كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الادلة التي سردناها من عدة مصنفات أرجع كثيرا منها الى الاصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضا في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بتنوع ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه مرسلا والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو يخالفاها فان وفقاها فبها ونعمت ولا تنازع اذ قد اتفقت الادلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وان خالفاها يجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص (١) والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان ، وتقرير ذلك ان النص والاجماع اما ان لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فان لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موفقان لرعاية المصلحة وان اقتضيا ضررا فاما ان يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثني من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعاً بين الادلة ولعلك تقول ان رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

---

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وانه يخص به الاثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الاجارات فيما لو دفع الى حائك غزلا على ان ينسجه بالثلث قال — ومشايخ بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الاجارة في الثياب لتعامل أهل بلدهم والتعامل حجة يترك به القياس ويخص به الاثر (ثم قال) وتخصيص النص بالتعامل جائز الا ترى انا جوزنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وانه منهي عنه وتجويز الاستصناع بالتعامل تخصيص منا النص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الانسان لا ترك للنص أصلا . كذا في نشر العرف لابن عابدين وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الاثر الى اعتبار العرف فيما نقلناه عنه قبل من صحيحه في ترجمة ذلك الباب التي قل من يفطن لها ومن دقق في تلك الترجمة رأى انها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستفيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الاقوى من الاقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو مفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء له كالقلم يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عادة. ثم هي تنقسم الى ما يقصده الشارع لحقه كالعبادات والى ما لا يقصده الشارع لحقه كالعادات

وأما بيان اهتمام الشرع بها فمن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءتكم موعظة » حيث انه تو عدهم وفيه أكبر مصالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الاذى وارشادهم الى الهدى

الوجه الثاني : وصف القرآن انه « شفاء لما في الصدور » يعني من شك ونحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

الوجه الرابع : وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصلحة

الخامس: اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما الا مصلحة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل «فبذلك فليفرحوا» وهو في معنى التهنئة لهم بذلك . والفرح والتهنئة انما يكونان لمصلحة عظيمة

الوجه السابع :قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون» والذي يجمعونه هو من مصالحهم فالقرآن ونفعه أصلح من مصالحهم والاصلح من المصلحة غاية المصلحة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشرع راعى مصلحة المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب النص والاجماع دليلا لهم على معرفة الاحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول به في العبادات وحيث وافق المصلحة في غير العبادات وانما ترجح رعاية المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها الا من جهته نصاً واجماعاً

وأما التفصيل ففيه ابحاث

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا . حجة المثبت أن فعله لا علة له عبث والله عز وجل منزه عن العبث ولان القرآن مملوء من تعليل الافعال نحو «لتعلموا عدد السنين والحساب» ونحوه وحجة النافي

ان كل من فعل فعلا لعلة فهو مستكمل بتلك العلة مالم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . واجيب عنه بمنع الكلية فلا يلزم ما ذكروه الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل معللة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكمالهم لا بنفع الله عز وجل لاستغنائه بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالعبادة فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لعللهم في التكليف والا لكان ذلك تكليفا بما لا يطاق أو شبيها به . واجيب عنه بأن هذا مبني على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى أكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى سنها في الكل

---

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء العليل في القدر والتعليل لابن القيم ص ٢٠٦ فانه لا يستغنى عنه

ما يصلحهم وينتظم به حالهم ، الاقسام كلها ممكنة (١)

البحث الرابع في أدلة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب والسنة والاجماع والنظر ولنذكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال اذ استقصاء ذلك بعيد المنال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «ولكم في القصاص حيوة ٠ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ٠ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » وهو كثير ٠ ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم واعراضهم مما ذكرناه ظاهر ٠ وبالجملة فما من آية من كتاب الله عز وجل الا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح كما بينتهما في غير هذا الموضع

وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبع بعضكم على بيع بعض . ولا يبع حاضر لباد ٠ ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وهذا ونحوه في السنة كثير لا نها بيان الكتاب وقد بينا اشتمال كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي الظاهرية علي تعليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن ثم علل

---

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في الموافقات ان الشارع قصد بالتشريع اقامة المصالح الاخروية والدنيوية وبان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان يكون وضعها على ذلك الوجه ابديا وكليا وعاما في جميع انواع التكليف والمكلفين من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القرافي في الحاشية ويأتي في آخر مقاله أيضاً

وجوب الشفعة برعاية حق الجار وجواز السلم والاجارة بمصلحة الناس مع مخالفتهما للقياس اذ هما معاوضة على معدوم(١) وسائر أبواب الفقه ومسائله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعلل المصالح

وأما النظر فلاشك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعى مصلحة خلقه عموما وخصوصا أما عموماً ففي مبدأهم ومعاشهم اما المبدأ فحيث أوجدهم بعد العدم على الهيأة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل « يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم (٢) الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ماشاء ركبك » وقوله عز وجل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب مايعيشون به ويتمتعون به من خلق السموات والارض وما بينهما وجميع

---

(١) يراجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف القياس فانه مهم جدا

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف المغترين ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه من النصوص واتكل عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » زعموا انه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته وهذا من أبين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الفسقة والخونة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى « ما غرك بربك الكريم » فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه . وأتى سبحانه بلفظ « الكريم » وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اه ونحوه للغزالي في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « ألم نجعل الارض مهاداً — الى قوله — ان يوم الفصل كان ميقاتا » وفي قوله عز وجل : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا » الى قوله عز وجل « متاعا لكم ولانعامكم »

وأما خصوصا فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هداهم السبيل ، ووفقهم لنيل الثواب الجزيل ، في خير مقيل ،

وعند التحقيق انما راعى مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع الى الايمان الموجب لمصلحة المعاد لكن بعضهم فرط بعدم الاجابة بدليل قوله عز وجل « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » تحرير هذا المقام أن الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصا بدليل قوله عز وجل « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فدعا عاما وهدى ووفق خاصاً

اذا عرف هذا فمن المحال أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبدئهم ومعادهم ومعاشهم ثم يهمل مصلحتهم في الاحكام الشرعية اذ هي أهم فكانت بالمراعاة أولى ولانها أيضا من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا معاش لهم بدونها فوجب القول بانه راعاها لهم . واذا ثبت رعايته اياها لم يجز اهمالها بوجه من الوجوه . فان وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

واما ان رعاية المصلحة مبرهنة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بعد بيانه الاجماع وأدلته ومعارضتها

ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على الوجه الذي ذكرنا وجوه .

أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » وقال عز وجل في مدح الاجتماع « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال عليه السلام : وكونوا عباد الله اخواناً .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصالح ونحوها في قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط

« ١ » كالنظام وبعض الشيعة والخوارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله للنبي عليه السلام لما نهى ان يعضد شجر مكة ويختلى خلاها الا الاذخر يارسول الله فقال عليه السلام . الا الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب الشركة لما خفت أزواد القوم وأملقوا وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم فاذن

للعبادة كما سبق (١) ، ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الاحزاب « لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلى احدهم قبلها وقالوا لم يرد منا ذلك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس

ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم بجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد سمينا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالعادة وهو شبيه بما نحن فيه

وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكا بالعادة في أن أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال: « مالي آمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ماروى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر فرده وقال اذاً يتكلوا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق وائتلافها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره فامر أن تجمع ازواد الناس الحديث (٢) أي في بحث له سابق طويناه اختصارا وهو قوله ان الصحابة أجمعوا على جواز التيمم للمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود واحتج عليه أبو موسى الاشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان

فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تعطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو كقياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نائم بعد الانتباه، وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم أنتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابليس وهو قوله « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقم عليه ماقام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا

فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أدلة الشرع وجعلها اعلاما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها مراغمة ومعاندة له قلنا اما كون الشرع اعلم بمصالح المكلفين فنعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لادلة الشرع بغيرها فممنوع بل انما تترك ادلته بدليل شرعي راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم الاجماع على غيره من الادلة ، ثم ان الله عز وجل جعل لناطريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا نتركه لامر مبهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

---

(١) يشير الى ماذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقيس : و يستدل على مااحتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فباجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لايكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يجوز حصر بحكم في جهة واحدة لئلا يضيق عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا الكلام ليس منصوصا عليه من جهة الشرع حتى يمتثل(١) ولو كان لكان مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ماذكرتموه من مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو أن الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب فأفضى الى الانحلال والفجور . وأيضا فان بعض أهل الذمة ربما أراد الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعدد الآراء . لان الخلاف منفور عنه بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لايختلف الا بما فيه من المتشابهات وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) . ولو اعتمدت رعاية المصالح المستفادة من قوله عليه السلام «لاضرر ولا ضرار» على ماتقرر لاتحد طريق الحكم وانتفى الخلاف ، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا يلتفت اليها أو صوابا فاما ان ينحصر الصواب فيها أو لا فان انحصر لزم أن الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها أحد منهم(٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائزة من الطرق ولكن طريق

(١) يشير الى ان حديث اختلاف أمتي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
(٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد مفهومها من قواعدهم وقدمنا مايقرب منه عند الحنفية رحمهم الله من تخصيص النص بالعرف عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبنى الفقه على ان اليقين لايرفع

الائمة التي اتفقت الامة على اتباعها أولى بالمتابعة لقوله عليه السلام «اتبعوا السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب منحصر فيها قطعاً بل ظناً واجتهادا وذلك يوجب المصير اليها اذ الظن في الفرعيات كالقطع في غيرها . وما يلزم على هذا من خطأ الامة فيما قبله لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انفرد بها غير مسبوق اليها والسواد الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزم ان يتبع العلماء العامة اذا خالفوهم لان العامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ماذهب اليه مالك بل هي أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع في العبادات والمقدرات ونحوها أو في المعاملات والعادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر فيه النص والاجماع ونحوهما من الادلة

غير ان الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به . وان تعدد الدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، وأرجعه العز بن عبد السلام في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفاسد وبعضهم الى تحكيم العادة قال القاضي زكريا وبحث بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي العطار على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي زكريا هو الطوفي المصنف

كان آية وحديثاً واستصحابا ونحوه فان اتفقت الادلة على اثبات أو نفي ثبت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضا يقبل الجمع أولا يقبله فان قبل الجمع جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاعمال لا الالغاء غير ان الجمع بينهما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض الادلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الادلة التسعة عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع ثم ان النص منحصر في الكتاب والسنة ثم لا يخلو اما ان ينفرد بالحكم أحدهما أو يجتمعا فيه فان انفرد به أحدهما فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحد الدليل أو يتعدد فان اتحد بان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهرا فيه وان كانت مجملة (١) فان كان أحد احتماليها أو احتمالاتها اشبه بالادب مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالاها في الادب مع الشرع جاز الامران والمختار أن يتعبد بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقف الامر على البيان

وان تعدد الدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر فان اتفق مقتضاهن فكالاية الواحدة وان اختلف فان قبل الجمع جمع بينهن بتخصيص أو تقييد أو نحوه وان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها بعينه فيها والا فالمنسوخ منها مبهم فليستدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

---

(١) المجمل ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الاقدام كالمشترك أو لغرابة اللفظ أو لانتقاله من معناه الظاهر الى غير ما هو معلوم . كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي انما تبين ماثبت حكمه لا ماسخ وان انفردت
السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالآية الواحدة
وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن
الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو اشبه بالادب مع الشرع وتعظيم حقه
وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تساوى في
الصحة او تتفاوت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فكالحديث
الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ
فان تعين والا استدل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع أو غيره أو بغير
ذلك من الادلة

وان لم يصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في
الحكم الاحديث واحد فان كان الصحيح اكثر من واحد فان اتفقت
عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما
سبق فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

---

(١) أي لانه لا يعمل به في المعاملات بل في فضائل الاعمال على قول ومنهم
من منع العمل به مطلقا كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة
صحيحه ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به والاولى
ما كان منها في باب الصفات ولذا قال القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع:
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله
وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد واهية الاسناد الخ

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينه ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكد له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجه فهو محل نظر وتفصيل والاشبه تقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه

هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فبها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القاتل والمرتد قطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان امكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

---

(١) قال القرافي في تنقيحه : الكليات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال — قيل والاعراض — حكى الغزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأنه تعالى ما أباح العرض بالقذف والسباب قط ولا الاموال بالسرقة والغصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكلفين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل (١)

ثم ان المصالح والمفاسد قد تتعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعارضها فنقول كل حكم نفرضه فاما ان تتمحض مصلحته (* فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصلحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تعذر تحصيل مازاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الاهم منها وان تساوت فى ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة فبالقرعة . وان تمحضت مفسدته فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن دره جميعها درئت . وان تعددت دري منها الممكن . فان تعذر دره مازاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت فى عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة

وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

---

(١) أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا وبالذات لانها هي سر الشريعة ولبابها كالمعاني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لمعانيها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الحيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بان الله تعالى يتنزه ان يشرع لعباده نقض شرعه وحكمته بانواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين

(*) المنار: يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع المفسدة تعين وان تعذر فعل الاهم من تحصيل أو دفع ان تفاوتا في الاهمية وان تساويا فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة

وان تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجح كل واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا ارجح الوجهين تحصيلا أو دفعا (١) فان استويا في ذلك عدنا الى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) يتوصل به الى أرجح الاحكام غالبا وينتفي به الخلاف بكثرة الطرق والاقوال

مع أن في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي معرفة الحقائق التي تتعلق بالاحكام واعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي شبيهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

وأنما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لان العبادات حق للشرع (* خاص به ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا الا من جهته فيأتي به العبد على مارسم له ولان غلام أحدنا لا يعد مطيعاً خادما له الا اذا امتثل مارسم له سيده وفعل مايعلم انه يرضيه فكذلك هنا ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية

«١» يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله: اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان مفضيا الى مايبغضه الله ورسوله اه *) المنار: لعلها الشارع وكذا ما بعدها

شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المعول

ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)

ثم هذا انما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجاري العقول والعادات اما مصلحة سياسة المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم العادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لاتفي بالاحكام علمنا انا احلنا بتمامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوفي رحمه الله

---

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لانهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا نعني بالمصلحة المرسلة الا ذلك ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال: ينقل عن مذهبنا (المالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقرأها وجدهم يصرحون بذلك فيها وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصرح بانكارها ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة وأما الذرائع فمنها ماهو مجمع عليه ومنها ماهو مختلف فيه اه ولابن القيم في اعلام الموقعين فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسعا وتسعين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى المفاسد . وممن توسع في بحث المصالح المرسلة الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي المالكي في كتابه الموافقات فقد جود الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الجزء الثاني فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

الدين والعقل

تابع لرد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي

بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هتفت أكثر من مرة بالعقل في غضون البحث في أمور الدين ان نتكلم باختصار على ما يمكن أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة ، ولم يضف اليها أحد شيأ آخر بل قصرتها أنت على الكتاب وحده ، فأي نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين في كل جزئياته ؟ . لا يمكن أن يراد بتلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين . فانه ليس شيء من الدين بنيت قضاياه على الادلة العقلية البحتة ، الا بعض أصول العقائد كوجوب الوجود ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع العدم والكثرة مثلا من الممنوعات وبعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيأ . وان أريد من العقل نظره الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كاقامة الصلاة والاستقباح لممنوعاته كاتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه . ولكن لا يعزب عنك ان هذا النظر شيء واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتبار كون دينا مقررا واجب الاتباع شيء آخر . فمسألة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا جميعا . على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه هذا حسنا قد يراه ذاك رديئا وبالعكس وذلك لا يقف عند طبقات الحمقى والجاهلين بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب العلم والسياسة والبصر بفنون التشريع . ولا نحسبنا نتكاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفينا مؤونة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي أوجبه الاسلام — مالم يعف أولياء الدم — ولا نشك في استحسانك له مسئلة فيها نظر بين متشرعي الرومان قديما وأمة الطليان التي بنيت على اطلالها والفرنساويين والانجليز حديثا فنهم من أنكرت القتل ومنهن من أوجبته ومن هؤلاء الموجبات من استحسنته بطريق الشنق ومنهن من أبته الا بقطع الرقبة فهل رمى الناس كل هذه الامم بالجنون لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هو اكبر الاشياء في مسائل التشريع ؟ فما بالك بصغريات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسأل نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجانه أصلا من أصول الدين التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم واحد من هذا الدين ؟؟؟

الاسلام ولاشك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طوقهم وتنائي ديارهم و بسط لهم على لسان نبيه من التقرير والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من الوجوه والالوان كل نفس بحسب ماتهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستند لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من الامم التي لاترجع في أمور تشريعها الى أصل واحد

فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة وهي ولا ريب لاتنابذه بحال لأنه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فاذا طغى الميزان اذا لم يوف الموزون ؟ فليس من الصواب انه نتبع نزعة كل هوى تستحسن أو تستهجن ونحاول انه نجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا لأنها خالفت العقل والصواب !!!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية في اثبات الالوهية ان لا يؤمن بها ومعجزات لاسبيل للعقل الى مصادرتها كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن هنالك آلها حكيما متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص وانه أرسل

رسولا معصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسعادتهم وعزهم في كلتا نشأتيهم انصرف ولا مرية كل همه الى تحقيق ماجاء به هذا الرسول الامين عن ربه الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الى البحث فيها من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام، يرجع بالفروع الى أصولها المقررة ، و بالجزئيات الى كلياتها الثابتة ، و يفصل المجمل في الكتاب بالمفصل من السنة ، و يستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام الظاهر ليقيس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه من الكتاب والسنة وأخذه بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسعه تصوره . بل نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ماجاء به الدين الحكيم مستهجن لكل مانهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا مانرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننتقل بك الي تمحيص مابنيت عليه من المسائل والله الكافي المعين

مبحث الصلاة

جاء الينا القرآن بها اجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في كتابه ، وعلمها جبريل لنبيه تعليما عمليا وهو عليه السلام علمها الناس و بلغها لهم وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة، الظهر والعصر والعشاء أربعا والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي) وشدد فيها وأكد ، ووعد عليها وأوعد ، وميزها بانها الفرض المحتوم من بين ما سن من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم ومن بعدهم الى يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب عليهم من غيره في أقصى منازل الغرابة ، وكيف ذلك وهم المجمعون على ان

تارك النوافل مثل ماقبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر لاشيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لاتبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين الواجب وغيره ؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بعد تمييزهم هم

أدرجت في مطاوي كلامك انك لاتحتج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا بين الواجب وغيره بل هم أنما كانوا يحافظون على كل مارأوا النبي يحافظ عليه) ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون بالنوافل ، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لاحساب عليه؟ لا ألتمس ان أجادلك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك ، بل مما قلت من ان (كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجوبها كالمضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف ، فهل مع هذا يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره؟ نعم هم فرقوا الواجب من غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينهما في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة ، وابتدره منهم ذو اليدين بقوله (أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله) فأجاب صلى الله عليه وسلم بأنها لم تقصر ثم أتم وسجد للسهو . ولو كان الواجب يتم بالركعتين ماسأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة، وأي معنى لقصرها غير كونها نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا؟ ولو كان أقل الواجب ثنتين كما ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت — هل كان يجيب عليه السلام بأنها لم تقصر — أي لم تنقص عن القدر المشروع؟ — بل ويتركه صحبه في مثل هذا المقام لايعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن القدر الواجب عليهم انما هو أربع ركعات لاركعتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان ، وتلك تعمية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصم دينا وأفصح

لساناً من مثل هذا على أنه قد بلغ وقول « بلغت اللهم، اشهد » مع نهاية البيان لقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وليس من التبليغ المحفوف بالبيان ان يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون متعبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، ونفله المتطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكداً مشدداً الى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بتحريمة واحدة المنتهية بسلام واحد) وأبان انها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثنائية منها والثلاثية والرباعية من غير زيادة فيها أو نقص عنها (الا في خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضاً منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الادلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن لتشذ عما عليه اجماع المسلمين من عهده عليه السلام الى عهدنا هذا دون أن يعترضهم فيه شك ، أو تعتورهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق

ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستنداً علي قوله تعالى (واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآية بناء على انه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الاعلى ، و بعبارة أخرى أن الانسان غير مكلف بأكثر من اثنين الركعتين الخ

ونقول أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أوهي للمؤتمين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الامام أو المؤتمون ؟ هذا مالم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسنى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعاً أو ستاً مثلاً فمن أين جاءك أن كل طائفة تصلي مع الامام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بعينها حتمت على المؤتمين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤتمين ركعتين ، وهذا هو القصر بعينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس ومجاهد وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم . فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لادليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤتمين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة – حالة الخوف – يصلي ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه متم بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤتمين لقوله تعالى (أن تقصروا) فثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بان القصر انما هو واحدة ، فالقول بان الواجب في الصلوات الخمس – في حالة الاتمام منتقض بناؤه لانهدام ما دعمته له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك ان القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه – نص صريحا على ذلك ، فاي تلازم هنالك بين كون القصر أي مادون الواجب – على مقتضى تعريفك – واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب – مع هذه الحال – ثماني ركعات أو عشرا مثلا لولا السنة ؟ على انها لم تقدر للواجب حدا أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بعينه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثا والعشاء أربعا بلا زيادة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، واتخذت ذلك دليلا على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان انهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظنك ما اعتمدت في صحة هذا الا على حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لاتخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل انها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتى يفهم من قيلها أن

اقتصار الرسول إذ ذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب؟» بل قالت انها فرضت أولا ركعتين ، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا » وأكدت هذا المراد بقولها فأقرت في السفر وزيدت في الحضر ، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب ، بعد قولها « فرضت ركعتين » ولا للقول بأنها أقرت في السفر أي اكتفي بها لانها القدر الواجب مطلقا ، مع العلم بان النبي عليه السلام ماكان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر ، بل كان يزيد عليهما من النوافل ما تعود أن يزيد في الحضر ، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة ، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كلها بلا نقص فيها ، اما ما استعرضت على قيلك من الشبه وتكلفت الرد عليه فانا نعفيك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قيد لايجوز التفلت منه ، فكل ما كان في غير الخوف — ولو في سفر — فهو اتمام ، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتفاء بالواجب اذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لانعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف ، بل ولا نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال ، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لايدل على عدمه مطلقا ، فقد نصت على ذلك السنة ، ومقامها من التشريع ماقد عرفت ، ونعارض في كون الآية قيدا ، بل نقول انها لمجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ ، ولست تنكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فان الربائب محرمات مطلقا ، وكونهن في الحجور ليس قيدا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع ، وقد سئل النبي نفسه فيما سألت فيه ، فاجاب عليه السلام بما أجبنا به ، واذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان الواقع ، ولم تشأ أن تصحح بهذا الخبر حينئذ بمثله من الآية نفسها سبقتنا بالاشارة عفوا الي أنه ليس قيداً ، بل هو لمجرد بيان الواقع حيث قلت (فصلاة الامام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أوردت قوله تعالى (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه السلام لاغيره كما هو ظاهر هذا القيد (اذا كنت فيهم) فاذا قلت ان صلاة الخوف عامة كما هو ظاهر كلامك — لزمك أن تقول ان هذا القيد لا مفهوم له بل هو انما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أبيت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيم صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لاغيره اذا كان قيام طائفتين من المصلين في خوف مقيدا بكون النبي فيهما — لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للامام — مطلقا طبعا —) لا مفهوم له

وأما صلاته ركعتين في السفر فمسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء بالواجب أي ليس قصرا غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع ملازمته في غضون أسفاره للنوافل التي لاخلاف بيننا و بينك في انها فوق الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام للنوافل اثناء سفره فقد أنكرت لزوما اقتصاره «في المفروضة» على الركعتين لان مصدرها واحد .

ومما لا يحسن تركه هنا أنه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبدا في حضر أو سفر ، بل واظب على صلاتها ثلاثا في الحالين جميعا ، ولو كان اقتصاره على الركعتين في السفر اكتفاء بالواجب — لاشيأ آخر — لما كان هناك موجب لتمييزه المغرب من بين اخواتها باقامتها ثلاثا ، بل لا كتفى فيها بثنتين في ضمن ما اكتفى .

«٣» استدللت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرباعية) زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة .

ونقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلا على عدم وجوبها ، والا لازم ان تكون صلاتا الظهر والعصر غير واجبتين رأسا، لانه لاجهر فيهما أصلا

على ان الجهر وعـدمه ليسا من الفروض التي لاتقوم الصلاة الا بها ، بل هما من الهيئات التي لاتختل هي بدونها ، وأيضا فان قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما ان عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لاتسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تتوقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحيث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وصح عنده من نحو قوله عليه السلام « لاصلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في ان مابعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وان ورد انه الا كمل في الركعتين الاوليين من الصلوات الليلية ، وكونه الا كمل فيهما لايستدعي ان مابعدها ليس واجبا .

«٤» استدللت أيضا على ان القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) اذ كان تارة يزيد وتارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصليها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ انه ماصلى أبدا أقل من الركعتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فتعين ان يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

ونقول ان العبادات كلها وفي جملتها الصلاة منشقة الى فرض محتوم ، ونفل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الادلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيا بأن نسوق — ان شئت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا أبيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لايكون فيه أقل وأ كثر ، اذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من العبد الذي يخرج بادائه من عهدة التكليف فلا يتصور ان يكون مازاد عليهما واجبا ، والا لكان المقتصر على الركعتين غير قائم بالواجب وأنت لاتسلمه ، ولو كان الا كثر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركعتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتعين ان يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) ان الركعتين هما الواجب الذي لايجوز للمسلم ان ينقص منه، وان مافوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى انه ليس واجبا، بل قد صرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف ان الواجب عليه ركعتان فصلى أربعا شكرناه الخ) واذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان تعين ان يكون كل مازاد عليهما نفلا أي زيادة متطوعا بها، ولا عليك ان تسمى سنة ولا علينا ان نسميها زيادة أو نفلا. بل الذي يهمنا ان هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أوالواجب، فقولك (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) يجب ان تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفنا النظر أو لم نصرف اما سنة واما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص اذا سلمناها فهي لم تقع أصلا الا في الذي امتاز بأنه النفل، اذ المتنفل أو المتطوع له ان يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأسا مادام عمله في ذلك لمجرد اكتساب المثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم ان النبي عليه السلام كان تارة يزيد وتارة ينقص — في النافلة طبعا — قد نقلوا الينا نقلا متواترا لاشبهة فيه انه لم ينقص شيأ (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بأنه الفرض المشروع، بل واظب صلى الله عليه وسلم طول حياته الكريمة على اقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (الا في خوف أو سفر) لان نقص الفرض الذي ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع الكل على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملاحظة — اذا لم يكن منها بد — يجب ان توجه الى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلازم في بعض الصلاة — أي النفل — حالة واحدة، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص، فدل ذلك — في جملة مادل — على انها ليست فرضا محتوما من الله، وكونه لازم في بعضها — أي الفرض — حالة واحدة متقيدا بعدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه اذ صلى دائما في

المكتوبة (الا في خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعا، والمغرب ثلاثا، فدل ذلك — في جملة مادل — على انها القدر المفروض الذي لا مفر شرعا منه ، ولا متنكب لمسلم عنه، مصححا هذا النقل بشهادة كل الأمة، توارثوه عنه عليه السلام جيلا بعد جيل ، وتناقلوه قبيلا بعد قبيل ،

باب التربية والتعليم

« خاتمة كتاب اميل القرن التاسع عشر »

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندره في ١٥ مايو سنة ــ١٨

شهدت بالامس أيتها الحبيبة العزيزة عيدا أهليا أقامه الدكتور أراسم وزوجته احتفالا ببلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقا. كان العيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انتعاش جميع قلوب المدعوين ابتهاجا وسرورا وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده وما رأيته في حياتي أفصح مقالا منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن الازمان الحاضرة واقتضائها من المفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث والاختبار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أؤدي اليك أثر هذا الخطاب الابوي الذي كانت مزيته الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء

وما فرغ منه حتى اتجهت جميع الابصار نحو « أميل» وأنت قد استطعت من منذ عوده من انكلترا ان تعرفي ماهو متحل به من ثبات الرأي وعلو الآداب وسعة المعارف فشكر لاصدقاء أبيه أن تفضلوا باجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي الحقير بعبارات تشف عن لطف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارتقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فبين الخطة التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاه به صادر عن فكره المستقل

ثم تعاقبت الكؤوس وتوالت الانخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» الى والديه وآذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يعلمهما اياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين اذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام انه من الامس متفق مع دولوريس على التزوج بها

ثم أعقب هذا الاخبار ان انحنى امام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منكما استحسانكما لهذا الاختيار»

هنالك غشيت وجنتي الفتاة السمراوين سحابة من حمرة الخجل وأغضت عينيها فلألأت بين أهدابهما السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء

لم تجد السيدة هيلانه جوابا لمسئلة ابنها الا اكبابها على عنقه تقبله وقد كادت تختنق سرورا واغتباطا وأما ارسم فانه مع تأثره مثلها مما سمع من ولده كان أملك منها لعواطفه . أجاب ولده بصوت ينبئ عن سكينته ووداعته فقال : «اذا كنت تحبها فهي ابنتي» ثم قبل هذه الفتاة الحسناء بصدر منشرح ونفس منبسطة في خلال هذا المنظر المؤثر طرق البريد باب الشارع طرقتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة .

كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض ختامها لانه ما لبث أن عرف في عنوانها خط فويدوذ وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة انكليزية الزنجي — فاذا هي تتضمن تهنئة من هذا الافريقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاءه كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالغبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على خبر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حذقه وحذق زوجته وانها ربما كفلت لها صداقها عند الزواج

اني على جذلي باغتباط أصدقائنا محزون لتفكري في مفارقتهم لنا لان هذه الوليمة العيدية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعوهم اليها ماوقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم واني مشيعهم بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الاخيرة التي فاه بها عند مصافحتنا بصوت ملؤه الوقار والهيبة وهي قوله: «على كل منا أن يسعى في جعل ولده رجلا حرا فانا بذلك نجتث جراثيم الشرور المحزنة للامة... اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبيل ظهر يوم الاثنين أول جمادى الثانية من سنة ١٣٢٤ للهجرة النبوية الموافق للثالث والعشرين من شهر يوليه سنة ١٩٠٦ للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطبعه كتابا مستقلا أسأله سبحانه التوفيق والهداية للرشد　　المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المكتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضعها بين السطر التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها:

اذ قال: لكن لن يعدم المغلوبون سلاحا فالذي يبقى من السلاح في أيدي الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية وان تخضع الحكومة رعيتها ماداموا لايستكينون للخذلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب حقوقهم وأموالهم وتعدم من يسخطونها منهم وترهب انذالهم وتخدع جهالهم ولكن هيهات ان يكون هذا هو ظفرها النهائي بهم عنوة. لا تظفر بهم الا متى ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم. الامة الحرة وهي أمة المستقبل تزيد وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وستنتصر اذا تقوت بما تكتسبه من المعارف وبما يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور وبما تستفيده من القوى التي يختلسها العلم من الطبيعة

لا ريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يؤدي عملا سياسيا فلا بد فيه من ملكات وميل خاص ولكن لكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضيّ ولا من آرائي فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات أمته وانما عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تطعن في الاوضاع القديمة لهدم بنيانها بل لا بد ان يثبت لك العلم كذبها أو عدمها واذا أردت ان تظفر بخصمك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبته اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فانه غير كاف للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لا تفي بمطالبها ولذلك التجأت الحكومة لان تحرك همم الافراد وتهز من غيرتهم لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسابقوا الى الا كتتاب في انشاء المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على القيام من أنفسهم بمثل هذه الاعمال فانه لا يمر يوم الا ونرى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الغراس قد نما وأزهر فتجني أولادنا ثماره ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هنالك نقصا في التعليم يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير انهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى تخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامنية لان

الامة انتبهت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرته ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في أوربا ولا يصل الينا منها الا صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يرسم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئاً منها ولا يهتم بما كل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الاوربيين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام

ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمتنا لا يمكنها أن تعد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيأ من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشتغلون آناء الليل وأطراف النهار بالهدو والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم

هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجاتنا وانه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالاجمال المقصود منه

(أولا) ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانيا) ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على أي وجه كان

(ثالثا) ان اشتمال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي والتجهيزي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلا أو آجلا ومن ضمن ماترمي اليه غايتنا متعذر الآن لانه يكون مشروعا جسيما جدا وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان و يظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى ضررا أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه

دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما يتلقون منها

دروس تؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أوروبا تحت ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الايراد

(رابعا) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم في دفاترها و يلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها و يمتحنون فيها ويحصلون على شهاداتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليتفقه في العلم وليقتبس منها ما يتمم به كماله العلمي

(خامسا) أن جمعية المكتتبين تنتخب لجنتين احداهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بلوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتتابات من المتبرعين هذا هو مشروع أول من اكتتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم محفوفا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فتقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء انما سنسعى جهدنا لتحقيقه وإذا سعى كل سعينا فلا شك في نجاحه لانه لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الا أن يتحد الكل ويعمل الكل فكل يأس يدعو الى الخيبة وكل أمل يدعو الى النجاح على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فاننا نرجو الله أن يوفق لاتمامه غيرنا ممن وهب لهم همة أعلى وفكرا أسمى وحزما أقوى وأملا أوسع

وبعضهم وهم الاكثر يرون مشروعنا جزئيا ليس له من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوته وان التدرج في الامور أقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير أضمن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع دائرته فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بأن في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكاتفين الى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اهـ

(المنار) ان اللجنة التي اجتمعت لاول مرة في دار سعد باشا زغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أعضاء الدعوة وجعلت سعدا وكيل الرئيس الذي أرجئ انتخابه ثم إن سعدا عين ناظرا للمعارف العمومية فاضطر الى الاستقالة من الوكالة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكنه لا يزال يساعد اللجنة وقد اختير قاسم بك أمين وكيلا للجنة بعده وهو قرينه في الهمة والنشاط ويرجى أن يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكل في نجاح العمل

آثار علمية أدبية

كيف يكون النقد (*)

« كلام في كتاب التعليم والارشاد »

— ومسائل شتى —

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمتفكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتنكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين ·

وسرني ان كاتبه لم يأب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلهذا أقدمت على مالا يسوءه من نقد هذا الكتاب ·

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والطعن وليس كذلك وانما النقد هو التميز وكشف خوافي الشيء وتعرّف الجيد والرديء فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو رديء وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح ومالا يصلح · وفوائده كثيرة أهمها حمل الكاتبين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن ·

(*) كتب هذا النقد صديقنا الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحمصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلد المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كبعض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ نراه يعد" والخطأ المعدود لا ينقص قيمة صاحبه ·

وقد يكون الخطأ مما يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا شأني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل صعبة فاقتصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل مافيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو أزهري للذين ينادون على الازهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصى لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير ·

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لاني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وههنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو أبعد من هذا ولكنه بعد لا يعتد" به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير انفصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها « موجودة » وهذه عبارته (ص٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ···· ومرشدين ···· ودعاة ··· وفي (ص١٠) لا نعرف للدعاة اسماً عرفياً يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتى يضع لهم العرف اسماً ·· لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان «هذه الوظائف الثلاث موجودة» عند أهل كل دين من الاديان.

هذه عبارته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة «موجودة» «وغير موجودة» تناقضا صريحا لايحتمل التأويل ولايحتاج لاقامة دليل.

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعلم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته :

قال في (ص٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد فقليلا وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لايمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ.

وقال في (ص٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل.

ثم قال في (ص٨٥) واذا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في الاختلال وكان على علاته بمصر خيرا منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والغرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناطول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالا واختلالا

ثم قال (فى ص٨٨) ولقد كانت الحالة العلميـة في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع أخص في درجة سيئة جدا

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص١١٣) أن المسلمين لاتوجد فضيلة توجد في أمة من الامم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الطويلة نقضها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم فقراء أفذاذ لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد نقضها بكتابه كله من أوله الى آخره لأنه ناطق بمبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل واية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل مايشين هذه الامة المسكينة ؟ أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت معتلة مختلة فما ذا يصلح الفساد اذا فسد في الامة أهل هذه الوظائف — كما يقول — وهم الملح؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام؟أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمستجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى عرف مقدار الشر والفساد الواقعين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو بسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا المنصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجد واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها . . .

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابك ياصاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة ، وكتابك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسهبت فيها ولكن فاتك النظر الى سر هذا الفقر الذي ذكرت ، وسبب هذا التمزق الذي وصفت ، وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب ، ومن نتاج العيوب ، وأبو الكل الجهل وكفى

— الرابع —

قوله (ص١٦٤) في علم التوحيد انه من العلوم المضرة وانه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص١٣٤) انه والفقه هما العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ماعداهما من العلوم فانما هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرناها لك علمت ان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعلم الفقه والتوحيد وليس غيرهما بينهما من علوم المقاصد .

— الخامس —

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تفريط في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . ونقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) انه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقضات الصريحة وما نظنها وقعت منه الا ذهولا ولئن أزعج هذا الانتقاد نفس المؤلف فان الانزعاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على مرارة الانتقاد فكانت علاجا لذهوله كان ذلك خيرا له من الاباء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلاوة التقريظ التي قد تضر بصحة النهى والله ولينا وبه الاستهداء وكلنا يقع منا الذهول وقد سلف هنا وانما أعدناه قما لمادة النفس فمن شأنها الاباء على المذكرين

ومع هذه المناقضات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثيراً من الخطأ فنعده تابعاً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

— والثامن والتاسع —

كلها في قوله (ص ٩) انه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لانه ليس من المعاني التي يجزم كل أحد بها جزماً باتا عاما لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لانه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة به فقط نجده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا باسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدر كيف حكم على الاديان كلها وهو يجهل أسماءها دع عنك ما تنطوي عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليعلم أنها غير موجودة عند اليهود فكانه لما رآها موجودة عند النصارى

ظن انها موجودة مع تينك الوظيفتين اللتين سماهما عند أهل كل دين (٣) وفي تفريقه بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدّوا ما تحملوا يكونوا قد أرشدوا أودعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمرقهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من الغاشين الوضاعين المفترين على الدين — كما وصفهم هو — والغش والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؟ و(٤) في ايهام الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأ لا نحصيه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثلة من الخطأ بل يكاد اذا ضممنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أو ضحناه ان يكون في كل كلمة من كلماتها خطأة وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

— والرابع عشر —

(١) في قوله (ص٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله أن الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد فقليلا وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله إن الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ . و(٤) في قوله (ص٨٥ » ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل . و«٥» في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره .

قد سلف التنبيه على مافي هذه الجمل من المناقضات والآن نبين ما فيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يوقع صاحبنا في الخطأ العجلة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقراء البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستانة وهي أكبر بلد من بلاد الاتراك الجامعة لمعاهد العلم الكبرى فالبلية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الاستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأساتذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بغير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدهما مبني على التروي وشيء من الاستقراء والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يغلب في ظن القاريء أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؛

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله رديء وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حالته في الجزائر ولا في المغرب الاقصى ولكنني أظنه أردأ وأرذل . أقول كله رديء بحيث لا يصح ان يقال انه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن ما قاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً انما يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فاذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستانة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفا لا ينبغ فيهم خمسة عشر طالبا في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فنطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الاتراك من خمسين سنة الى الآن . لعمرك إن في قوله هذا مبالغة لا أغرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع . .

وبما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

العوجاء ولكن الذي لا أراه هو ما صنعه المؤلف بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي ، على أنني مع هذا الانكار لا أدخل في المفاضلة بين ذكاء التركي والمصري وانما المناقشة بصدد طريقة التعليم لهذا وذاك وهي عوجاء هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد .

وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأنا واياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدهما المؤلف اللهم إلا نفرا أكرمهم الله واختصهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ، فاقتطفوا شيئاً من ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فميزوا الصحيح من الفاسد ، والرابح من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبنى عليه الاحكام العامة ، ولا تتم به المقارنة التامة .

نعم تمتاز الشام — ونرجو مثل ذلك لمصر — بأنها ليس لها أزهر تحشر فيه هذه القطعان وانما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الاستاذ أقل من ذلك مظهراً وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام يحترفون بالتجارة وينفرون من البطالة أو الارتزاق من الاوقاف نفرة الازهر من النظافة وتراهم فلا يميزك منهم التميز بالعلامة كتوسيع الاكمام وتعظيم العمامة وجملة القول ان لا فرق بين البلدين الا بالازهر والتقلل من الحواشي في الشام واما التحصيل وعدمه فالمحصل في الشام كالمحصل في مصر لا يفضله ، والمقصر في الشام كالمقصر في مصر لا ينقص عنه ، والمحصلون قليل في البلدين ، والمقصرون فيهما هم الاكثرون .

واما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطلعين على الأحوال فانبأونا بأن حال التعليم هناك كحاله في الشام حذو العين بالعين ، وانه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ، والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا لجملة من حملة العلوم هناك جملة من الكتب في جملة من فنون العلم فألفينا ما رأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القارىء أنه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالحال والمآل .   (للانتقاد بقية)

—*﴿ ديوان الرافعي ﴾*—

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أي دهر مصر لا تتندم ... وفي أي دهر مصر لا تتظلم
بنوها بنوها أيما تلك صدمة ... تقلبهم للجانبين فهم هم
وما يتقون البؤس لكنهم متى ... تعض بهم انيابه يتألموا
ويبطرهم عهد الرخاء فان مضى ... فسهل عليهم بعد أن يتندموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يمش ... يعذبه أهلوه والا ترحموا
وما برحوا إن خاذلتهم ظنونهم ... وأعمالهم مدوا المنى وتوهموا
وان سقمت آراؤهم في ملمة ... تحامل فيها الظن والظن أسقم
فرادى وأحداث الزمان جميعة ... وقد علموا سر الزمان وعلموا
فمن حادث في حادث عند حادث ... كأنك للأحداث يا مصر معجم

***

ومما يزيد الهم لهفا وحسرة ... تصايح فتيان بنا أن تقدموا
فسبحانك اللهم بلبلت قومنا ... فما يفهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري الى مرتقى العلا ... رجال ضعاف ان جروا يتحطموا
ويبغون ان نرقي وهاتيك حالنا ... وما عندنا الا لأسفل سلم
كمن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي ... يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أوقر السفن المتاع بمصنع ... ولما يتموها فكيف تعوم

وقال من قصيدة غزلية

كم تجنى التي أحب وعندي ... أن بعض العصيان كالطاعات
ان رأتني يدق ناقوس قلبي ... من جفاها كدقة الأموات
فهي ظلمة الليالي اذا ما ... غشت الارض والسما هفواتي
أوليس الظلام يعقبه الصبح ... ويمحى الآيات بالآيات
غير اني لو كانت الشهب أقلا ... مي وكان الظلام حبر دواتي

ووصفت الذي أقاسي من الحب　　وكان الوجود من صفحاتي
لانطوى الكون ثم أبصرت في آ　　خر أوراقه (البقية تأتي)

هذا وأني لا أتكلم في انتقاد الديوان ولكنني أنصح للناظم ان يفكر عند النظم أو عند التنقيح في معاني الابيات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارئ لا في التأثير فقط فان من تخيلاته أو من أبياته ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى اذا تأمله القارئ لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية ترجمها عن الفرنسية نقولا أفندي رزق الله مدير أعمال جريدتي الاهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإمعان واعتبار يرى فيها فائدتين احداهما سياسية وهي ما تمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعوانهم بظهورهم للناس بلباس العدل والتفاني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذ اخلوا بأنفسهم لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والدسائس فجميع بطانة نابليون كانوا من الأشرار المفتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المعادين للأحرار والاخيار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالدسائس والحيل والتزوير والختل وما أنسى لا أنسى ذلك الذي ألف كتابا في مفاسد القمار فأحسن مكافأته نابليون وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المؤلفات التي تطهر البلاد من هذا الفساد ولو صدق وأخلص لطهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا وهكذا شأن الملوك وأعوانهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والفائدة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادما في الاصطبل فارتقى بجده وكده حتى صار عالما سياسيا وغنيا سخيا وفاضلا وفيا فحارب دسائس حزب العاهل المظيم حتى فاز بمراده وثأر للمحسنين الى أهله وأولاده، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك همة المستعد للاستقلال، حتى ينهض بجلائل الأعمال، وثمن القصة ثلاثون قرشا صحيحا

باب الاخبار والآراء

كلمات في الاستاذ الامام — ذكرنا بعضها في ترجمته

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ماظهر من اجلال الامة له حيا وميتا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الغازي : اني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوربا) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة بفقده لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد في مرض موته : اننا كلنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الامة في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا تعوض

وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فنرغب اليكم ان تعملوا عملا لترقية المسلمين في مصر فانهم لم يتعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعملوا انتم وعلي أن أساعدكم فمن لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهمهم أمر الامة ويقدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجلان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقي : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بعقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بعلاه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع المؤبنين عند القبر يكررون كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله

﴿ دولتا الاسلام ، تركيا وايران ﴾

ياحسرة على المسلمين ، ماذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثرهم عن مثاره غافلون ، لم يكد تتمتع منهم الآذان ، بنغمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ، حتى صختها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزمها ، أو كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من بعض حتى لايتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة باردة له . والا فما لنا الآن ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا ولاعتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرتطمون في فتنة اليمن الذي توالت السنون ولم ننل من الثائرين فيها منالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونخرب بيوتنا بأيدينا

ياحسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين جاءته هذه البلايا، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البرآء ويبرىء الجناة الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هؤلاء مسلمو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تتحد عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٤٩ : ٩ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي

تبغي حتى تفئ الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول المحكم مبني على أساس حكم الاسلام وهو كون حكم المسلمين شورى بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله ان القتال لم يمتد ونسأله ان يهب للفريقين التوفيق للوفاق حتى لا تمتد الفتنة .

﴿ الامتحان في الجامع الأزهر ﴾

ألفت ادارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعا لامتحان الذين أتموا مدة الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كبراء الشيوخ ان يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شاكرا نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الأزهريين المنصفين يفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر ويقظته فله الشكر والثناء الحسن . ولعل ما سمعناه من أخبار التساهل وإعطاء الدرجات لافراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شاكرا يعني بتحقيق الحق في ذلك

﴿ أخبار نجد ﴾

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية الى نجد ستة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر سامي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برّح بأولئك الجنود حتى كانوا يجمعون الحنظل من القفر ويستخرجون بذره فيغلونه على النار حتى تخف مرارته فيتبلغون به ولكن سمه يفعل في احشائهم فعله ومازال الجوع والعرى وسم الحنظل تفتك بهم حتى لم يبق منهم الا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل نقلت سبع مئة منهم الى البصرة والباقين الى المدينة المنورة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ — أوله الاثنين ١٧ ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الاصول والعقائد

فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقلد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، اولئك الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر — ٣٩ : ١٨)

اللهم اجعلنا من عبادك الهادين المهديين ، واجعلنا من الائمة الوارثين، الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين،

وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز الى رشد وعقل. لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم فخاطبهم طوراً بما يناسب مدركات الحس ، وطورا بما يناسب وجدان النفس ، وحملهم أولا على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانياً بالاقناع وضرب الأمثال . حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل، فامتاز دينه على سائر الأديان، بأنه دين الحجة والبرهان، الناعي على متبعي الاوهام الظنون، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، بل وصفهم بمثل قوله « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »

كتاب احتج على صحة العقائد بآيات الله في الأنفس والآفاق، وبين فوائد ما دعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن، ونبه على مفاسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبنفي الجرح والاعنات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين — هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لفسادهم وشقوتهم (١٢ : ١٠٨ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » ووصف من اتبعه بقوله (٢٥ : ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهباً للأهواء، أو مثاراً لاختلاف الآراء، أو مجالا لتحزب العلماء، أو آلة لسلطان الرؤساء، فهو الحنيفية السمحة ليلها كنهارها كما ورد عمن جاء به صلى الله عليه وسلم (٦ : ١٥٣ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه السورة (١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقال في سورة آل عمران (٣: ١٠٣ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية ثم قال بعد آية أخرى منها (١٠٥ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال عز وجل (٣٠: ٣٠ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وثم آيات أخرى في التنفير عن التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين؟ هل ظلوا على البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخروا عليها صما وعميانا؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل الكثيرة فتفرقت بهم عن سبيله؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعة تعادي الأخرى لمخالفتها اياها في المذهب، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب؟

اذا كان الخلاف طبيعياً في البشر، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم اذا تمادت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤: ٥٩ فإن

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذي تبعه التنازع الديني فتفرقوا شيعاً كل شيعة تنتحل مذهباً تتخذه حجة لنفسها على سائر المسلمين فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولا يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فبما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه، واما خسرانهم الآخرة فبما ابتدع جماهيرهم في الدين، واتبعوا غير سبيل المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن، الذي وصفهم بما لا ينطبق على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فآتاهم بطاعتهم ما سلبه من الخالفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج بل بين المنتسبين الي السنة بعضهم مع بعض — بين الاشاعرة والحنابلة بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج يأجوج ومأجوج ويقول انهم هم التتار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا ايمان لهم ولا أيمان الا من حفظ الله من أفراد متفرقين يحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وازالة الخلاف واعادة الاخوة الدينية الى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو الى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الامام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقا بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن ان شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٢٣ : ٦٨ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يعدهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يبدل خوفهم بالأمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلا ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانما هم المخلفون، «١١ : ١١٧ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرون على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقلتهم أمسوا غرباء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذ أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أمر يطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الأمة فكأنهم ليسوا منها

أتى على الأمة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكلتهما ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة ألقي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ،

ثم اشتد ضغط السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة الي الاصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة وطفقوا يتنسمون ريح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون الى الاصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى الاصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ،

لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فاغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح • وقد كتبنا في مجلة «المنار» التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ماهو من انشائنا ومنها ما نقلناه عن الامام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى • من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبينا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات • وقد اقترح علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملا خالصاً لوجهه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

فصل المقال في توسل الجهال

ألف الشيخ أبو بكر خوقير المكي أحد علماء مكة المكرمة كتابًا جديدًا سماه (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال) واسمه يدل على مسماه وقد أحسن فيه ونصر السنة وخذل البدعة وقد طبع في هذه الايام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر التلمساني الفاضل السلفي وانما نورد خاتمته على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب المكي في رسالته في التوحيد فانه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووفقه: الأمر انه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتبا على تصرف آخر كأن يخلق شيئا ويخلق بذلك شيئا آخر وهذا هو القول بالاسباب ولكن مع الاعتراف بان الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذا بعموم قوله تعالى (انما أمرنا لشيء اذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المنهمكين في الاولياء من أن لهم التصرف وان الله أعطاهم تصرفا في العالم وانهم يولون ويعزون ويذلون ... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيهما من شرك) بخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضا على المعتزلة اذ العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون مانعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية ماثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه. وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك باني أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضاً من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ـ أمر ان لاتعبدوا الا اياه ـ قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ـ فلا تدعوا مع الله أحدا ـ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال ياشيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين) .

واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه فأطاعه مطلقاً فان الله سمى ذلك المطيع عابدا لذلك المطاع ومتخذه ربا قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان — يا أبت لا تعبد الشيطان — اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا — أرأيت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير الله ولا أن يدعوه وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء مخ العبادة وأما من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله مكروها كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه أولى من هذه الحيثية وسدا للذرائع لان الجهلة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجويز مع ضعفها فانها لا تفيد الا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع بقربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من المبتدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة ياشيخ عبد القادر شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند ابحاث شريفة

في هذا المقام لا نقدر على ايرادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت لولم يقيض الله أولئك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مادار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ماحصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف مايفتريه الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الالباب وهذه كتبهما قد نشرها الطبع فنطقت بالحق وقبلها الطبع فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحاكم بينهم بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فمزق عنه حجب الاستبداد وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويعذرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته

الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الارض منهم « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذا باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوما من الايام وهو يقول سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تامرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب على فخذي وقال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها البيهقي وغيره وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذ شذ الله به في النار ١٠١

عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا اله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيع لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل. ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قائما بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين تشبيها له بابراهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اه

باب المقالات

الأمل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم ، اختص الله به الانسان ، ورفعه به على سائر الاكوان ، ليبلغ به المقام المحمود ، ويحوز ماأعدته له العناية الالهية من الكمال اللائق به . راجع نفسك ، واصغ لمناجاة سرك ، تجد في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتمامها تجد مثل ذلك في كليتها كما هو في آحادها تبتغي رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها . ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفرداً ومجتمعا : ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل ، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يضعف حرصه ، ولا ينقص ميله . يقطع شعابا ، ويعاني صعابا ، حتى يرقى ذروة المجد ، ويتسنم شاهق العزة ، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأيته يتململ ويتضجر كأنما يتقلب على

(*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

الرمضاء . لو سبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الامر والنهي كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم و يأنف من ضعته فيهم ويحرص على ما يحله في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيره مادام حيا يخطر في بسيط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حد ولا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده ثمرة حياته وغاية وجوده حتى انه يحتقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه، أو عند يأسه والخوف من سلبه . أرأيت أن فقيراً ذا أسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهينه أو قذفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما نقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشنت مضجعه في مبيته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعا عن الشرف أو طلبا للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهنأ للانسان طعام ولا شراب ولا يلين له مضجع الا أن يلحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يحتمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخارا أو ليحفظ ما آتاه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة يسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قرير العين بما قارب منه، آسف الفؤاد على ما قصر عنه ·

ماهو المجد الذي يسعى اليه الانسان بالالهام الآلهي ويخوض الاخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله؟هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بالسؤدد وتذعن له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته وكلمة المتصلين به والمتحدين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الاولى · فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين · واها! تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الأمة حظها من السؤدد نعم وهل نال ما نال الا بمعونة سائر الآحاد منها« ذلك تقدير العزيز العليم» · ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان همه أن يصعد الى عرش العزة و يرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمنتمين اليه لتحصيل كل ما يعد في العالم فضيلة وكمالا · ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحتمل النفوس في قضاء بعض الوطر مما يتصل به وما أعظم الحامل للأنفس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع · ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب و يقرب كل بعيد و يصغر كل عظيم و يلين كل خشن و يسليها عن جميع الآلام ويرضيها بالتعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟ هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعال هو الامل ·

الأمل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بيداء الكروب ، وعلم هاد في مجاهيل المشكلات ، وحاكم قاهر للعزائم اذا اعترتها فترة ، ومستفز للهمم ان عرض لها سكون ، ليس الامل هو الامنية والتشهي اللذان يلمحهما الذهن تارة بعد أخرى و يعبر عنهما بليت لي كذا من المال وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش واللهو عما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبذل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهجس بخاطره بدون أن يصيب تعبا أو يلاقي مشقة . انما الأمل رجاء يتبعه عمل ويصحبه حمل النفس على المكاره، وعرك لها في المشاق والمتاعب ، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد ، وتهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغو اذا لم تفد بنيل الارب فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلا عن المال الذي لا يقصد منه الا وقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمرا فطريا كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان داعيا للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملا تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به للآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم امجادا شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاحموا في الأعمال كما تزاحموا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في الهمم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخلتين الشريفتين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤل الضعف الى اليأس والقنوط (نعوذ بالله منهما)

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم ويحكمون على أنفسهم بالحطة، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة ، فيأتون الدنايا ويتعاطون الرذائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك أيا كان فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم فلا يهتمون الا بحاجات بطونهم وذبذبهم ثم يا ليتهم يكونون هملا وسوائب يرعون النبات ويتبعون مواقع الغيث ولكنهم وان تركوا

العمل لأ نفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمال الحمالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشق ليسعد غيرها ويستريح فيعالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرهما من الاعمال الشاقة ويدأبون بأشد مما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً . ثمرات كسبهم بأسرها محولة الى الذين سادوا عليهم بهممهم (هذا الذى يتجشمه الذليل في ذله من مشاق الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها) بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة فإن السائدين يشعرون بحكم البداهة أن هؤلاء أسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوينهم على الشكل الانساني وايداعهم ما اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت في أيدي الاجانب . . . .

ونظن أن يوجد أقوام أخر سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم الآن ما لا تسام به السوائم الراعية وهم على القرب منا وليسوا ببعيد عنا .

عجبا كيف تتبدل أحكام الجبلة وكيف يمحي أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس حتى لا تطلب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة طبيعيان في الانسان . بعد إمعان النظر نجد السبب في ذلك ظن الانسان أن جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان أعماله وليس فوق يده يد تمده بالمعونة أو تصده بالقهر فاذا صادفته الموانع مرة بعد اخرى وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الي قدرته فوجدها فانية، وقوته فرآها واهنة، فيعترف بوهنه، ويسكن الى عجزه ، فييأس ويقنط ، ويذل ويسفل، اعتقادا منه بأنه لا دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتي كانت قوة المانع أعظم من قوته فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدي .

أما لو أيقن بان لهذا الكون مدبرا عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتغتال آماله غائلة القنوط فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن اليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكلما أغلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يمل ولا يكل ولا تدركه السآمة لاعتقاده أن في قدرة مدبر الكون أن يقهر الأعزاء ويلقي قيادهم الى الاذلاء وان يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضعفاء من نواصي الاقوياء — وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار — فتشتد عزيمته ويدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الاولى والآخرة وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط وييأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريبة فيها بما قال وهو أصدق القائلين « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » وبما حكى من قول نبيه ابراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة .

لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في اعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضيم ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عظاما ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بسيط الارض وان من الحق ان ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها ، والفرص دائما تمد ايديها اليهم تطلب انهاضهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الاولى والصعود الى مقامهم الاول الا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملتهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين ؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والغي فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ هل يكون للقانطين فيهم من عذر ؛ أيرضون بالعبودية للاجانب بعد تلك السيادة العليا ؟ ماذا يبتغون من الحياة ان كانت في ذل واهانة وفقر وفاقة وشقاء دائم بيد عدو غاشم ؟ يطمئنون وهم بين اجنبي حاكم وبغيض شامت ومقبح غبي ومشنع دني ومعير خسيس يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحكمون بأن محال عليهم أن يصيروا أمة في عداد الامم ؟ اذا لم ينسلخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات أينسون انهم كانوا الاعلين في الارض وما طال على ذلك الزمان ، ولا محيت التواريخ ، ولا عفت الآثار ، ولا اضمحلت بالكلية شوكة المسلمين من وجه الارض ؟ ان كان للعامة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه ؟ لم لا يسعون في توحيد متفرق المسلمين ؟ لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم ؟ لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم ؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم ، بلى ان قوما شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا ان أملنا في بقية المسلمين ان يقفوا معهم ويقوموا بتعضيدهم ليتمكن الجميع من نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكونهم (*

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في إيمانهم وثباتا في يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض وما

*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٣ من تاريخ الاستاذ الامام

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين و يشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج بالحوقلة والاسترجاع و يعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان و يستفزه الغضب ويدفعه لحكاية مارأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب ·

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم و بعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم و بالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان ·

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من الهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعرة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتألمون . . . .

. . . .

تمسك المسلمين بتلك العقائد واحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب و يدعو الى الحيرة و يسبق الى بيان السبب فخذ مجملا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الي مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا وكل فكر يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في الاجساد وكل قبيل هو للآخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات وتلجيء اليه الحاجات عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع وتضافرهم على دفع المضار و بعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذا يصرفه في آثارها بقية الاجل و يكون انبساط النفس لعون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا مجرى الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعيا . فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة و يؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه أو الجأته ضرورة الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ما ذكرنا فى رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكالها فلن يكون منشأ لآثاره وانما يعد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في تباطؤهم عن نصرة اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لا أنساب بينهم وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته . كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الاندلس . تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكزخان وأولاده وتيمورلنك وأحفاده وايقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلوهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الى ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة وتبعث على اشتباك الوشيجة وصار ما في العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفائت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس يخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل ·

الا انا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين إلى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب الغيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يمسها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بخيت = تابع لما في الجزء التاسع ﴾

﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم مما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذى استنبط منه الشيخ بخيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفتهم كافرا لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن فحكم البخاري بأنه لا يجوز الرواية عنه وقال وكيع انه كان يضع الحديث أي يختلقه وينسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمتابعة عبد الملك بن حبيب له لا يعتد بها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعته فاننا لا نحكم بأن الحديث يرتقى بها الى درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتج به .

اما ما أكثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكارته أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل مارويه ضعيفا أو منكراً أو موضوعا في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وان كان فيما نقله عن المتأخرين - كالمناوي والزبيدي بل والفاسي - ما يوهم الجاهل بالحديث ما يوهم . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا تجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعا وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما يتفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا تجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يغتر به أحد وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . ثم انه يجوز عقلا ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفا بل أكثرهم كذبا ووضعاً ماله أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتج بها لاحتمال صدقه عقلا . واذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره من الثقات فانما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول فى استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيتا لا يعرف له سندا يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض الفقهاء به في غير مسألتنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون على بينة في استنباطه والا فليقف عندما قاله الفقهاء ولم يقل ان أحداً منهم قال ان الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافرا وانه قلده في ذلك.

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله أي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه العلماء بالقبول وان طعن فيه أهل الحديث ما نصه: «وقد علمت ان حديث جابر الذي نحن بصدده قد تعددت طرقه وروي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكر في كثير من السنن وكتب الحديث كما مر وله شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة واجماع الامة وأصول الشريعة» اه

أقول بعد الاستعاذة بالله من مثل هذه الجرأة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع ان الحديث لم تتعدد طرقه بل هي طريق واحدة — وانه لم يرو عن أبي سعيد وانما روي عنه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يعد تقوية له فيه وانما تقوي الروايات بعضها بعضا فيما تشترك فيه وليس في حديث أبي سعيد النهي عن إمامة الفاجر للمؤمن الا عند الخوف — وانه لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وانما ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي اما البيهقي فقد ذكره ليبين انه لا يحتج به واما ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له ما نصه:

«وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره والمشهور ان ما انفرد به يكون ضعيفا وليس بكلي لكن الغالب كذلك» ثم نقل ان السيوطي قال في حاشية النسائي نقلا عن غيره «ان ابن ماجه قد انفرد باخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ووضع الاحاديث وبعض تلك الاحاديث لا تعرف الا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك واسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم » ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب العلل لابي حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في الرتبة فلذلك أخرجه كثير من عده في جملة الصحاح الستة لكن غالب المتأخرين على انه سادس الستة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع مناظرتنا يعد مما انفرد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيحا البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط ايهامه قوة الحديث باخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي الى اثنين من الصحابة .

وأما قوله ان له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه باشتماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الامر بالتوبة (٢) الدلالة على اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها وتهاونا أو جحدا لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن إمامة الفاجر للمؤمن كذلك .

أقول ان التدليس أو الايهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم مما سبق لمن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تمد تأييدا له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة اسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم فان من الاحاديث الموضوعة باتفاق المحدثين ما هو صحيح المعنى لموافقة معناه كالكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا تجوز نسبته الي النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته الا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . هذا هو الحكم فيهما اذا كان متنهما كله صحيحا مؤيدا بما ذكر وأما اذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقوي المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

مثاله أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وإياكم وشرب القهوة : وادعى

ان هذا حديث فهل يباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح معنى لأنه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشتماله على الامر بالتقوى ؟ لا يباح ذلك فان موافقته لما ذكر بالأمر بالتقوى لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بخيت تأييد حديث جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتج به على جواز كون السلطان الذي يأذن بالجمعة ويولي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشتمال حديث جابر على هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتملا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور بتأييده بالكتاب والسنة فانه يخرج بنا الى تطويل لا حاجة اليه في موضع النزاع ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وانما نذكر من ذلك ماله علاقة بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة — أي ولو كان كافرا على حسب استنباطه — فعزاه الى الحنفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى « الى ذكر الله » اذ لا بد في الذكر من ذاكر وهو من له ولاية الاقامة . ونقول اذا كان الشيخ بخيت مقلدا بحتا لهؤلاء الحنفية وان لم يظهر له صحة دليلهم فماله وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها من ولاية ولو لكافر يأذن بها وانه يجب ان يكون المصلي الذي يسعى اليه هو صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !!! أليس المتبادر من الآية فاسعوا الى أداء هذه الصلاة التي نوديتم لها ؟ هل يقول الشيخ بخيت ان قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على انه يشترط في قراءة القرآن أذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا و بين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) وكل منهما شرط وجزاء ؟ فإن كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي للجمعة لا بد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ماهو وصف من ينسب الى القرآن ما ليس فيه وماهو جزاؤه ؟ ولعل الشيخ بخيتا يذكر لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الحنفية لنعلم هل هو من طبقة مجتهديهم أم لا واني أخشى ان يكون عزوه ذلك الى الحنفية كعزوه الحديث الى كتب السنن أو . . .

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالآثار الصحيحة ما نصه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفا أربع الى السلطان وذكر منها الجمعة والعيدين والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا مدخل للرأي فيه » اه

أقول في فتح القدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جعله رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل جهل صاحب الفتح وغيره من شراح الهداية ومحشيها هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجة من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا مدخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثا موقوفا وله حكم المرفوع واذاً لماذا اسماه أثرا ؟ أم تعمد تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئين لرسالته ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الاثر من المحدثين ليرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ لعله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو بالنقل عن البرق الوميض أو النافي عن صاحبه الحافظ الكتاني الفاسي أو عن كتبه !!! ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ماذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتج به فان قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لا أن صحة صلاة الجمعة مشروطة بإذن السلاطين لا تنعقد ولا يقبلها الله تعالى الا اذا أذن بها السلطان وإن كان كافرا

ثم قال الشيخ بخيت بعد ماتقدم « ومافاله ابن المنذر مضت السنة ان الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره وقال في التلويح اذا قال الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام » اه

أقول السنة في الاصل الطريقة والعادة والسيرة ولأهل الاصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات معروفة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتج به أم لا قيل يحتج به لان الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعادتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وان كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لان العبرة بما يرويه لا بما يقوله فكيف اذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها اللغوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لانه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم انه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون اذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لاسيما اذا كان كافرا على مذهب الشيخ بخيت بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالامامة والخطابة فيها اذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عند ما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحتمل أنها كانت باذن وإن لم ينقل لا يفيد الا اذا كان هنالك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يعتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذى هو موضوع بحثنا لا يحتج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » انما هو مع سائر القيود لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه اذا ترك الجمعة وهو ليس له امام بأن كان تحت سلطة الحربيين الذين يمنعون المسلمين من اقامة الشعائر يكون له عذر

وههنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله امام عادل أو

جائر استخفافا بها أو جحودا لها فلا جمع الله شمله » الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو مقيد بكل منهما ؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليله أن الجمعة تؤدى بجمع عظيم والتقدم على الجمع يعد شرفا ولذلك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط ان يكون التقدم لذي سلطان يعتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعا للفتنة وتتميما لأمر الجمعة ولنا ان نبطل هذه الشبهة التي جعلها دليلا معقولا بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لاسيما اذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيرا وكما هو المطلوب شرعا لاسيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة اذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكروها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن باقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحا لتلافاه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشتهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا تحل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله ردءا دون صلاة الجمعة مانعا من تركها هو الآن كما كان قبل الآن سببا في تركها عند من اعتقده اذ يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلا الوصول الى اذن من القيصر باقامة الجمعة فأي فتنة تحذر من اتفاقهم على اقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب الى العقل وأحفظ للدين مما ذكره

وأما الامر الثالث مما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها أو تهاونا أو جحدا لها فلا نبحث فيه وان كان فيما قاله بحث لأنه ليس من موضوعنا في شيء

وأما الامر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بخيت فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح من حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بانه لا دليل في الباب سواه أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان اذاً مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!!

وأما الامر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بخيت (في ص ٥٠) فيه « والمراد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابلته بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً . . . ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أيما أعرابي حج ثم هاجر فعليه أن يحج حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤمنكم ذو جرأة في دينه » وحديث « اجعلوا أئمتكم خياركم » وهو استدلال بديهي البطلان فلا نطيل فيه ولا نتكلم عن هذه الاحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالاعرابي من يسكن البوادي وان كان ورعاً زاهداً عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر . وتوسل بذلك الى قوله « ولكن المعترض قد أبى الا أن يكون جميع الأعراب قسما واحدا وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفا في ذلك كتاب ربه سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المعترض المخالف لكتاب الله » اه !!

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والتتار والعجم وسائر بلاد المسلمين الى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم امامهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة الى الأزهر لاجل طلب العلم مضيعة للمال والوقت لأن منتهى العلم فيه ايراد الاحتمالات في الضروريات والبديهيات ، اتفقت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقه على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم فجاء الشيخ بخيت المستنبط الأزهري الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول إن الاعرابي هو المقيم في البادية مخالف لكتاب الله تعالى . أليس هذا العلم أو الجهل مما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل اليه أحد الا بخذلان من الله !!

قال في القاموس : « العرب بالضم و بالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار أو عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له و يجمع على أعاريب » وقال شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لأنه (لا واحد له) كما في الصحاح وهو نص كلام سيبويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب » ثم قال « وحكى الأزهري رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن فصيحا وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد الكلأ وتتبع مساقط الغيث وسواء كان من العرب أو من مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب والأعرابي اذا قيل له ياعربي فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له ياأعرابي غضب فمن نزل البادية أو جاور البادين فظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء . وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لا رغبة في الاسلام فسماهم الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهري والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة فان لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعما ورعوا مساقط الغيث بعد ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد تعربوا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا وفي الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جعل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب سكان البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها الا لحاجة » اه

أقول وإذا رجعت الى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لا تجد للاعرابي تفسيرا غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بخيت ما قاله لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساما منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج عن كونه أعرابيا لغة وعرفا وصار حضريا مهاجرا وكذلك من ترك البادية وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الاعراب والبدو ويصير من أهل الحضارة . فقول الشيخ بخيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن البوادي وان كان عالما ورعا زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث بل ربما يكون اقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الاولى في الامامة في الصلاة بالتقدم عملا بعموم الاحاديث الواردة بتقديم الاقرأ ثم الاعلم مطلقا » : لا يقوله الا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون العلم عنده عبارة عن ايراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل الأزهر الا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقليل ما هم . اما اللغة والتفسير والحديث فلما تقدم واما السيرة النبوية فلا يجهل من اطلع عليها ان الاعراب لم يكن منهم علماء فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى اذا اجتمعا — كأن ألم المهاجر بالبادية أوجاء البدوي المدينة لحاجة — يقدم الاعرابي في الامامة على المهاجر بعلمه وقراءته وفقهه لان القراءة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر الا النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟؟ اللهم ان احتمالات أكثر الازهريين لا يحتملها عقل غيرهم من عبادك وان من احتمالات الشيخ بخيت ما لا يكاد يحتمله عقل أحد من الازهريين ، حتى يوافقوه على زعمه اننا خالفنا كتاب الله في تفسير الاعراب والمهاجرين ، وانما كان هو المخالف لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،　　(للرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله

حضرة العلامة الأستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء أمده الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد من بعده ،

سعد حظي أيدكم الله بما أمننتم به عليّ من اعتباركم لي مشتركا في مجلتكم التي تقشع بمظهرها سحاب الضلال ، والبدع التي أحدقت بالأمة ذات اليمين وذات الشمال ، والخرافات التي انصبغت بصبغة الدين ، والأوهام التي لعبت بعقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ همتك لارشاد أمتك فأوضح للساري بمنارك المحجة « ومن يهد الله فما له من مضل » سيما وقد شفعت ذلك بفتح باب الاسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة للأمة ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، وقد حملني فضلكم هذا على تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الاخيرة قصداً لأداء صلاة العشاء مع الجماعة فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتاً مرتفعة وقد رجت الارض رجاً فحسبت أن الجرة احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثر لغط القوم على ما أعرفه عنهم عند حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عدداً كثيراً من نوع الانسان ينيف على الخمسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصبب جبينه عرقاً فعلمت أن رجة الارض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعادا علي السؤال : كيف يسمى في جنون من عقل ؟ فقلت وأنى لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لما فكروا في مثل هذا وتجرءوا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله تعالى كما أمره بقوله ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴾ وهذا ان لم يكن لهؤلاء المجانين شغل تعجل منفعته والا فليحملوا فوق هذه الاوزار أوزارا ، وليستعدوا العذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله أنصارا ،

ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم ليت شعري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترديدهم كلمة التوحيد؟ ان نطقت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم باتخاذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونقصها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدفين مكناس الشيخ محمد بن عيسى يتلونها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدانية لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آبائهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المقلدين، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالف في ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الخرفات والأوهام ، والعمل بر أي ليست في الحقيقة الا أضغاث أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « تنزه عن المكان » فقال اني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكافحنا بمثل هذا المقال ، فان كلام الأولياء لا تصل اليه الأفكار ، ولا تتوجه نحو إدراك حقيقته الأنظار ، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطمست سرائرهم ، وقال سبحانك أعوذ بك من هؤلاء الضالين: فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن ترددما لا تفهم ثم أعرضت عنه فلاطفه أحد شقيقي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

ولعلي أطلت ذيل المقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ماهذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السمع « أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا » وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال : أين أنت ياقطب مكناس والجرس الاكبر بديوان الصالحين والغوث المتصرف في السماوات والارض مزق هذا المعترض كل ممزق : فقلت أنتم وايم الله تشركون من حيث لاتشعرون أتدعون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم وما القطب والحرس والغوث الا كلمات تدل على معان يعرفها اللغوي فجعلتموها أعلاماً لافراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

تزعمون انكم مسلمون وقد دعوتم غير الله تعالى

تزعمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان . أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فردوا علي اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت ببركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العبث والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دليل أم تقولون على الله مالا تعلمون

سيدي هل في كلماتي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي لن يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيقين سلاما ، وتحية كواملها اجلالا لقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والخلة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الاخيرة سنة ١٣٢٤　　ح · ي ·

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولا نرى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المتكلم ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل وانما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف · نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتقاد العامة علمهم وصلاحهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تتوكأ في بدعها عليهم وهم يتحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما ينفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدريج ولكل مقام مقال وانما يخاطب الناس على قدر عقولهم فعسى أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « وان يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقيه السلام ·

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يعيشون بأكل السحت ومخادعة العوام قلما يسمعون أو يعقلون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالهم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣ س) من الدكتور علي افندي رياض (بالفنت — فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الغراء

أقدم وافر احترامي لجنابكم ثم أتجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايتي منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلا لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

لقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتكم الغراء فرأيت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « ولما كان العلم ضوءا يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (إقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضا طبع مطبعة مجلتكم الغراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يغير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير ؟ ألتمس بكل أدب إفادتنا عند ذلك لاجل اتباع الاصوب مع قبول وافر احترامي ؟

(ج) ما من عالم ولا إمام الا و يقول أقوالا ثم يرجع عنها لأن غير المعصوم لا يحيط بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداء وقد نقل عن الامام مالك أنه كان يبكي قبل موته لأن أناسا أخذوا عنه أقوالا في الدين رجع عنها بعد ذلك. إذاً لا عجب إذا قال الاستاذ الامام قولا ثم رجع عنه. والعمدة في بيان رأيه مطلقا أو رأيه الأخير في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد بعد تفصيلا لما نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر. ولا يخفى أن كلامي في تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليسا من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشىء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبعده. وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة ثم قرأته عليه ونقحته باشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه. وانما يرجح ما كتبه في تفسير جزء عم اذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما ان الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه مالا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيهما أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعد ما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي :

« وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق — الى قوله — علم الانسان مالم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعا وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه انما نزل بعد شيوع خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتحرش قريش لايذائه عليه السلام. ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها » اهقوله في تفسير سورة العلق

وأنت ترى ان هذا يتفق مع ماجاء في ذلك الدرس ولا يخالف ماعلل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولا من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها. ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجح الاستاذ الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يستثن قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريبا في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لاتفق ذلك مع ماتقدم ذكره نقلا عنه وكتابة منه

هذا وإن هذه الآيات من أول سورة العلق ينحصر معناها في جعل النبي الأمي قارئا بقدرة من خلق الانسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فاذا كانت الفاتحة هي أول مانزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولا كما أنها في أوله وضعا وترتيبا ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وان كان أمر تكوين لا تكليف اذا أمر التكوين هنا يستلزم أمر التكليف . وسنفصل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا أخرنا طبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث معا لأن في الأول اختصارا في بعض الآيات وقد زاد الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار بقلمه قبل وفاته بزمن قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين افندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال الى مجلتكم الغراء التي أفادت الناطقين بالضاد قاطبة لاستمد من نور معارفكم ماخفيت عني حقيقته :

كنت أطالع بعض الكتب الادبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلعم) « العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر » وآخر « اتقوا سم الاعين » فاعتراني وهم لعدم اهتدائي الى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح: هل للعين مادة تنفصل منها الى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنقشع عني غياهب الجهل والوهم واهتدي الى الحقيقة ولحضرتكم الشكر سلفا .

(ج) اعلم أولا ان ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يعد من أمور الدين التي يبلغها عن الله تعالى وانما يعد من الرأي وعصمة الانبياء لاتشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمي العلماء أمر

النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الامور الدنيوية قال « أنتم أعلم بأمور دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحيانا فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقعتي بدر وأحد فاذا رأيت حديثا في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يريبك ذلك ولا تظن أن في عدم ظهور انطباقه على الواقع طعنا في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وان كان كلامه فيها قليلا لأنه جاء لما هو أهم وأعظم

وبعد فقوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حق ثابت بالتجارب والمشاهدات في جميع الامم والاجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الاعين » فلا أعرفه ولا أتذكر اني رأيته في شيء من كتب الحديث المعتمدة ومعناه أن تأثير العين كتأثير السم لا أن في العين سما ينتقل منها الى من تراه . اما العلة في تأثير العين فهي نفسية لا حسية وذلك أن لبعض النفوس تأثيرات مختلفة من أضعفها وأشهرها تأثير التثاؤب فاننا نرى كثيرا من الناس يتثاءب لنحو نعاس فلا يلبث أن يتثاءب من بجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فانك ترى بعض الناس ينظر الى آخر فيرتعد المنظور اليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الارادة لانه يكون اذا أراد صاحبه ان يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتنويم المغناطيسي وقد كان معروفا عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وانما نسب التأثير الى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لانه يحصل بعد النظر الى الشيء وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبته الى النفس . ومن المصائب ان سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل ما لا يتبادر الى أفهامهم معناه الموافق لعلمهم وتقاليدهم فالحريص على دينه يبادر الى أهل العلم الصحيح سائلا والآخرون يظلون في ريبهم يترددون

آثار علمية أدبية

تتمة نقد كتاب التعليم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم اللسانية والدينية ووصف من كتبها وعلمائها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير. واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارئ اننا ذكرنا له نموذجا من عباراته المملوءة غلطاً فنوجز من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطأه بالجملة.

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت أن المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فعده مرة من العلوم الضارة ومرة جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد أتاه هذا من انه لم يفرق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرقا بينهما. فعلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الاشاعرة الذين احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنحائه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا ونناقشه فيه.

لا أنقل هنا عبارة من عباراته في هذا المعنى لما أسلفت من الاعتذار فليعلم القارئ إجمالا ان الكاتب بالغ في الحملة على علم الكلام والمتكلمين وافاضت عليه الخطابة ما أفاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة معاول لهدم الدين وصور أهله قوماً نشيطين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا فاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد وتعدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وسامعيه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارئ الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله.

إن الدين كما يعرف العارفون — ولا أقول كل أحد — هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول انها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور أنها نقلت كلها نقلا متواتراً على اختلاف في قراءتها وان هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دفتيها كل ما قال الله لرسوله وأما الاقوال الاخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجمعها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين — والحمد لله — في ان ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض ونفرض ان كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وان الرسول (ص) قال ما اسنده اليه المسندون فانا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول ان هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لان في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية وللكلام أساليب وفنون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلا أو رجالا لتعيين مراده فالاختلاف وقع لانه لا بد من وقوعه والمنصف اذا زعم انه ظفر بالحقيقة لا يسوغ لنفسه أن يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا وأكثرهم لم يسمعوا أكثرها ولم يكن في وقتهم فراغ إلا لاقامة ما أمروا أن يقيموه بل كان النبي (ص) اذا رأى فيهم تشوقاً الى البحث ينهاهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لتفهم بعض الاشياء فوقع البحث فيها قبل ان تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون انه لم يبتدع علم الكلام الا بعد ان ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بمقدار ما سمح الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن ان البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . واذا جاز لنا ان نقول ان أهل هذا العلم أخطأوا في كل ما ذهبوا اليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول انهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لان الحاظر على رجل وظيفة عقله وطبيعة فكره كالحاظر عليه وظيفة سمعه وبصره وطبيعة حسه واذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاقب عليه العلم .

اذا صنع المتكلمون ? رأوا ان صفات الله التي نقلت اليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثله شيء » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتنا وأعضائنا ضرورة انها لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني مما تساعد عليه اللغة . . ربما كانوا مخطئين في تفاسيرهم لأنه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومدبره ومرسل الرسل وشارع الأحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بارادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسألة جملة وتفصيلا وخاضوا في بحرها فلم يجدوا ساحلا سار هذا مشرقاً وسار ذاك مغرباً وكلهم يلتمسون الخلاص من هذه الحيرة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وفجور الفاجر أم لا يريده فاذا أراده وجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرده فكيف يقع في ملكه ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان النبي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتنزه الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجوه اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجوه اليه معنى يليق بتنزهه عن ان تدركه الابصار .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تتداخل في جسوم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزاء واقع فاختلفوا هل تجازى الارواح وحدها أو تركب الارواح في أجسام تصنع لها وقال قائلون بل تعاد كل تلك الذرات التي كانت الجسوم تتركب منها على تداخلها في جسوم متعددة .

نحن قلنا إن المتكلمين رأوا ما رأوا مما وصفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العلم الذين يرجع اليهم

— الخطأ السادس عشر —

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «انه لم يكن مخالفو الرسل ومكذبوهم يطعنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل» ونحن لا نحاسبه هنا على خطئه في الايهام بانه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل عما قال الرسل لاممهم وما أجابهم الامم به فاننا اذا حاسبناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الايهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القارىء أنى ساح في فدافد هذا الكتاب القاصية . كلا فان المحاسبة على هذا في كل موضع تضيع علينا وقتاً هو أثمن من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو «ان مخالفي الرسل ومكذبيهم لم يكونوا يطعنون في الشرائع التي جاء بها الرسل» فنقول ولا نريد به الان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حينما يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تعترض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للاصل فيتبعه الفرع واعتراضهم على ماجاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التطويل نورد من هذا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الامم على الحشر وكل الرسل جاءوا بالدعوة الى الايمان به أكثر من أن يستوفيها كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم «هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد» ومن ذلك قول بعضهم «ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون» الخ والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعتراضات الامم على عبادة الخالق وحده وترك عبادة الاوثان — ولم يجيء الرسل كلهم الا لها — أشهر من ان تذكر فمنهم قوم نوح «وقالوا لا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً» ومنهم قوم ابراهيم «قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين» الخ ومنهم قوم شعيب «قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء» ومقالات قريش في نبينا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها لانا لا نظن المؤلف نسيها

واعتراضات الامم على ما كلفهم به رسلهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقراء وترك أعمال الشر كغصب الاموال وأكلها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو ان نفعل في أموالنا مانشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا»

فماذا بقي من أقسام الشرائع مما لم تعترض الامم به على رسلها وأي رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يعتقدون في الرسل من جملة ازدرائهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟

— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وانما نعده خطأين في النتيجة وهما (١) ان علم أصول الفقه انما يحتاج اليه المجتهد فقط و(٢) انه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد ان المجتهد يحتاج الى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان بصدده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم ان يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه انه غير صحيح بدليل انه حصر الثلاثة كلها في تعلم العربية والفقه ولم ينه عن علم الحديث

فماذا يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث فتمرن هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كلفوا أن يحفظوه من فروع الفقه .. أنا لا أقول ان التقيد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول ان تعلم هؤلاء المقلدين لاصول الفقه ولو على هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلازمهم بملازمتهم الفروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الاصول يعرف المطلع عليه أن المؤلف أخطأ في تعظيم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص١٣٣) انا في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .

— الخطأ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون —

يحض المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقيد بمذهب من المذاهب الاربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكره — كما نكره — هذه الكتب التي للمتوسطين

والمتأخرين ويحب — كما نحب — تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكننا رأيناه يخطئ في ثلاثة أشياء (١) في تنويهه بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سموا بالأئمة كانوا يكثرون من الرجوع عما يفتون به وان الدين يكره تعظيم الاحبار الى هذه الدرجة وهو أن تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع ان الرب الاعلى كان ينسخ بعض شرائعه ببعض. و(٢) في ترجيحه التعب بمراجعة كتب الأئمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها على التعب في ورود الشريعة من مواردها و(٣) في ترجيحه التقييد والاغلال التي كانت للعلم على فكه واطلاقه وهو يعرف ان من محاسن ديننا الشريف رفع الآصار والاغلال

ان المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن تراءى له ما يخيف فنفر كما ينفر الظبي في الفلاة رأى شبحاً مخيفاً . . تراءى للمؤلف ان الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى الاتفاق فسأبين له ولغيره هنا ان هذا الحذر ليس في موضعه .

ان الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و(٢) العبادة و(٣) الاحكام القضائية و(٤) الآداب . أما العقيدة فمهما أراد المسلمون اليوم ان يختلفوا لا يأتوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا ان هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وانه لا محذور فيه وانما وظيفتنا فيه ان نتواصى بتحري الحق بالاخلاص وان نناظر بالتي هي أحسن وأما العبادة فلا تحتمل الاجتهاد ونظر العقل وانما مبلغ الناس فيها ان يبحثوا فيما صح عن النبي تقريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى مهما اختلفوا ان لا يزيدوا على خلاف الأئمة اذا اتقوا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لانفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لانهم لا يجوزونهما هنا بل يقفون مع ما نقل فقط والعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل . وأما الاحكام القضائية وهي التي ينظر في مثلها القضاة والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر اذا اختارت الحكومات جماعات من صالحي العلماء يجمعون لهم الاحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه كحكم كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم . وأما الآداب فالمعروف بين والمنكر بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس يرجع فيها الى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع . .

أرأيتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيح ورود الشريعة من مواردها على ورودها في فتاوى الأئمة التي كانوا يرجعون عنها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائل له لاثمرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيها وقعوا فيه حين قلدهم والصحيح أن لعلوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطنينا المسيحيين أكثر نشاطاً منا في تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ماقصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في ان خلو الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته . و(٣) في أن ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر يعيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فعجبت أشد العجب لما وقفت لصاحبنا الذي نحن بصدده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلمي مايعطيه الخطباء والشعراء لالسنتهم وأقلامهم لا بكيت السامعين في رثائي لهذه الامة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها ياأيها الاخ لا تهيء للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثنتي عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين ، ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كما عبروا عنها

ويعرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوربا ويعرفون مع هذه اللغات كل الفنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الا بضع سنين فترى ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم يمنعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تعيقه ٠

لو ناقشت على ماوراء العبارة لقلت لك انما تخفيه من ارادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تجشم نفسك التعب انه لا يعاب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وانما يعاب باصراره على جهله ومكابرته في أوضح الواضحات

اما تحامل المؤلف على الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا نعده مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة وليس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القبيل بل هو شيء متعمد — تجده يعد من اغلاطه الكبرى ادخاله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم تجده ينزل نفسه في منزلة أستاذ عظيم في كل الفنون العصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم على الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد أدخلها وان عرف شيئاً فدون القليل واقل من الطفيف ثم تجده يقول انه كان ذا تفريط وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لاتنس قوله ايضاً قضى حياته باحيائها) ثم تجده يقول فيه انه كان يحابي باعطاء الشهادات لغاية في نفسه لان الغاية عنده تبرر الواسطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم نابغة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فعسى ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه ٠

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون والتاسع والعشرون والثلاثون —

ومن بعد هذا كله تجد المؤلف قد عظم من شأن الازهر والحالة هذه تعظيماً مملوءاً بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم تجده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية على وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الاستانة ولا مدرسة عليكده في الهند بل هو خير منها كلها ٠ و(٣) انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرحال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية و(٤) ان لنا فيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا اخطأ .

اما ان الازهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح وانما بني الازهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلقي فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . واما انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد الفاتح ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القذارة وعدم النظام ولعب الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره واما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان يحشر الناس على الصورة المعهودة في الازهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه على ان مسجد الفاتح يفضله بهذا المعنى ايضاً مع تنزهه عن القذارة ونوم الناس فيه . واما انه خيرها كلها فلم أفهمه !!! واما انه توفر فيه من المزايا مالم يتوفر في غيره من المدارس فلم افقهه!! واما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية فلم ادركه !!! واما انه قبلة الآمال ومحط الرحال وان لنا فيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم اعرفه !!!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها فان الازهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصعيد يعرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدها ستزحزح عنكم ما تكرهون وتأتيكم بكل ما تحبون !!!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها لقلة الفائدة من ذكرها في جملتها حملاته على المدارس النظامية وعلى اساتذتها وتلاميذها معاً ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فاننا نترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معاثر الفهم ومزالق البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين من به الله أعز المسلمين
فقووا حتى أذلوا المشركين

واذا نار أضاءت سحرا قال يا أسلم قم ماذا أرى
علهم ركب يريدون القرى فخرجنا وهو كالسهم انبرى
ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بامرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حيينا فردت واستوت قال هل أدنو فقالت ان أردت
فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع واني أنفخ
أوهم الصبية اني أطبخ علهم من بعد ذا ان يفرخوا (١)
وينامو احول قدري جائعين

بالنار أضرمت في الاضلع أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاصلع ها أنا من فرط جوعي لاأعي
بين نوح وصياح وانين

قال يا أماه من أدرى عمر بك قالت ذاك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يستقر يبري للناس في قر وحر
يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمأن

وَيْ لعمري كيف يرعى وينام ليس هذا من قوانين الانام
من سباعن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
انما هذا جزاء الغافلين

ولقد أصغى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسرع الخطو الى دار الدقيق
وأتى منها بدهن وطحين

ثم قال احمل عليَّ قلت ويْ بل انا أحمل قال احمل عليَّ
قلت عفوا قال هل منكم فتيْ يحمل الاوزار عني يا أخي
يوم يؤتى بي لرب العالمين

وسرى الفاروق خوف النقمة في الدجى يحمل قوت الصبية
وهو ممن بشروا بالجنة لا يرى في حمله من حطة
بل قياما بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعا نحو الصغار فأتيناهم وهم في الانتظار
ولفرط الجوع بين الجنب نار في استعار مالهم منها قرار
ورأونا فاشرأبوا قائمين

قالت الامْ اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
* ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقنا
في كتاب الله بالنص المبين

فدنا منها برفق وابتسام ودموع العين منها في انسجام
قال قومي هيئي هذا الطعام معنا ان اليتامى لا تنام
بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفص عمر ... وسقى تربته صوب المطر

فلقد أبصرت أسلاك الشرر ... تلفح اللحية منه بالسحر

وهو مهتم بانضاج العجين

قالت الأم وقد رمنا القيام ... وتركنا عندها فضل الطعام

بارك الله بساري الظلام ... تحمل الأقوات للمرضى الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال أي يرحمك الله أصدقي ... واذكري خيرا ولا تستعجلي

فاذا جئت الأمير فادخلي ... تجديني قاعدا في المنزل

وعليَّ الجد في ما تطلبين

وتنحى عنهم مستترا ... رابضا مربض آساد الشرى

وأنا أطلب تعجيل السرى ... فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكراً لله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرهم ... قارص الجوع بل استعبرهم

ولقد أحببت ان أبصرهم ... في سرور وكذا غادرهم

فلقد ناموا جميعا باسمين

هكذا كانوا عبيد الامة ... لا غرانيق العلى والعزة

مزجوا شدتهم بالرحمة ... ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فاتحين

(محمد نجيب الغرابلي)
بمدرسة الحقوق

﴿ السمير المفيد . في شرح المواليد ﴾

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد الصيدلي الكيماوي لمستشفى القصر العيني في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد طبعا معاً في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالعربية لتعليم هذا الفن بسهولة وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لايخلو من الفوائد الأدبية كبيانه عند ذكر البوم خطأ الجاهلين الذين يتشاءمون به . وكنت أود لولفت الاذهان عند ذكر مافي هذه المخلوقات من الحكم والاسرار الى انها من إبداع العليم الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا لكان كتابه أنفع من كتب العقائد المتداولة وجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه هذه الزيادة النافعة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيرا من نسخه وينتظر ان تبتاع منه معظم نسخ الثاني والثالث اذ لانجد مثل هذا الكتاب في فنه . واننا نحث طلاب الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلقوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب لانه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

﴿ التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ﴾

للشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالمدرسة الخديوية طريقة حسنة في مزج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وماينفع الناس من شؤون العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من طالعها يتغذى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجونها وقد طبع له في هذا العام كتاب جديد سماه بما رأيت وأهداه الى امبراطور اليابان ليعرضه على مؤتمر

الأديان الذي انعقد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثلثين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأه المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيه في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان أخلص صاحبها وصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يغمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فعسى أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي الساسي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فعسى أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية فألف كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستورا يتبع في اختيار من يؤهل للتوظف في ديوان الرسائل رئيسا كان أو مرءوسا وأن يخلد كتابه في الديوان ليقتدي به الموظفون ويأخذوا بالقراءة فيه وتدبره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته عثر على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كمبردج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فنسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لعلها تزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فنشكر له عنايته وهمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهر العظمة والفخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكبرها فكاهة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن يتيح لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاءه حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسعنا — والقدر لما يسعدنا على ذلك — الا أن ننوه بالكتاب ونثني على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى علي بك أبو الفتوح المفتش بالنيابة العمومية خطابا في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فاذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا الغارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان همهم أن يقيدوا القضاة و يجعلوا السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكام من الخراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاة بألفاظ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث يناط كثير من الامور باجتهاده ويوكل الى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الاخير يوافق الشريعة الاسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فعسى أن يعتبر بذلك الذين اتخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قررته الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج الى بسط و إيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقريظ أقله . وفي الرسالة فوائد أخرى لا يحيط بها الا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب «دافد وطسن رأني» باللغة الانكليزية وترجمه بالعربية نقولا أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر ومن لي بأن اتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحجاز ليعلموا كيف ارتقت هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المنبثة في أقاصي البحار نحو ربع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران ويزيل الدول ويذل الأمم وكيف يسود الناس بالعدل والسلطة المقيدة برأي الامة ويعزوا حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . ولعلي أعود الى الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

أنساب العرب القدماء

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطوطمية عند العرب الجاهلية لجرجي افندي زيدان . والامومة أو الطوطمية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان العرب ليس لها أنساب متصلة الى الآباء وانما ينتسبون الى الطوطم والطوطم كلمة أخذوها عن هنود أميركا وهي تطلق عندهم على ما تعبده أو تقدسه القبيلة أو الشخص من أنواع المخلوقات حيوانا كان أو نباتا أو جمادا لاعتقادها انه يحميها أو يكف أذاه عنها ويعد في عرف أهلها أباها فانتسابهم اليه اذ لا يعرف لهم أب وانما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا انه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض القبائل المتوحشة من هنود أميركا وأوستراليا وزنوج أفريقية وألحقوا العرب بهم بطريق القياس الذي استدلوا عليه بتأنيث لفظ الامة وباشتقاقها من مادة الام وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبني أسد . وقد رد عليهم جرجي افندي زيدان ردا داحضا لمزاعمهم مفندا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية والشبهة برهانا قاطعا واعتمادهم على الاستقراء الناقص . وهذا شأن الافرنج لايكاد يوثق بعلمهم النظري والعقلي لانهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار وثمن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه في الرد على المذهب رسالة أنساب العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمنها كثمن الامومة عند العرب

دوان تذكار راغب وصبري

هو الديوان الثاني للشاب الذكي رشيد أفندي معوض وقد قدمه الى ادريس بك راغب رئيس الماسون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية بافتتاحه بقصيدتين في مدحهما . ومن أحسن ما رأيناه له في هذا الديوان قوله في استنكار سلوك بعض نساء الأغنياء

عار على الغيدأن تزهو وتفتخرا	وتبدي التيه في الأعطاف والاشرا
بأي عطف تميل الخود تائهة	ويفخر العطف إن أصبين واستترا
قدر الغواني بتحصين الجمال وان	تهتكت زال ذاك القدر واندثرا
لو ترك العاشق المسكين مكتئبا	شوقا لما ظل ذاك الحسن معتبرا

ثم أطال في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

العباسة أخت الرشيد

قصة تاريخية غرامية لجرجي افندي زيدان صاحب الهلال وهي من القصص التي لها أصل صحيح في التاريخ والمسائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الاختراعية وفيها وصف الترف والاتفاق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة منها عشرة قروش

الطفل المفقود

إسم لقصة من قصص مسامرات الشعب الشهرية التي يصدرها خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضعا وفائدة لان ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل ورد مقرونا بالذم وما ينظر من سوء العاقبة . وأما ما تشرحه عن الحب الصالح والعفة والمروءة والوفاء والسخاء والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد الانسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتركه قبل أن يتمه

فأنصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بعد الآن للنشر واذا استطاع ان ينشر قصصا ليس فيها ذكر الرذائل مطلقا فليفعل فان الرذيلة وان ذكرت مقرونة بالذم تؤثر في نفوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم اليها وجرأتهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفننهم في تحصيلها !! ويظهر ان لمترجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مترجمي هـذه القصص عبارة فعسى ان يراعي في الاختيار ماذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿فتاة الشرق﴾ « مجلة أدبية تاريخية روائية لصاحبتها لبيبه هاشم » ولبيبه هاشم من أشهر الفتيات السوريات المتعلمات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئين ورأينا فكرها قويما فيما كتبت عن «واجبات الزوجة» في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع مايكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وسنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فعسى أن تجد من مساعدة الفضلاء مايضمن لها طول البقاء ،

﴿تونس﴾ « مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبيها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري — ثمن الاشتراك في المملكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ فـ في السنة » صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ اكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة ما بالعلوم الطبيعية ومايتفرع عنها . وانه ليسرنا أن تكثر المجلات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ترويح النفوس ، المرشد﴾ جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الاولى (عزوز بن أحمد الخياري) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فنرحب بالجريدتين ، ونثني على فضل الحريفين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياهما للخدمة النافعة

﴿التلميذ﴾ جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد افندي ابراهيم صاحب جريدة (ألفت) المفيدة وقد سررنا بها جدا لما نرجو لها من النفع لطلاب العلم من مسلمي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

باب الأخبار والآراء

تعليم الدين في مدارس الحكومة

اقترح مجلس شورى القوانين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راغب من سروات المصريين تعترض على هذا الاقتراح وطفقت جريدة المؤيد والاهرام تردان عليها ونقل عنها أنه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل نقل عنها الطعن في الدين مطلقا وإدريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الالحاد فيما نعلم . وبذلك انفتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها ونخيف أن يتجرأ محبو الالحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكاتبون في ذلك ان شاء الله تعالى

الدكتور ضياء الدين أحمد

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائدا من أوربا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوربا لاتمام دروسه العالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبردج فكان أعظم نابغ في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي مئتا جنيه تعطى للنابغ الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جونتجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهورا اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياما كان جل همه فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقد الذكاء شديد الغيرة على أمته بعيداً من الهزل واللهو مغتصما بالادب وهو يتكلم بالعربية مع مصر متا ويفهم ممن يكلمه بعبارة فصيحة بل علمنا منه انه عربي النسب . وقد أعجب بفضله وأدبه كل من عرفه هنا واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكونتنتال احتفالا دعوا اليه كثيرا من ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين فينا خطيباً باللغة الانكليزية فتلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكره وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والتربية الدينية وسنورد ترجمة قوله في جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر فتلا ترجمة خطبته بالعربية . ثم قام الشيخ علي يوسف شيخ المؤيد وتلا خطابا وجيزا تكلم فيه عن مدرسة عليكره وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لو رزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ قويمة مثل التي عليها كلية عليكره وتناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة لكانت مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لمسلمي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فحسبي أن يسمي مع الذين يتمنون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه المبادئ التي ذكرمنها العلم والفلسفة ولم يذكر دعامة الدين ولكنه لا ينكرها وهي من دعائم كلية عليكره ولولاها لكانت تلك الكلية وبالا على المسلمين

وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللبن وأنواع الأكل اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتهللون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تربيت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع عن الشورى في بلاد فارس ونقله عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسميا فأجابه ناظر الخارجية بأنه

مولانا الشاه قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعتراض اشتد استياؤهم وقالوا ان تركيا تريد أن تقيدنا في بلادنا وتمنع عنا النور كما منعته عن اخواننا العرب في بلادها وسنتكلم عن هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبو خطوة — وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وانها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبو خطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الازهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له مثلا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الاداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه أذكياء تلاميذ الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبو خطوة صار هؤلاء الاذكياء كاليتيم من الابوين .

كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقته حسن السمت حليما لا تخشى بوادره حسن التصرف في الامور لا يدخل فى شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خبيرا بشؤون بلاده قادرا على الإصلاح في المحاكم الشرعية لو فوض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاستاذ الامام لذلك التقرير الذي أحصى طرق الاصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعداده وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يثقون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملة القول إن مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بأن يترجمه للمنار ولعله يفعل متفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبعي وكيل المنار السابق : قد أعذر من أنذر ، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر ، والشرف خير من المال ، والعبرة بالخاتمة والمآل ، « وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

(مصر في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ — آخره الاربعاء ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧)

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الاصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الاصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها

اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا اله الا الله وحده لاشريك له وبه الحول والقوة وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسررنا كسائر المسلمين كافة بما نشر في جريدة الطريق من أنه صدرت الارادة السنية الى حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تؤلف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نوري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العطوفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافلة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بآرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية الدين تبعثنا على بسط مايلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

---

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملا بقول سيدنا علي كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرته النفوس ، واقتحمته العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكافلة ببقاء عدوته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن الخلافة الاسلامية حصونا وأسوارا وان أحكم أسوارها ما استحكم في في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أتاهم من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصلحة البلاد وما شاكل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الغايات المطلوبة منها فقد ضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على معاقد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانتكاس في الطبائع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أو كانت العزة لسائد عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ما وراء النهر وقبائل التركمان واشباهم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى غشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسها هذا المرض الخبيث لولا أن تداركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واستمالة أهوائهم الى الاخذ بدسائسهم والاصاخة الى وساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعاتهم في أطراف البلاد الاسلامية حتى العثمانية لتضليل المسلمين فلا ترى بقعة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو جمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم . ولم يختص هذا التساهل المحزن بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي المناصب الدينية الاسلامية . وأولئك الضعفاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحداثة ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزري على دينهم وعقائد آبائهم ويحبب عليهم التمسك بجري الطاعة لأوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساتذتهم القوام على تربيتهم بإذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يتلقونه من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة ، فذلك أمر أعرف من أن يبين . فلا تنقضي سنو تعليمهم الا وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تنعقد قلوبهم على محبة الاجانب وتنجذب أهواؤهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ما تدنست به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصيرون بذلك وبالا على الامة ، ورزية على الدولة ، نعوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم مع استبقائهم مسلمين في العقيدة ، عثمانيين في النزعة ، هذا ما جلبه الجهل على الامة الاسلامية وان غائلته لمن أشد الغوائل وقد كنا نخاف أن تحل بواقتها لو لم تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني جملة واما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر وطريق صوري لا يعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

عن قرؤا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده منكبين على الشهوات وسفساف اللذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكلب في الكسب والانصباب على طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الخيانة وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية ويطلبون التخلص منها بأية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم وترى غيرهم من الامم يتسابقون الى الانتظام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في دينهم بل مضادة لصريح نصوصه وترى المسلمين يبخلون بأموالهم اذا دعت الاحوال الى مساعدة الدولة والانفاق على مصالح الامة ولا يبخلون بذلك على شهواتهم بعكس ما نرى في سائر الامم . هكذا انطفأ من المسلمين مصباح العقل فلا يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة الا بالله

هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير نذكرها مقرونة بأنفاس الاسف وصعداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا ذئابهم يتخطفون شاذتهم وأغلبهم شاذة ويفترسون نادتهم وجمهورهم نادة ومسارعة الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لانجد الا سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما بإهماله جملة كما هو في بعض البلاد وإما بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أُهمل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها ولا يعتبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وانما هو مجبور في ما يصدر منه جبرا محضاً فلهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لاتدع ذنباً حتى تشمله بالغفران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفعل الانسان ما يفعل من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله

وأما الذين أصابوا شيئاً من العلم الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وان هدموا كل ركن سواهما ويشتركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذا ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع العادية وأولئك الاغلب من طلاب الافتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شاكل ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فان مال بهم طلب العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهؤلاء لاتختص مفاسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تتعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم فهذا القسم أعظم الاقسام خطرا وأشدها ضررا في العامة والخاصة وما أفراده بقليل

نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة رجال وقفوا عند ماحد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين في قلوبهم نار الحمية، واستفز اليقين هممهم لنصرة الملة، الا أنهم قليل والموجود منهم قد يكون خامل الذكر، أوقاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة وبالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافيا في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا مالطف الله بهذه الأمة بصرف توجه مولانا الخليفة الأعظم لعجل لها من الوبال ما استحقته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحراف قلوبها عن مقاصد ولاة أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فيا للنعمة العظمى

وبالمرحمة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشراها وجوه الصادقين، وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأييد دولته، واعلاء كلمته،

وانه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على سببها الذي أشرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الاسلام وأعضاء اللجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقه المعهودة في المساجد وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبن على عقائد صحيحة وايمان صادق لاتلبث أن تضمحل ولئن ثبتت فانما تسوق الى أعمال خالية عن الثبات وخاوية من سر الاخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه النظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكرها تنال النفس من ذلك الفن فيكون ادكار مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والخيانة والنميمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ماهو مذكور في الكتاب والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس على العمل بما تعلمته . ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق قواعدها مستندين الى الشرع الشريف بحيث تذكر مآخذها من القرآن والسنة الصحيحة وماصح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن حذا حذوهم كحجة الاسلام الغزالي وأمثاله فالمقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعها ركن من الاصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبعهما فن آخر يقوى على الغرض منهما وهو فن التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لاقوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا نقسم طبقات الناس الى ثلاث ونعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون

فالطبقة الاولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم . والثانية طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم ومأموري الادارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

﴿الطبقة الأولى﴾ هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشيء من الحساب يعلمون ذلك الى درجة محدودة ينتفعون بها في معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والعسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية فهؤلاء يهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلموها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير ساخطين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدايات تعليمهم مواقد الحمية ومعاصم الانفة الملية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاوربا وية مما نعلمه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقا مع الاستدلال عليها بالادلة الاقناعية القريبة المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الالمام بشيء من الخلاف بيننا و بين النصارى و بيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استعداد لدفع ما يردعليها من وساوس دعاة الانجيل المنبثين في كل قطر

ثانيا — كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال و بيان الاخلاق الخبيثة والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤيداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبدا لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول

ثالثا — كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الالمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيه وقوتهم واثبات ان ذلك بسر الصدق في المكافحة والاتحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عربية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعة فيها

التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف

﴿الطبقة الثانية﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية والملكية والعسكرية والطبية وما يتلوها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظا لما استحفظوا عليه من شؤونها — الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والحكم منهم بفصل الخاصمات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كفة النظام يرجح مارجح فيه و يسقط ما سقط منه فهو يتحرى الحق و يحكم به أو يموت ، والمولى منهم أمراً في ادارة أمور الرعية آخذ لمنظار الحذق والدراية ليستبين ما يخفى من مصالح وما يدق من مسالك أهوائها ليضبط الاعمال ويلزم الحدود ويوفر وسائل العمران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت . فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزاد عليها بعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها توضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي

أولا - كتاب يكون مقدمة العلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول النظر وشيء من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط واتيان الطريق الاقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الاسلامية أيضا الا أن يتوسع فيما بيننا وبين النصارى لايضاح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أجلى وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الاسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلا عن غاية السعادة الأخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والرذائل ببيان أكمل مما في البداية وتوضيح لاسباب الاخلاق وعللها وآثارها على وجه يقنع به العقل وتطمئن به النفس ثم بيان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكتابين على ما يضرم الحمية في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الا معالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء العثمانيون من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني محض فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة للغرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تنبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويودع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المفقود فضلا عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفيهم أن يتعلموا هذه الكتب بألسنة آبائهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لتربيتهم الدينية أن يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من ايقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بمدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثرًا في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والمكاتب الابتدائية اذا وجدت فيهم الاوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحمية والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في الممنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين مما ليس منه وإن خالف أوهام العامة

التعليم الديني العالي لطبقة المعلمين والمرشدين

﴿الطبقة الثالثة﴾ هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخلقهم بالصفات المقصودة بوضعها فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الامة وهداة الملة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية اذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لاهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لابلاغهم الغاية المطلوبة للدولة فيهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزاد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لافادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي المسترشد ولأجل هذا نقتصر في بيان ما يحتاجون اليه على ذكر الفنون دون التعرض لاعيان الكتب الا قليلا فلتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولا — فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج اليه ليقرأ القرآن تفهما وتطلبا لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أمرهم الا إرجاعهم اليه وما لم تقرع صيحته أعماق قلوبهم وتزلزل هزته رواسي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد اليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقة الابل ممن أنزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفا باللغة العربية ومذاهب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج الى وسيلة أخرى فأولاها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب كتفسير الكشاف وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذ طريقهما

ثانيا — فنون اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وتاريخ جاهلي وما يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثا — فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسرا القرآن مبينا له مع اطراح ما يخالف نصه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لإرجاع الأحاديث الصحيحة اليه ان كان ظاهرها يوهم المخالفة

رابعا — فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو ما سلك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على الاصول المشهورة

خامسا — فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الاحكام ونرى أفضل كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس

سادسا — فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك الاسلامية الاولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في انهاض الاسلام من كبوته التي كبا ها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب ما وصلت اليه الملة في هذه الايام ليتبين أنه لا سبب لذلك الا الجهل بالدين والانحراف عن أحكامه وانشقاق عصا الامة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعا — فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في الأذهان وتثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والارتفاع بها عن دنايا الصفات وسفساف الأمور

ثامنا — فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا باس بقراءة بعض الكتب الحكمية الاسلامية لتكميل الاحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة ما يلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلتي العلم والعمل ولم نتعرض لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذمي والأجنبي اذ يضطر اليه كل ساكن في الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات والرياضيات والطبيعيات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . ويدعى لها بالمدرسين المتبصرين من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا وأذكاهم أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها شهادة ببلوغه الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات انما يقصد منه اشراب القلوب حب الدين وتوقيره وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها بأعمالهم فتلتئم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأييد حافظه الاعظم المدافع عن بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة تخشى بأسها وتخاف بوائق غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركاته على المسلمين في راحتهم الدخلية وبالجملة فالقصد من اصلاح الجداول انما هو الى إحياء الملة وقد كانت كادت تموت والعياذ بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الاخلاق والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتهزها وتستفزها من مقار الخمول والغفلة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال المتعلمين وأعمالهم ومؤاخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ما تعلموه ، أو قصروا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم و يحرك الساكن من خواطرهم . ومن ثمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكمل الصفات العقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعد الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وخبرتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدراية كل ذلك يوجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع أرواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هؤلاء العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا واقي للملة سواه وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فانه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة لطاعة الا بالعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيهم

هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أدينا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله أن يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه ظلا لله ورحمة لعبيده آمين

﴿ كلام في الدعاة والمرشدين ﴾

وبقي في موضوع الاصلاح الديني كلام هو كالتتمة له فنتقدم لعرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية ان لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل اليها قليل بالنسبة الى عدد الأهالي فان الجمهور الأعظم من سكان القرى والاعراب المتنقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حق قدرها فاصلاح جداول التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهؤلاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما ينافي الواجب الالتفات اليهم باصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون الا بترتيب دعوة تنبههم الى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تربيتهم وتهذيبهم ثم تخدعهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم انهم لو رغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والانفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في ادارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاغنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على انشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجماعات في كل بلد وبقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والجوامع ليذكروا الناس ما نسوا من دينهم ويعرفوهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب ان يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبثون بين العامة ليفقهوهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء

وهؤلاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعا في الفنون الدينية الشرعية وأوسعهم علما بعلل الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ القلوب للدخول اليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بلغتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاصغاء

ومن هذا تلزم المبادرة الى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليتها قوما يحسنونها و يدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة و يبينون لهم مضار الفساد ويهدونهم الى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الاصلاح اذا وجهت العناية اليه رجونا منه النفع الكثير والخير الغزير .

فإن سأل سائل أين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبثهم دعاة ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت فى أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الاتقان فيها والوصول الى حقائقها وذلك يستدعي زمنا طويلا

فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بعونة الله عز وجل فى أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضا والذين يليقون لوظيفة الارشاد فهم أن تعسر وجودهم فى بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي الى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله والحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يتطلبون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهؤلاء لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله الى الكمال المطلوب

وأما طول الزمان فى التعلم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فانه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخليص الاموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فاننا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب الا عن خبرة بأحوال اخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من اصلاحه فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون.

هذا مجمل ماحضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل مايطول به القول أضعافا مضاعفة فان دعينا اليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي الى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب : هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه يبغض الدولة فليأتنا أحد بمثل نصحه للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها .

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعناية بتعليم الدين ، وبث الارشاد في نفوس المسلمين ، فيستبشر المغرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة الا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بتلك الارادات السنية واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك أمة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتعتورها السعادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الغنى والفقر، ويتناوبها العز والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرها وشرها فهو تابع لحال الحاكم . فان كان حاكمها عالما حازما أصيل الرأي علي الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها أبوابا التفنن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة وبعث في أفراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالمزايا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة وإباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير .

وان كان حاكمها جاهلا سيء الطبع سافل الهمة شرها مغتلما جبانا ضعيف الرأي أحمق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح أبوابا للعدوان فيتغلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة ويغلب اليأس فتمتد اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة مخاليها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة العروة الوثقى بالعنوان الآتي

قاتلة بين جميع الامة فتميتها و ينقطع الامل من العلاج و بادروا الى قطع هذا العضو الجذم قبل أن يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء فانذرها بخفض العبودية وعناء الذلة ووصمة العار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

ردٌّ لردٍ (١)

نحمدك اللهم ياهادي المسترشدين إلى الحق والصواب * ونسألك أن تؤتينا الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فاننا لا نعتمد الا عليك * ونصلي ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عليم حكيم (وبعد) فقد اطلعت على ما كتبه الاستاذ الفاضل الشيخ طه البشري رداً عليّ فيما ذهبت اليه ، فسررت جداً لغيرته ، وشكرته على أدبه ونزاهته ، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطررت الى مناقشته ليظهر لي الحق ان كنت مخطئا ، راجيا من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكما بيننا والله ولي الهداية ، المنقذ من الغواية

قال حفظه الله « وأما السنة فلا اننا نثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه تعتمد » ثم استشهد على ذلك بعدة ايات من القرآن الشريف لم تكن لتخفى علينا من قبل فلهذا نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى . الآية الأولى قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ ونقول لو كان جميع ما ورد في كتب السنة من

---

(١) للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي

الأحاديث المنتبرة تبيينا للقرآن لكان في غاية الاجمال ولما وصفه الله تعالى بكونه بينا ومفصلا في قوله (بلسان عربي مبين *وقوله — وكذلك أنزلناه آيات بينات* وقوله — وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا *وقوله — كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون *وقوله — كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضحه وتفسره وتفصله؟ وكيف يكون القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه؟ ألا يستنكف أحدنا أن يكتب للناس كتابا لا يفهمونه الا اذ فسره هو لهم!! فما لك بالقرآن المبين

نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطبقة على أحوال جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجمال شيء آخر. ولتوضيح المقام نضرب مثلا لكل.

فمثال الاجمال قولك: حرم الله الخبائث: واذا أردت تفصيله تقول: حرم الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها. ومثال الاطلاق أن تقول: جاء محمد: وتقييده يكون بنحو قولك (جاء محمد راكبا فرسا في يوم الجمعة) فالمجمل مادخل تحته جميع أفراد المفصل. والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيد ولكنه يحتملها أي ان الأول كالجراب الحاوي للمفصل والثاني كجراب غير حاو له ولكنه يسعه. فالقرآن ليس فيه مجمل نحتاج إلى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر. ولكنه فيه مطلق لم يتقيد ليقيده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان. فان قيل لم لا تعتبر السنة تقييدا لمطلقه بالنسبة للعالمين. قلت لأن النبي لا يعلم حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة. وان كان الله تعالى أعلمه بها فلم لم يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه؟ والخلاصة أن القرآن بين ومفصل تفصيلا يفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه. ولذلك لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما بينا ذلك فيما سبق. اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا و بينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسمي مازاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا ؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لمجرد الارتداد وتحريم الحرير والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين و يبلغهم اياه مفصلا وموضحا بلغتهم التي يفهمونها واتيان النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية مايدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بعبارات أخرى . وهب أن مايدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم و بعث فيهم وهو مانقول وليست نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فتعليم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهيمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكر فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى مافيه من الآيات والدلائل والعبر والحكم وحثهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمغايرة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وانما المراد الحكم والمواعظ والآداب والفضائل

وأنواع التهذيب والتأديب والتثقيف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الهمجية الى نور العلم والمدنية . ونحن لا نرفض شيئاً من ذلك بل نقبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ تخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول ان اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وانما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمنه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلا وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه الينا خطابه لوجبت علينا نحن أيضا ولعلمنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعوانا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زمننا لحق علينا امتثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ما سقط من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لا منه

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في الفيء ونصها هكذا (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ومعناها ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وما نهاكم عن أخذه منه فانتهوا . يقولون ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أي . بسبب النزول ولكنا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يعتبر السياق لوجب على كل مسلم مثلا أن يكون دائما متجها نحو الكعبة في أي عمل يعمله لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئا لاننا نقول إن السنة أعطاها الرسول للعرب لا لنا كما سبق ولو أعطاها لنا لوجب علينا أخذها و بعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد و يعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرته سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآنا والبعض الآخر سنة ؟ مثلا اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون دينارا من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلا في الكتاب كما ذكر المواريث وغيرها ؟ ؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى ؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله انما هو بالوحي السماوي أو الالهام الالهي الصادق » وهذه العبارة على اطلاقها اغلاط لا نوافقه عليها . لان بعض أعمال الرسول واقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحيا مطلقا وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الاستاذ تنسى ذلك أو تتناساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الاحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلذا نلفت نظره الى ماذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عفا الله عنك لم أذنت

لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) والى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي بكاء شديدا من بعض هذه المتابات . وقد ورد في الحديث أيضاً أن النبي نهى عن تأبير النخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمور دنياكم) . فالعصمة لله ولكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى) فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطيء فيه مطلقا

ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالا متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب ونقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يعد على أصابع اليد . واذا لم تكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالا بل ولا معنى له ولا يغنينا ذلك من الحق شيئاً . ولم نسمع أحدا غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) هو في شأن القرآن كما يدل عليه ما قبله ولم تسم السنة بالذكر مطلقا . وكيف نقول ان هذه الآية تتناولها مع أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع عناية المسلمين بها قد تطرق اليها جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا مهما بحثنا في تاريخ الرواة وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقليل هو . لان الكذاب أو الضعيف أو المطعون فيه بوجه ما قد يروي أحيانا ما هو حق وصدق فلا نقبله منه فيحصل النقص في السنة . وكذلك الثقة قد يخطيء أو يكون ممن تظاهر بالصلاح والاستقامة حتى غرنا فنأخذ الحديث عنه والرسول بريء منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة . فهي أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تبليغها الناس بالتواتر وعدم حفظهم لها جيدا في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمعنى واختلفت الرواية عنهم لفظاً ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمروا أن يعاملوها معاملة القرآن حتى تأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصا من شدة وقعها على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين. وهنا نريد أن نسأل حضرته سؤالا وهو لماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حدتها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها الناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل الينا كتابان لانزاع فيهما ولا اختلاف ؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزهما عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الاعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنهما حتى وصلا الينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء — ولو أنهما اختلطا ببعضهما شيئا قليلا — أليس ذلك أخف ضررا من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون ؟ وبذلك كان المسلمون يستريحون في القرون الاولى من العناء والتعب في لمها وتمحيصها وهم لم يصلوا الى النتيجة المرغوبة ولن يصلوا وكانوا يصرفون هممهم هذه الى شيء آخر

واعلم أن زبدة ما اجاب به الاستاذ عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره مما ذكرت » ونقول ان القرآن لاشك أنه متواتر لفظا ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فاي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك الا ما شذ وندر ؟ وهل يفيدنا ذلك اليسير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا . الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ماعدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . واذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضا متواتر عملا في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم الصحابة له الى اليوم واذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلا ؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه ؟؟ الحق أقول : لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو واصحابه حتى تصل الينا كما وصل الينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يتعبدنا بالظن والظن لاقيمة له عند الله قال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك

عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون) وما أجمل قوله هنا (اكثر من في الارض) فسبحان ربك رب العزة عما يقولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نعتمد عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي :—

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده

(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف. ولا يمكن تفسير ذلك تفسيرا مقنعا بغير ماذهبنا اليه

(٣) لم تجمعها الصحابة بمنحصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها أحد منهم حفظا في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لاعتني بها بذلك أو نحوه

(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالتواتر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقا لا قصدا منهم

(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت ألفاظ ماتعددت رواته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها وتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبط لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوقع فيها جميع أنواع التحريف . ولا يمكننا القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جلها لمجرد عدم معرفتنا شيئا يجرح الرواة

(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الا على العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يوافق الا عاداتهم وأحوالهم كمسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك

(١٠) يشم من بعض ما وصل الينا منها رائحة ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القيء «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى» وان حصل الطعن في سند مثل هذا الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف رووه عن واضعه؟ وهل الواضع له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا اجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وان كان الواضع من غير المسلمين فماذا يهمه اذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة وخصوصا في مثل هذه المسألة (مسألة نواقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضعفهم مع أنه يمزقهم ويفرقهم؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال ان الوضوء لا ينتقض بالقيء مستشهدا به على مذهبه فالقول بان هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء العلة وارواء الغلة بل لا بد من البحث والتنقيب

فهذه أدلتي أوردتها سردا بالايجاز ليتدبرها المتدبرون وليتفكر فيها المتفكرون وأرجو ممن يرد علي أن يترك المراوغة ويجيبني بما يقنعني ويقنعه والا أضعنا الوقت سدى، ولم نصل الى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون. فهو وحي الله اليهم مباشرة والى العالمين بواسطتهم. وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج الى تفسير مفسر أو تأويل مؤول. أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته. وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا. وبالاختصار ان العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقا لفهم القرآن. وغيرهم لا بد له أن يقدر على فهمه. أعني أن يصير مثل العرب بتعلم ما ذكرت. ولذا وصفه الله تعالى بكونه لسانا عربيا مبينا. فلا يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يعهدوه الا اذا ذكر ما يفسره. اذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسمان: اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والاحرام والبحيرة والسائبة وغيرها. واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرهما.

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلا ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهي عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يتبين المراد به . فمثلا الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها بعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك — وقوله — محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود * وقوله — وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله — يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله — ولا تجهر

بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيراً * وقوله — أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * وقوله — أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل — مع قوله — وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها — فأمثال هذه الآيات يكمل ويفسر بعضها بعضاً والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وان كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطى من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون * وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها — وقوله — وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لا بد من أخذها من مجموعه لا من بعضه .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله ما معناه أنه قد يرد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر الا بالسنة . وأقول انه من المستحيل أن يرد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه الا اذا كان معناه يؤديان الى الفائدة المطلوبة بعينها كلفظ القروء الذي استشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا ان الاصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والترجيح بالسنة لم يؤد الى النتيجة المرغوبة لأن أبا حنيفة وان كان أخذ بحديث « طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان » الا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية ان المراد بالقرء الطهر . وهذا هو الذي اشتكينا ونشتكي منه . فيا أيها الفاضل المناظر

أتدعونا الى شيء لم يفدكم أنتم المتمسكين به ولا زلتم مختلفين فيه ؟ هذا ولتعلم أن ماقلته في هذا الباب بعد طعنا منك في بيان القرآن المبين وبلاغته فلتستغفر الله تعالى منه ولتتب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ماعدا المتواتر لا يفيد اليقين . وأن العمل به عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للحرج على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) ؛ ونقول ان الله تعالى لا يتعبدنا بالظن والا لما ذمه في كتابه كثيرا . قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال أيضا (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصا واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لان التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لا له .

وقد أقر أيضا في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلج في نفس أحدهم أقل شبهة من أحد رواته نفض يديه منه وانقلب الى أهله خاويا من ذلك الحديث ورافضه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة حصل فيها نقص كل التأييد . فان الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحا في الواقع ونفس الأمر اذ الاشتباه في الراوي لايمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاولته أن يقول انهم جميعا على الحق وان اختلفوا فمما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابون على اجتهادهم فانا لم أعارض في ذلك ولم يكن هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿ الاجماع ﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في ايرادها ونصها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه · وعلى فرض المناسبة نقول : انه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون · أو أن طريقهم واحد ولا يسيرون في طريق الباطل · ولو أورد لنا آية بهذا المعنى لكانت حجة لحضرته · والذي نعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسيروا في طريق الباطل فمن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عذبه الله · فمعنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه و يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عذبه الله بما ذكر · واذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم · لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم · ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون اليه بمقتضى فطرتهم و يتطلبونه اذا ضلوا · وهم لم يحيدوا عنه الا خطأ أو جهلا · ورجوعهم اليه سهل اذا أرشدوا

هذا واني قد تركت بعض مسائل لم أبد ملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الأولى خوفا من التطويل والسآمة · ولأن البحث فيها لا يؤدي الى نتيجة هامة في الموضوع ولا يغير جوهر الكلام

﴿ مبحث الصلاة ﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج اليها القارىء كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما أرمي اليه فنقول :

(١) ان عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضرنا ذلك شيئا لأننا نقول لعل ذلك كان لأن النبي جمعهم على هذه الاعداد المخصوصة وحتمها رغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام · وليس من خلف بعدهم

مضطرا لالتزام ما أمروا هم بالتزامه . فليس حديث ذي اليدين ولا حديث عائشة اللذان أوردهما الاستاذ بمفيدين لنا في هذا البحث شيئا، على أنهما ليسا بمتواترين . ونحن وان احتججنا بمثلهما على غيرنا لقبوله ذلك لا نقبل الاحتجاج بهما على أنفسنا لأنهما لا يفيدان الا الظن كما تقدم . ثم ان الاستاذ لم يجبنا عن السبب في صلاة النبي ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن الدعوة وأراد التخلص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو كما نقله في البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب الى رأينا في عدم تسمية صلاة السفر قصرا منه الى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : ولذلك اضطر كثير من المفسرين الى تأويلهما والاستاذ يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصرا وتغاضى عن أقوال الصحابة أنفسهم

(٣) لم يرد حديث واحد متواتر لفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا نحن فيه بهذه الأعداد المحصورة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير متواتر وليس صريحا في أمر الركعات . وهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في عصر النبي بدليل قوله (كما رأيتموني)

عجبا منك أيها الاستاذ البشري . كيف تحتج علي بهذا الحديث وهو غير صريح في المسألة . ولا تحتج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررته في أنه يكفي قراءة أي آية من القرآن في الصلاة ولو كانت غير الفاتحة ؟ مع أن النبي وأصحابه أجمعوا على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه السلام أنه تركها مرة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي بدون الفاتحة يكون عندك مصليا كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل الأربع ولماذا نرى أننا خالفنا طريق المؤمنين ولا ترى أن أبا حنيفة فعل ذلك أيضا؟ وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده لا يكفي اذا لم يصحب بأمر لفظي يفهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

للتأويل ولا الطعن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركعات الصلاة متواترا لفظه فلربما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على العموم. والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا. فكم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون. أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) فلو سألت عنه جميع الصحابة والتابعين لقالوا ان هذا يحصل يوم القيامة. مع أن كثيرا من علمائنا الآن صاروا يقولون أنه حاصل في الدنيا. ولو قال واحد في الزمن الأول إن النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لاتفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه. ولو كانوا رووا القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم. ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ماقاله ذلك المخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق. والله لا يتعبدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل الينا أصل الأمر بالتواتر. وحيث انه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فانه متواتر في رأي الاكثرين

اذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان. الأمر بركعات الصلاة إما أن يكون تحريريا أو قوليا. هو ليس بتحريري. ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك اذا لم يصل الينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني. فان قيل ان التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا اذا نظرنا في أمر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الازمنة والأمكنة. واذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد. والله لا يتعبدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل الينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل الينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاستمساك عليها وهو المطلوب .

ولنعد الآن الى اتمام البحث في هذه المسألة فنقول : — نازعنا الاستاذ الفاضل فيما استنتجناه من قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا . واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) الى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح الخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه اذ كثيرا ما ورد الخطاب بالجمع ولم يرد به الا الأكثرين كما في قوله تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فالخطاب هنا وان كان لجماعة المؤمنين الا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكمين الا اذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد فنفي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . اذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام ان قلنا انها لم تكن قصرا لخالفنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتى يتم علينا الزام حضرة الاستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فيما لا نوافقه عليه لان الأصل عدم ذلك ومتى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوما وجب المصير اليه . أما اذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا الى القول به . وهنا لا دليل عندنا من القول بأن هذا القيد معتبر في هذه الآية وأحاديث الآحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلها كقول عائشة وقول عمر اللذين ذكرناهما فيما سبق فانهما يدلان على أن صلاة السفر ليست قصراً فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فاقرارنا بأن القيد في قوله تعالى « واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » الخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وان كان للنبي الا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويريد هو وأمته كقول المثل (إياك أعني وأسمعي ياجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لأخرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » وقوله « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » الآية وقوله (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) الى غير ذلك من الآيات . ولهذا قال علماء الاصول ان كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمته الا اذا دل دليل على التخصيص ومما يشير الى هذا المعنى قوله تعالى (ياأيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) . لذلك نقول ان القيد (واذا كنت فيهم) لا مفهوم له لان الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (أن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فانه معتبر مفهومه لعدم الدلائل القاطعة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الانسان وارادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشهاده بآية (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست مما يتعين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربيبة اذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد الدخول فانه يجوز له أن يتزوج الربيبة وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب ان نعتبر مفهومه الا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) وكل خطاب للنبي خطاب لأمته الا اذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهومه لعلة فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام » وبذلك ننزه كتاب الله تعالى عن اللغو والعبث والابهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكفينا في الرد عليه أن نحيله الى تفسير مثل تفسير فخر الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المتبادر من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذكر غيره وبه تنتهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلى الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدللت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرباعية زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة وبنى على ذلك ما بنى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأوليين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزلتيهما أقل من الركعتين الأوليين : وشتان ما بين هذا المعنى وذاك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً في الركعتين الأوليين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

انتقد علينا تسمية صلاة السفر « اكتفاء بالواجب » ونرى أن انتقاده هذا هو حق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلازم في غضون أسفاره النوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلا للنوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصليها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وألهمنا الفهم لكتابه المجيد . انه ملهم الأنام هادي العبيد . رب العرش الفعال لما يريد؟

تذييل

نلفت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زبدة هذه المقالة والمحور الذي تدور عليه : —

(المسألة الأولى) الفروق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته في زمنه ولذلك نسميه «التعاليم التحريرية أو الكتاب» والسنة نهى عن كتابتها ونسميه «التعاليم اللفظية»

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب مالم يكن مصحوبا بدليل قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع أن ذلك متواتر عملا عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين للعرب لا يحتاج لتبيينه الى كلام آخر لأنه في منتهى البلاغة ولا يكون كذلك الا اذا كان ايضاحه فوق ايضاح كل كلام سواه . فلا فلا معنى عندنا للقول بأن الرسول مبين له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الايضاح العملي أبلغ من الايضاح القولي مهما كانت درجته . فالقرآن وإن كان لا يمكن ايضاحه بقول أوضح منه الا أنه يمكن توضيحه بالعمل فان العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي تحتاج الى العلم والعمل كالطب مثلا . ويدخل تحت ذلك تصوير الافرنج للمعاني بصور وأشكال يضعونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بعمله . ولا ننكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) قد يشمل هذا التبيين العملي أيضا . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه آنفا فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على ايضاح ما في الكتاب وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى ما في الكتاب . فكل عمل مبين لما في الكتاب يكون واجبا اذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أو لم يذكره يكون غير واجب علينا . و بعبارة أخرى (الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسألة السابعة) جل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن أصحابه مفسرا لآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة لا أصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد يعتمد عليه في بيان الناسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح ما يقولون (راجع مقالتنا في الناسخ والمنسوخ)

فنرجو ممن يطالع هذه المقالة أن يمعن النظر في هذه المسائل ولا يعميه التقليد عن إدراكها وبعد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من اتبع الهدى م ؟ ٢٠ يناير سنة ٩٠٧ صدقي

المنار

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة ونقول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا اليها في بعض أجزاء السنة الآتية

كثر الكلام وتشعبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد وتحرير محل النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بعد مسألة عدد ركعات الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نصه «لاشك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجبا على الامة الاسلامية في جميع الازمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ ورأيي أنه لا يجب » .

وذكر في المقالة الثانية ما رأيت آنفا من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالعرب . وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الا الثامن فانه امر سلبي والتاسع فانه دعوى ممنوعة والعاشر فانه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذى لا يماري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلغهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجها الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا نطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يمتري فيه وهو أنه لا يعقل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عملا كذا من الدين وانه عام لجميع المكلفين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أو مع من يشاركهم في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذى بعث لاجله وهذا مما لا يجيزه مسلم

فاذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين انتجتا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد بإسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فمن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتده من الدين ومن وثق بمجتهد وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتده من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخيرا فيه تخير . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما يتسع له صدر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجئه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين — ويدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس — مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم انها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرنا كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فان حال الخوف لها حكم خاص بها لمكان الضرورة فمنه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) وهذه كيفية لا ركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركعة للمأمومين وركعتان للامام وأقل صلاة الامن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كيفيتها يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود في آيات أخرى مخيرا فيه أو مندوبا اليه أو أمرا كماليا ولا يعدم لذلك نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصا في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تجعل معيارا على القواعد والاحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القبيل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم يصلون ركعة واحدة لاسيما على القول بأن معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من اذكارها الخفية لا من أركانها الجلية . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فاذا سجد المصلون فليكن الآخرون من ورائهم لئلا يفتنهم العدو وهم ساجدون لا ينظرون اليه وفعل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المتبادر فيه . فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا يصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فاذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (٧:١٥٨ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لا العرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكمه ان يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صدقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لا دليل على هذه التفرقة في الدعوة وانما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلاقها على ما يشمل الأحاديث اصطلاح حادث . فعلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الاسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما مضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (٢:١٥١ يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) والتعليم كان للآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تتحقق به الحكمة

منه ولذلك قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الدكتور « الحق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني الدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتى تصل الينا كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يتعبدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الا ما واظب عليه النبي (ص) وأصحابه ككيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل الينا هذا بدون نزاع ولا خلاف يجعل السنة في جملتها مظنونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بعضه فرضا وبعضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرءون بعدها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الاوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله تارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراآت ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لا نستغني بالقرآن عن السنة الا اذا استغنينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن واهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث وبسمونها بسنن الاقوال دين وشريعة عامة وان لم تكن سننا متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لاسيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فاكبر شبهة ترد علينا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة الصحابة للحديث وعدم عناية علمائهم وائمتهم كالخلفاء بالتحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا للدكتور صدقي

في هذا كراته لنا قبل أن يكتب شيئا في الموضوع . وقد سألنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فما أجاب أحد الا ببعض ما أجاب به النووي في شرحه لصحيح مسلم وهو غير مقنع لاهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهريا . فالمنار يقترح على علماء الدين ان يوافوه بما يعلمون وما يفتح عليهم في هذه المسألة والا كانوا من كاتمي العلم وقد علموا ما ورد في الكاتمين

هذا وقد سبق لنا سبح طويل في بحث ما تتحقق به الوحدة الاسلامية من الاخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات محاورات المصلح والمقلد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿ رسالة من طهران بحروفها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاه ورزقنا بره ولقاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالموجب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار عما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك على الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالتكم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتكم الغراء . أول من ترجم ذلك ذكاء الملك في جريدته (تربيت) الغراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكرهم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الحبر واقرؤها على المنابر وفي المعابر . ثم نقل ماترجم وما قال في جريدة (مجلس) وهي جديدة الطلوع يقرأها في طهران الصغير والكبير والذكر والانثى بل وفي جميع إيران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتابا وأغلظ فيه وذكر أن ما ترجمته وزنامه (تربيت) ونقلته عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة ليوقعوا انفاق بين الدولتين ، ويحدثوا الشقاق بين الفريقين ، والأولى أن تحتموا على جرائدكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها : فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيتنا حتى نؤاخذه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا معارضتهن بشيء . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بعيني في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوما في مجلس مشحون من طلاب العلوم الدينية فتذاكروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت بإخواننا من العرب المساكين ، تطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينور عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في إيران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التعدي على حدود مملكتنا من طرف تبريز ، رأينا منها التعدي والظلم لاخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها ذبحهم وجزرهم في الشهر الماضي ، مهلا مهلا أيها الترك أفيقوا من غفلتكم ، وتيقظوا من نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كاليوم ، انفتحت علينا أوربا وأتانا أهلها من كل حدب ينسلون ، هذا تاجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخر داع لدينه ، والقصد من الكل ابتلاعنا معاشر أهل الاسلام ، فان تيقظتم وإلا فأنتم صبوحهم ونحن غبوقهم لاسمح الله بذلك ، أيها الترك تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ المستبدين أربابا من دون الله طاعتهم كطاعته ومعصيتهم كمعصيته ، بل نجاهدهم بالسيف والسنان ، والقلب واللسان ، فان توليتم فنشهدكم بأنا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الخائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

هذا معنى ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحببت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ماترجم قولكم صار بين الناس ذكرهم وأثناهم أشهر من نار على علم اه

(المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتمه ولكننا لم نذكره لاجل قوله أنه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل لنكتب اليه

وقد رأى القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذي يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدولته ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم وبين قومه الترك ومعنى هذا — ولا ندري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذي وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجموعها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يئنان من حكم الاستبداد ويحنان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه ولو لم يجد المائنين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لماذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لهما عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لاجل المال والجاه هو العدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامرين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما أنذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فنسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قبل أن تقع الواقعة فتكون خافضة رافعة

باب التربية والتعليم

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتفوا به ولاصحاب الجرائد ما ترجمته

أيها السادة: — لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر. فأكتفي بأن أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام — المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعتد مدارس مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي. لان المدارس الثانوية للتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر. والتي يسمونها هنا المدارس العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوربا مدارس ثانوية فنية. فمدرستنا العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وان كانت المدرسة العالية في عليكرة لا تزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية ولا تنكر أن مدرستنا الكلية لم تخرج الى الآن رجالا من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجالا ذوي كرامة ونفوس عالية وإخلاص لبلادهم وملتهم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص باقامة الطلبة فيها على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها واعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك الى ترقية شعورهم في مبادىء الاخلاص والوطنية حتى اذا ظهر أن طالباً ما يشتري بمصلحة المدرسة مصلحة شخصية له حقره الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يبرحها غير مأسوف عليه ويوجد في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذي تسير عليه هذه المجتمعات والاندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) اذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا النادي ناديكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكونون فيه رأيكم العام وتنقدون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لادارة الاعمال »

أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لا نعرف ولا نتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فانها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا نتمسك كثيرا بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ نجبر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لابد للشاب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سيال الفكر بحواجز صناعية لابد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نعمله في الحقيقة هو أن نعد لذلك السيال طرقا ومسالك يجري فيها

والكلية الآن تتبع بروجرام التعليم في الحكومة وتعد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد أحمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاتنا لاتكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا بيدنا ولاتسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ تأخذ العلوم بيميننا والفلسفة بشمالنا ونحمل تاج ,, لا إله الا الله محمد رسول الله '' فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السير أنتي مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تنمو هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السياسي والديني الذي لايؤمل الآن من الاستانة أو مكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يفكرون بمساعي النواب محسن الملك في انشاء جامعة أسلامية وجامعة للمسلمين . وثمت فرق بين التعبيرين كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر التربية الاسلامي وقد قال سمو آغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طبيعيا برقي وتقدم اخوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

بجعل عليكره (اكسفورد اسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا لتعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاص والمروءة والايثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقا في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا الذاهب أفلا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه؟ فهل فقدوا الشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سبباً في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شيء من المال لهذا العمل المجيد؟؟؟

وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعا لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إننا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلقى فيها العلوم التي يمكن تلقينها في مدارس ثانوية. وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكر تنمو فيه الارواح وتتربى الرجال وتسمو الاخلاق. نريد مكاناً يكون مهبطاً للعلوم ودارا يلتئم بين جدرانها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والعرفان في كل ارجاء العالم

واني أؤكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يعد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذتم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وانحطاطه. وانا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر المختبئة في آداب اللغة العربية وتنشر الكتب العديمة المثال بتفاسير وإيضاحات. وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ونجعل لهم مرتبات لكي يستريح بالهم من جهة الحياة وليتفرغوا للدرس والبحث

ونحن الآن أيضاً ننشئ في محاذاة تلك العربية كلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعليم العلوم الطبيعية عمل كبير، يحتاج الى انفاق مال وفير، ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واذا ساعدنا التوفيق نضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لعلمي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كافة وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمت علم من العلوم لا يتعلم في عليكره. ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع انحاء العالم عليكره لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألنا بعض الناس — لماذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فننشيء مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة — ونحن نقول اننا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكره لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين المختلفين في الجنس والدين . فيوجد الآن طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين . ولن نسعى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها «جامعة اسلامية» الا بالمعنى الذي تنسب اليها كسفورد وكمبردج الى كنيسة انكلترا الرسمية . وأني أورد لكم بعض الحجج التي نقيمها في هذا الصدد

أولها — من المعترف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية العمومية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يعلم الدين اجباريا ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت . أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها . وقد لفت اللورد كرزون حاكم الهند العام السابق انظار الرأي العام الى هذه النقطة وعدها نقصاً في نظام التعليم الهندي . ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اننا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها — قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكره وإنني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهمال الدين

ثالثها — أشك كثيرا في امكان جمع المال لانشاء مدرسة جامعة لا دين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة بانشائها واذكر ان السير ميخائيل هيكس بيتش وزير مالية انكلترا اخيرا قد القى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعها — إن المدرسة الجامعة ليست معملا (فاوريقة) لصناعة طلبة ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية ولكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالا كبارا ورجالا ينقطعون للعلم والدراسة والبحث . ولا يمكن لمدرسة جامعة لا دين لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على انه يوجد في المدارس التي لها دين من ينقطع للعلم والتعليم

ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدرى بدائكم ودوائكم أكثر مني ولكني اريد بالنيابة عن رؤساء كلية عليكره ان ادعوكم الى الهند لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل ان تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد ان كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة الى مدرسة ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الاربع لاتكفي لتربية الامة كلها ولو وجد من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الامة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لانشاء مدرسة ثانوية واحدة في حين انه يوجد في مصر ست مدارس ثانوية أهلية ليست منها واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الامة ؟؟

يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو انه يلزم ان يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوربيين . ومما يمنع الناس ان يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى . واني موقن بأنه اذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فان عدد المدارس الاهلية الثانوية يزداد واذا كان الهنود يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية اخوانهم الهنود باللغة الانكليزية فلماذا لا يقدر المصريون على تعليم اخوانهم كذلك ؟؟ فلهذا أرى أن أول واجب على قادة الافكار هنا ان يسعوا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي نفقات كثيرة ويمكن تنفيذه في الزمن القريب . واني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم ان يكون ذلك في أوروبا .

واذا كانت الحالة المالية لاتسمح بارسال الطلبة الى أوروبا فهناك طريقة أخرى لتعليمهم في كلية عليكره فان نفقات التعليم فيها مع الاقامة والسكنى وكل ما يلزم للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنيها في السنة ولهذا أرى ان عشرين جنيها تكفي الطالب في السنة من كل الوجوه وياليتكم تجمعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنيهاً يعطى منه عشرون جنيهاً في السنة لطالب فقير ويرسل ستة من هؤلاء الى عليكره ليقيموا اربع سنين أو أكثر اذا أراد الطالب . ولا أقصد ان أقول أن التعليم في عليكرة ارقى منه في أوروبا ولكني افضله لسببين أحدهما ان الطالب يتلقى تربية دينية مع تلقي العلوم والمعارف في جو اسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد العجم وافغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وباجتماعه بهم وأحاديثه معهم تتسع دائرة فكره وتزداد معارفه وثانيها ان الطالب فيها يتلقى تربية وطنية ولا يتعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوربا . وانني في موقفي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي تهم عليكره وترقيتها كما سبقت لي الاشارة لانني أعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكره يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة لمسلمي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشبلد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكرة يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نجدها والتي آمل ان اخواننا المصريين يساعدوننا على تخطيها . علمتم أن التعليم الديني اجباري عندنا في عليكره ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطالما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لنحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكره فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتبا للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على أصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نفخر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمد على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذ أمكن أن يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لعقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد انشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم تضع بروجراما صالحا ولا كتباً وافية بالغرض

أيها السادة : العلاقات بين مصر وعليكرة تزداد يوما بعد يوم وسيكون عندنا مسلمون مصريون ونود أن نبعث بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لاكمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم أن تبعثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقدم مدرستنا وسيرها ويسألون عما نفعله نحن الهنود المسلمين

لاصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى انه يحسن تأليف جمعية مصرية لهـا ارتباط بكلية عليكرة وتساعد على نشر مايعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلا في اختيار معلم اللغة العربية عندنا . واذا تأسست جمعية على هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يعد لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتيج اليها فمثلا اذا احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته اكثر من نواب محسن الملك اوسواه من الرؤساء واظن انهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في الهند وبالطبع يرسلونها اليكم تلك النماذج لاخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد ان نحتذي فيه المدارس المصرية لان الهنود لا يحبون ان يقلدوا الاوروبيين في ذلك .

وفي الختام ايها السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم اياي وأؤكد لكم انني سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأتذكر ماحييت بمزيد الشرف والفخار إصدقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اهـ

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبىء عن فهم ثاقب، ورأي صائب، وتهدي الى طريق لاحب، لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين، وأن أولاهم بهـا لعقلاء المصريين، الذي خطب الخطيب ودهم، وطلب وصل حبل مدرسة عليكره بحبلهم، وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل لاصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السعي في إنشاء مدرسة جامعة إسلامية تكفل ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك او يدعو اليه الا ما كان من الاستاذ الامام رضي الله تعالى عنه فلنا أن نقول بعده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا وأعلى همة

(٢) توحيد التعليم الديني والتربية الدينية في مدرسة عليكره وهو أعظم أركان الاصلاح الذي لا يرجى للمسلمين فلاح بدونه ولم نعلم قبل ان أعلمنا ضياء الدين ان مدرسة عليكره تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنيون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة نشأة واحدة روحها الاخوة الاسلامية النافية للتفرق والخلاف . وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبر همة واقداماً وقد كنا دعونا الى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالات (محاورات المصلح والمقلد) ولكن لم نر أحداً اهتم بتنفيذه بل عادانا وآذانا كثير من الناس زاعمين ان مادعونا اليه ضار مضيع للاسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلقن لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الاسلام متروكة الى اجتهاد الأفراد لاتدخل في التعليم العام ولا يمنع أحد من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادى لذلك . وما شرع الله لنا الا ان نقيم الدين ولا نتفرق فيه وهل من سبيل الى اقامة بدون تفرق الا مادعونا اليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا اليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد . ومسلمو الهند قد سبقونا الى العمل الذي كان الاستاذ الامام عازماً على جعله أساساً للمدرسة الكلية التي توجه الى تأسيسها . ومن علم ان التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وان الحرية في مصر أقوى منها في الهند تجلى له ان الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والا فان استعداد الشعب هنا للاصلاح أقوى منه هناك فعامتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما أعتقد

(٣) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحققوه ان لم يكن متحققاً وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الايام حقيقة الأزهر وانما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكره

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية وناهيك بما كتبه يومئذ الى المنار وما المهد بمقالته الاخيرة في المنار ببعيد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ماوقع هذا اليأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي باح به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يقلدون مذهبا من المذاهب ولا نعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجى منه شيء . وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لا عناية فيها لاسيما التوحيد والتفسير والحديث وهي هي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجى خيرهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئا من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسنا الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يعملوا ولم يكتبوا شيئا في الاصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية مزايا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسفي وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها انه لم يترك خلفا يتم مابدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لانشاء المدرسة التي كان يريد انشاءها بعد ترك الأزهر فجاء دعاة الجامعة المصرية يسابقونهم الى ماهم أنهض به فاستمالوا بعضهم وسكت الآخرون لئلا يكونوا معارضين لمن بدأوا بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يعدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) يمشون الخوزلى ويرى الكثيرون

أنهم لو دعوا الى جامعة إسلامية لكانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل الينا ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكيائنا المتفرنجين قد شغل خيالهم وطنية غربية لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفاسد التي تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيعدوا لدرء هذه المفاسد عدتها . فهؤلاء هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم للدين من الأديان مخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عاق الهند من هذه النزعة

لا نريد بهذا تثبيط الهمم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية وبذل المال لها اذ لسنا نرى من خدمة الدين مجافاة العلم بل ندعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الخذلان فيها (لا قدر الله) عار على الامة كلها وأن ما يريده الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتقاء ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تغني مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربى فيها الناشئون تربية دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجالا نابغين في علوم العصر كلها واذا عظم الاكتتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لا سيما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

آثار علمية أدبية

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب الفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب ما لا يبلغه مع وجدهما وقد ثلمت فطرته ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يعز مثله على قوم يرون أن لهم في العلوم الجواد المصلي ، وانهم نالوا من التربية القدح

الملى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة : يعاقرون الخمر جهرا وهم يعتقدون انها محرمة في الدين الذي ينتسبون اليه ، وضارة في حكم الطب الذي يعولون عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرمها على نفسه وهو لا يرى فيها إثما في حكم الدين ، ولا ذما من المعاشرين ، وإنما هو العقل اراه حقيقة خبثها فأبى ان يحكم لذته في عقله . قال ابو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال اخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس ابن هشام قالا حرم رجال الخمر في الجاهلية تكرما وصيانة لانفسهم منهم عامر ابن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان وقال في ذلك

سآلة للفتى ما ليس في يده　　ذهابة بعقول القوم والمال

أقسمت بالله أسقيها واشربها　　حتى يفرق ترب القبر أوصالي (١)

مورثة القوم اضغانا بلا إحن　　مزرية بالفتى ذي النجدة الحالي

وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لعمرك ان الخمر مادمت شاربا　　لسالبة مالي ومذهبة عقلي

وتاركتي من الضعاف قواهم　　ومورثتي حرب الصديق بلا نبل

(قال) وحرم صفوان بن أمية بن محرث الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك

رأيت الخمر صالحة وفيها　　مناقب تفسد الرجل الكريما

فلا والله اشربها حياتي　　ولا أشفي بها أبداً سقيما

(قال) وحرم عفيف بن معديكرب عم الاشعث بن قيس الخمر وقال

وقائلة هلم الى التصابي　　فقلت عففت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد اراني　　بها في الدهر مشغوفا رهينا (٢)

وحرمت الخمور علي حتى　　اكون بقعر ملحود دفينا

وقال عفيف بن معديكرب أيضا

فلا والله لا ألفى وشربا　　أنازعهم شرابا ما حييت

---

(١) أي لا اسقيها ولا اشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشغوفا مجنونا

أبى لي ذلك آباء كرام وأخوال بعزهم ربيت

(قال) وحرم سويد بن عدي بن عمرو بن سلسلة الطائي ثم المعني الخمر وأدرك الاسلام فقال

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامى
وحرمت الخمور وقد أراني بها سدكا وان كانت حراما

أقول ويالله لسلاسة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وماهو أرق منه

﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تنشدني من أرق ما سمعت من عمك من أشعار العرب فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يابني وماتصنع برقيق أشعارهم فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصبابة ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوي

يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا انني لغريب
غريب دعاه الشوق واقتاده الهوى كما قيد عوذ بالزمام أديب
وماذا عليكم ان أطاف بأرضكم مطالب دين أونفته حروب
أمشي بأعطان المياه وأبتغي قلائص منها صعبة وركوب

فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لعمري لئن كنتم على النأي والقلا بكم مثل مابي انكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق
اذا زفرات الحب صعدن في الحشا كررن فلم يعلم لهن طريق

(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه قال أنشدتني عشرقة المحاربية وهي عجوز حيزبون زولة

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبقا وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي أبلي
ولا شربوا كأسا من الحب مرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

قال أبو بكر : الحيزبون التي فيها بقية من الشباب والزولة الظريفة والزول الظريف وقوم ازوال والزول أيضاً الداهية والزول العجب . وقال لي غير أبي بكر الحيزبون العجوز ولم يحدد لها وقتا . ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة المكي

ان وصفوني فناحل الجسد	أو فتشوني فأبيض الكبد
أضعف وجدي وزاد في سقمي	أن لست أشكو الهوى الى أحد
آه من الحب آه من كبدي	ان لم أمت في غد فبعد غد
جعلت كفي على فؤادي من	حر الهوى وانطويت فوق يدي
كأن قلبي اذا ذكرتكم	فريسة بين ساعدي أسد
يدي بحبل الهوى معلقة	فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الانباري عن المظفر

هل من جوى الفرقة من واق	أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى	اذ جلن في مهجة مشتاق
يا كبدا أفنى الهوى حلها	من بعد تلذيع واحراق
حتى اذا قسمها ساعة	كرت يد البين على الباقي

(المنار) القاريء يرى في هذه المقاطيع ارق الشعر وألطفه مسلكا في الروح وأشده جذبا للقلوب

التقريظ

﴿ كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الخمر وفي النسيب هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر ، وما كتاب الأمالي والنوادر ؟ هو الذي عده ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب : وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي على القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها : اه

كان في هذا الكتاب من النوادر التي قل ان تكتحل برؤيتها عين فصارت ولله الحمد مسرح كل عين تعشق الأدب اذ شرع في طبعها الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي فتم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم · طبع فى هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالاتقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأمالي · طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشتبه فيها وما قد يشتبه من التركيب في النثر بالشكل وأظن أنه لم يعتن بطبع كتاب بعد (المخصص) كما اعتني بطبعه · وقد علم القاريء ان هذا الكتاب على ما فيه من الفكاهة مما يطبع في نفس قارئه ملكة البلاغة العربية · وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشا

مفردات الراغب في غريب القرآن

كتاب المفردات للراغب أشهر من نار على علم وهو مازال منذ وجد معوان المفسر بن ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالمصباح وفسرها تفسيرا قلما تجد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالتعريف الدوري وهو كثيرا ما يعدد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه فى هذه الأيام الحاج مصطفى البابي الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكر له احياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر اقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

﴿ خمس رسائل نادرة ﴾

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني · والثانية في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي · والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الخباز · والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة · والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحث أهل العلم على مطالعتها

﴿ قانون الصين ﴾

يقول الشيخ سعيد العسلي الرحالة السوري انه ظفر في كشغر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع اهل الصين السابق (تونجى خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشغر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض العارفين باللغة التركية والصينية معا في مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح. وقد طبع ما ترجمه في مصر. ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية. وياليت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام. اما طبعه فحسن والورق الذى طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والمرغبة في المطالعة. هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكام لاسيما رجال القضاء، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجى رواجه من غير ترغيب فيه، ونحمد مترجمه على اتحاف العربية به،

﴿ فصول الحكماء ﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدى أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقليين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين وتكلم عنهم بكلام أوسع. والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندى هنديه

﴿ بليزار ﴾

أهدتنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بليزار فوضعناها بين الكتب المعدة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة تنبيه الراغبين الى ابتياع

ما يكتب عنه ترويجا له وقلما يقرأ المنار حيث تباع قصة بليزار الا عند طابعها وبائعها . وعكفنا في الشهر الماضي أياما فرأينا من التسلية أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبدأنا بقصة بليزار فبدالنا مالم نكن نحتسب، بدالنا ان هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تتمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجاليها، لا يقرأ الفصول الأولى منها ذو قلب ويملك عينيه أن تهملا . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والتجافي عن اللغو أن يختار طبع قصة لا تفيد ولعله يرسل الى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء في تشويقهم اليها مع امتناعها عليهم

﴿ لحن كيوتزر — مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاهما لفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطاهن الطبيعة حتى صار هم المرأة في التمتع بمعنى الزوجية صارفا لها عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالموسيقى . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضعية عنوان الأولى المجانون والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندى شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الاسلوب

المعارف

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمديرسياستها محمد صادق المحمودي »

ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى . وذكر صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة العلوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الاسلامية ولخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن العجمة . وجعل أمر السياسة فيها ثانويا فأصاب . وفي العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انتقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية مالا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقوله عن جريدة الاهرام ان سياستها لاتنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع أن سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب انهم سوريون كأصحاب الاهرام وكمبالغته في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام . . . ولم نقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً مانرى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الهمجية وليس اقبح زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلاكتها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية . ومن مبالغته ماذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الاهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهؤلاء قلما يقرأون الجرائد لبعدهم عن السياسة وانما يقرأ بعضهم المجلات . وأما الاستانة فكل من أرسل الباشا يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت . والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الخديو . وكقوله ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية « بكونها تطبع بثمان صفحات » والصواب أن هنا عدة جرائد أسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفا مجملا لايشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا العادة في التعريف بهذه الجريدة للعناية بها وللتنبيه على ما يقع كثيرا من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فاننا كثيرا ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلا) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشعر به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوى الباعث للكاتب على ما كتب - والغيرة على التاريخ إذ مقالة المعارف تاريخية لاشعرية

ولا سياسية فيقال ان هذا من التخيل أو الغرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول

﴿ المهذب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتاً يوم السبت من كل اسبوع » أنشأها في زحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد الى عيسى افندي اسكندر المعلوف بتحريرها . ومن عرف ما للخوري بولس صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محررها من الشهرة والبراعة يرجو كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع التهذيب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصاً اللبنانيين الذين ينشئون الجرائد اليومية وغير اليومية في قلل الاجبال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالضاد ، في مثل تونس وحلب وبغداد ،

باب الأخبار والآراء

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالمملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المتفرقة بالقوة العسكرية بضعة قرون ولكنها لم تحولهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون فيها بالعدل والمساواة في الحقوق — لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل الشعوب عن دينها ولغتها معاً أو عن أحدهما بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة وإبادة من تأبى واجلائه فبقيت هذه الشعوب التي لم تتحد مع الدولة برابطة لغة ولا دين ولا حكومة مساواة تفترص النهز للخروج عليها والانفصال منها فمنهم من قضى مأربه ومنهم من ينتظر

كان ضعف هذه الشعوب وجهلها وعدم النصير لها هو العون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت على هذه الشعوب شعاعا من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصارا من دول أوربا التي اربت قواها على قوة الدولة . واتفق ان اشتد من أول هذا القرن (الهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (اي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والاكراد لان سهم الترك من شعاع العلم كان اوفر وشعورهم بألم زوال السلطة اقوى . فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى في تلافي الخطر الذي ينذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والمهلك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فمزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعوانا للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بان لاتدرأ الخطر ، ولاتنال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجوب السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانيـة كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها ومللها في السعي لجعل الحكومة العثمانيـة حكومة شورى وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستعباد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهتدوا الى هذا التأليف بين الشعوب والملل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكريت ومكدونية ما نزل ، ولما تفاقم أمر الاستبداد واستفحل ، فعسى ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجا ويعضدوها بآرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منهاجها تنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الاساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه لائحتها الاساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية شوروية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل مافي وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التفات الى الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظامات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم اللجنة المركزية الاصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يعين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعها وتسمية الاشخاص اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعيين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الاساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والافرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الاساسية يرجون من جميع اخوانهم العثمانيين الذين يهمهم خير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسعى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع المخاطبات ترسل الآن موقتاً الى صندوق البوسته نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

أمير بل ملك أفغانستان في الهند

طالما تمنى الانكليز أن يزور أمير الافغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الايام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا الآن تعد افغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا امارة وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الامير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة وبحث فيها بحث مفتش خبير فكان بحثه وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل هذا كرته معهم في المباحث الدينية حتى قيل انهم عجزوا عن مجاراته والاجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلعوه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال اني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصغاؤه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أمر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الدمع عند سماع التلاوة

وطلب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهؤلاء الطلاب : أصيخوا لما أقوله لكم أيها الطلاب أنتم في شرخ الشباب وستذكرون ما أقوله لكم متى تقدمتم في السن ، تسمعون الناس يقولون ان أمير افغانستان سني متعصب أيلزم أن أكون متعصبا لاني سني ؟ أتفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا واني — وأنا سني — لا أفضل الهندوس على الشيعة . قرأتم في الجرائد

اني نهيت في دلهي عن تضحية البقر يوم العيد وأنا هناك مجاملة للهندوس وتحاميا لجرح عاطفتهم الدينية فاذا كان هذا شعوري في مجاملة الهندوس فكيف يكون شعوري وميلي الى الشيعة؟ اذا لا تصدقوا انني متعصب، ان في رعيتي السني والشيعي والهندوس واليهود وقد أطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب. نعم لا أسمح للشيعة أن تهين الخلفاء الثلاثة وتزدريهم فان كان هذا يعد تعصبا فأنا متعصب.

كانت المدرسة قد أعدت خطبة للترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا افتتحه بالشكر لحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر انه سمع عن المدرسة الحسن والسيء وكان السيء هو الغالب على ذهنه قال «فجئت لاعرف الحقيقة بنفسي لانني لا أثق في شيء من الاعمال بالروايات» ثم صرح بأنه بعد الاختبار الدقيق علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال «وجدت مجلس الادارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين في ايمانهم وان الطلبة يتقدمون وينمون ليكونوا من المسلمين الصالحين واني سألتهم أسئلة يعسر على بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية لا تتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله ان وجدتهم على ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص الناس على قطع ألسنة من يذمون هذه الكلية (وهنا صفق الحاضرون فأشار بيده أن أمسكوا وقال)

«من كان لا يزال يظن ان الدين والعلم لا يتفقان وان الدين يضعف حيث ينمو العلم فليأت الى هذه الكلية وليرَ كما رأيت ما يفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة الناشئة الجديدة. بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع التعليم فيالذلك من جهل فاحش. أصيخوا لما أقول اني أدافع عن التعليم الغربي وقد استبدلت بحسبانه طريقا للشر إنشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية) إضافة الى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية الا انني أصرّ على القول بأنه لابد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فاذا هدمتم الاساس هدم مابني عليه . لذلك أقول لكم اجعلوا تمرين الطلبة في علوم الدين غاية الغايات وقد وضعت هذا الشرط في كلمتي وأرجو أن يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأني صديق مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام »

ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألف روبية هبة معجلة ومرتبا سنويا قدره ستة آلاف روبية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدىء القول ونعيده ، وبحوله وفضله نودع عاما ونستقبل آخر، فله الحمد على ماوفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي، فان بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، هو ربي اليه أدعو واليه أنيب ،

كانت السنة التاسعة للمنار كالسنين الأربع قبلها في كثرة الاقبال على المنار فيها وطلب المئين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم يعرفنا به صديق نثق بوثوقه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر المجهولين الذين يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطلب عطلون بعد ذلك ويسوفون ، أو يهضمون الحق وهم متعمدون ، وان سوء حال الأكثرين ، يحمل على سوء الظن بالأقلين من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة ان شاء الله تعالى لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل الينا القيمة مع الطلب الا أن يكون معروفا لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا فحسبنا ما قاسينا من مطل الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار ستين قرشا لأهل القطر المصري والسودان فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النفقة زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان عما استأجرناه به أول

مرة مئتين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت دكاكين تؤجر بما هو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة تذكر فتستكثر وزاد مطل المشتركين مع ذلك

حال المشتركين

في كل سنة نزداد علما بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء الصحف المنشرة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٣١٤ م ٦) وهي أشد البلاد مطلا حتى ان بعض المديريات (كالدقهلية) لم يرسل الينا قيمة الاشتراك منها في هذه السنة الا عشرة من المئة . نعم ان أكثر المشتركين في المديريات لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكرهم بها مذكر والصحف نفسها لا تعد مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤنها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقا وأنها ما وصلت اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقا الى مستحقه الا بعد إلحاح في الطلب وكثرة مراجعة في السؤال ومنهم من يعز عليه أن يؤدي حقا بدون حكم قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك وباعته الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في الليّ والمطل لغريب وقد كنت أذاكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتمكن من نفوس الاكثرين فأخبرني أنه ما تمكن الا بالوراثة . قال ان الحكومة لم تكن تحصل الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون العدم وهم واجدون ، وينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضربوا يعترفون ، كان أحدهم يضع ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف لعامل التحصيل الايمان المغلظة أنه لا يملك الآن شيئا حتى اذا ما برّح الكرباج بجلده ، وشربت السياط من دمه ، أخرج النقد من فمه ، ورمى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ، لا يعتبر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطلا كتاب المصالح والدواوين وصغار المستخدمين ، ثم من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التعليم الناقص مع عدم التربية الصالحة هو أشد تأثيرا في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها ابراهيم باشا . طلب مني أحد هذه النابتة الجديدة أن أجعله مشتركا في المنار منذ اربع سنين فأجبته الى ذلك اذ رأيته ممن يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كراسي الدوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشتراكه كان كلما رآني يعدني بان سيرسل الي قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكرر (وهو أمر على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى ») صرت اذا رأيته أتبسم تعجبا فيبادر بالاعتذار وأي عذر اقرب الى الاذهان من النسيان ـ ثم قال لي غير مرة لعلك تذكرني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فجاريته بهذا وذاك وأنى تنفع مثله الذكرى

أمثال هؤلاء يتعجب منهم ولا يعتب عليهم ومن المشتركين من يعتب عليهم ويتعجب منهم كبعض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لمحض الكسل وهم من محبي المنار وعارفي صاحبه الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مغبوطون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المنار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجحد وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف

أما حال المشتركين في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم تقصيرا معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تعطل البريد في بعضها فلم يصل اليها المنار مطردا ولم يتيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في الغالب بعد عرب نجد وحضرموت اينما كانوا وحيثما أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقيل منذ سنة يرجئ حسابهم وانما يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسيكون ذلك في جزء آخر

ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المقتصدين الذين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه ان لم يستعجلوا فبهؤلاء تقوم الاعمال ، ولولاهم لفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشتركين مطلاً هم أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا ربما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فتبين لنا بعد التحري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العنوانات أو يذهل عنه عند إلصاقها على الغلف ومن غير الغالب أن يسقط بعض الاعداد من العربة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الغالب وغير الغالب نادر (٢) ان عمال البريد يختزلون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يتراوحون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيرا من المشتركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند مجيئها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الاقربون والاصدقاء نسخهم من يبادر الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدور ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يتعمدون هضم الحق و يستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحداً منهم طولب بقيمة الاشتراك فقال للمطالب انني لم أر المنار منذ كذا وذكر سنة أو أكثر أو أقل فالتفت المطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق فرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له وأي شيء هذا وأشار الى الاجزاء !! فرده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشتركي المنار قليلا لا كثر الله في أمة من أفراده

لكثرة طلب المفقود نصرح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهرا واحداً من موعد صدوره كان حقاً على الادارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صحيحة) فإن وجد أرسل اليه والادارة لا تضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم

تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد في هذه السنة منه فيما سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبع وطول الامد على إصلاحها ثم ما عرانا من التوعك غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكاتبة من كاتبونا من المشتركين والمحبين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد المساعد وعسى أن لا نقصر من بعد

الانتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في انكار نشر رسالة الدكتور صدقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يعلو ولا يعلى لا تطمسه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وانما يخاف على دين من ليس على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يعتد بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله

أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألتان جديرتان بالذكر قالهما أحد فضلاء الاوربيين (احداهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات العروة الوثقى نشرت في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة الاوربيين المستعمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وانما هو أثر تاريخي لغيرنا كتب لغرض سياسي فات وقته ومضى زمنه فلم يخطر في بالنا أن نحذف كلمة الهجرة منه ولا أنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستاذ الامام لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلها في البلاد التي يحكمها المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية و بلغنا أنهم لم يلبثوا أن ندموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الافرنج لا يكاد يوثق

بعلمهم النظري والعقلي لأنهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والحس .
واقول اني تنبهت بعد طبع الكراسة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبالغة في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيما مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها ولولا أنها الكراسة العاشرة لاستدركت على العبارة في ذلك الجزء قبل ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف تنشر بعض الآراء السياسية وهؤلاء لا يلتفت الى قولهم ويكفي في اظهار أفنياتهم قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب

الثناء على المنار

أما ما يرد علينا من الثناء على المنار من الغرب والشرق فهو عظيم وإننا لنخجل من نشره لاسيما اذا كان محضاً ونسأله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن من يحسنون الظن بنا وان يقينا شر الغرور بالنفس ، والغفلة عما لا نخلو عنه من تقصير ونقص ،

الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإنا ندعو أهل الغيرة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلا مما ينشر في المنار ونعدهم بنشره مقرونا بالثناء والإقرار بالقبول اذا أقنعنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأييده بالدليل والحق بعد ذلك لا يخفى على الجماهير اذ هو الذي يعلو ولا يعلى . كما ندعوهم الى تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ومن الارشاد العام لكل من يصل اليه صوتنا وتبلغه مجلتنا من البشر فان الدعوة اذا أيدها المعتقدون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشعاع وترسخ رسوخ الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامرين من جعلهم الله أهلا للدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله الغالبون ، اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يهزون ويلمزون ، ويغتابون ولا ينصحون ، ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون ، والعاقبة للمتقين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين،